

الافتتاحية



إنها حقا "بلدي" يا حمزاتوف

د. امتنان الصمادي *

ثمة قراءة ثانية لكتاب "بلدي" للروائي والشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف لكنها القراءة الألف في حب الوطن. وأذكر أن القراءة الأولى التي تعلمت فيها أن قراءة "بلدي" يمكن أن تكون قراءة لكل بلد، وأن داغستان – وطن رسول حمزاتوف – هي وطن كل المحبين فكانت الأردن وطني وبلد كل المحبين المخلصين. كنت على مقاعد الدراسة الجامعية الأولى عندما دخل علينا معلمنا الدكتور خالد الكركي يتأبط "بلدي" بين ذراعيه لينشد مع طلبته درسا في حب الوطن حيث المجد والأنفة والإباء في كل زاوية من زواياه لكننا قليلا ما نراه. كنا حينها نطرب أو هكذا شاء لنا أستاذنا فمن منا لا يحب وطنه، لكنه لون جديد وطعم من ذهب ودرس في الحب لم يكن ساذجا ولا عابرا ما زلنا نقتات عليه حتى الآن...

"أيها الجبليون أحيوا صخوركم العارية المتوحشة، لقد جلبت لكم جبالكم القليل من الخير لكن أرضكم بدون هذه الصخور لن تكون أرضكم وبدون أرض لا حرية للجبليين الفقراء. قاتلوا من أجلها وحافظوا عليها..." هذا ما رواه الجبلي حمزاتوف على لسان أحد القادة الحكماء المسكونين بحب الوطن، وكأن طريقته في الحب أغنية طالعة من بين شقوق الصخر ومتدفقة مع ينابيع الوديان، فالأم التي تهدهد صغيرها كي ينام تراه كبيرا كالجبل وترى سريره واسعا كالبحر، كما أن صخور الجبال وقوارب البحر وتراب الطرقات هي الفضة التي ألهمته الحكايات الرائعة وعلمته الوفاء، وكان حمزاتوف كلما عاد إلى وطنه من البلاد الأجنبية يجد الجبليين "يحيطون به ويطلبون منه أن يحدثهم عن البلاد البعيدة، فيحدثهم عن فرنسا وإيطاليا واليابان وتركيا، ثم ينتقل إلى الحديث عن داغستان، فيتحدث إلى الجبليين عنها ويستمعون إليه كأنما يسمعون عنها للمرة الأولى مع أنهم أنفسهم من داغستان" و"من لا يحب جباله ليس سهلا أن يحب سهول الآخرين"، لقد علمتنا كلمات حمزاتوف أن الحب في منأى عن مؤثرات الخطابات الوطنية الفضفاضة أو الاستغراق في المترادفات والصور الاستعارية للوطن بل هو يقين مجبول من التراب والماء والصخور والشجر يصنع منه الهوى الذي يدفئ به قلبه ويحمله أينما حل هواء صالحا للتنفس، وداغستان لم يكن في وسعها أن تصمد في وجه العدو ما لم تتقد في صدر أهلها شعلة الحب والحقد معا ،على حد تعبيره، والروح هي النار التي تشتعل لتحرق العدو، والنار هي نفسها في الموقد الذي نعد فيه الطعام. لقد أعلمنا أن "داغستان يرى فيها الأعداء تنينا بألف رأس ويرى فيها الأصدقاء شجرة كثيرة الأغصان".

إن ما يصدر عن حمزاتوف في حب الوطن ليس سوى حالة من التناغم الإنساني الموجود في الفطرة السليمة كما هو موجود في مفردات الطبيعة. وإذا كان الحب هو المادة الخام أساس الحياة وعشبة الخلود التي نسعى إليها دوما شئنا أم أبينا. وشرفات الدار لا تنام ولا تشعر بالبرد ولا تغرق بالتعرق ما دامت في حالة انتظار حبيب قادم من بعيد محمل بالعطور والهدايا والحكايات الجميلة عن الذين يعيشون خلف البحار... هكذا هي قلوبنا يا حمزاتوف تعيش في فصل الربيع وعيوننا دائمة البحث عن المرايا التي ترينا ذواتنا في مقدمة المشهد شريطة أن نكون متكئين على خلفية اللوحة المكونة من أرض وجبل وماء ونار، ومهما شِخنا فإن عيوننا لا تشيخ وستظل ترى ببريق الصبا كل زاوية في هذا الوطن جميلة: شجرَها الذي زرعناه بأيدينا هو الذي سيظللنا، وكتابَنا الذي نفتحه كل صباح جامعي هو الذي سيصنع عقولنا، وأصدقاءنا الذين التقيناهم في مكان ما سيكونون غذاء الروح كلما تاقت إلى البعيد حبا بحجم الجبال وعمق الوديان وسلسلة ماء البحار ورقة العصافير مهما بعدت المسافات، لم لا ما دام الحب هو اللحظة الصادقة التي تملك علينا فؤادنا في مواجهة المعتدي، وهو النقطة التي تشتعل شرارة بدء في لحظة لا نعود نرى فيها الحد الفاصل بين

السماء والصحراء .

حبك يا حمزاتوف مثل شرارة تنطلق من عيني المتحابين في لحظة واحدة فتشتعل الأفئدة وتلتهب العقول وتستلب الألباب؛ فيصل المتحابان إلى حالة التماهي معا فتفترش اللحظة الدهر بكليته والأرض بكرويتها حتى لا يعود بالإمكان العودة مرة أخرى إلى الوراء، أي وراء والكون في حالة حب! عندها فقط تصبح داغستان هي حمزاتوف وحمزاتوف هو داغستان.

الأرض موجودة دائما لكن بلدي لا يكون إلا إذا كان الحب والحب خالد لا يموت إلا بموت الإنسان النابض قلبه بصدق. ولرسول حمزاتوف في هذا قصيدة:

حبيبتي

إن كان هناك مئة مخلوق في العالم

يحبونك

فاعلمي أن حمزاتوف أحدهم

وإذا كان الذين يحبونك عشرة فقط

فتأكدي يقينا

أن رسول حمزاتوف

هو أحدهم أيضا

أما إذا كان لا يحبك في هذه الدنيا

سوى مخلوق واحد

فاعلمي أنه سيكون حتما

رسول حمزاتوف

أما إذا كنت حزينة ووحيدة

ولا أحد يحبك في هذا العالم

فاعلمي أن رسول حمزاتوف

قد مات

---

*رئيسة التحريرالمسؤولة



بمناسبة احتفالات الجامعة بعيد ميلاد القائد

"أقلام جديدة" تلتقي "أدباء المستقبل" في ندوة حوارية

رئيسة التحرير الصمادي تدعو إلى الحفاظ على ماء الشعر

أدارت الندوة : دة. امتنان الصمادي
أعدها للنشر : إبراهيم السواعير



كشفت ندوة "أقلام جديدة" عن إشكالية: الأكاديمي والمُمارس، والشاعر أو القاصّ الشّاب غير المثقف، والترخّص في الثوابت لصالح التعبير، والتأرجح ما بين الكتابة المعمّاة التي لا يفهمها صاحبها والأخرى السهلة الدّفقات النّاقلة بأصرح عنوانٍ ومضمون لما تمليه الظروف على الكاتب الشّاب.

الندوة التي جمعت، في الجامعة الأردنيّة بين المجلّة وأسرة أدباء المستقبل، استهلّتها

رئيسة تحرير "أقلام جديدة" د.امتنان الصمادي بتأكيدها ما للمجلة من دور في رعاية الناشئة بفتح صفحاتها للجميع بشروطها الموضوعيّة في الكتابة؛ وهي شروط- والقول للصمادي- تجعل من الجيل أكثر قربى من مؤلفات الـرّواد الذين صاغوها بماء عيونهم، وأرهصوا بأسباب وجودها، وموجبات ظهورها على الناس، وانطلقت الصمادي من ذلك تنصح الشباب بأن يكونوا أسياد نصوصهم؛ لا يتصنّعون مواضيعها، وفي الوقت ذاته لا يلغون شروطها الفنيّة، وأكّدت أنّ قراءة كتاب ناقد في الشعر وآخر في القصّة أو الرواية يمنح الكاتب ثقة تعزّزها معرفة التقنيات و"خلطات الكتابة".

> **"أقلام جديدة" مجلة الجرأة والمعالجة الأدبية والقدرة على التعبير**

وقالت إنّ كثيرَ نصوص ترد المجلّة لا يتكلّف صاحبها عناء حبكتها أو اللعب على "ثيمتها"؛ بل لا يدرك أن نحواً وصرفاً وبلاغةً يجب أن يستظلّ بها النص؛ مضيفةً: ومع إدراكنا أن هؤلاء في بداياتهم فإنّ أخطر ما يواجه الشّاب المبتدئ في الكتابة- مع احترامنا إبداعه- هو أن يتأثّر بمن حوله، ولا يحاول أن يترك بصمةً أو يسعى لخلقها؛ فيكون صورةً طبق الأصل عن الشاعر الفلاني أو القاص الفلاني، ومع تنصّله من أطر الكتابة الأكاديميّة فإنّ ضياعاً وتشتتاً لا بدّ أن يلحق به. ودعت الصمادي إلى "الموازنة" بين الثوابت و"الانفلات" الإبداعي لنصل إلى موضوعيّةٍ تزيّن الأدب وتمنح صاحبه عمراً مديداً لا يقلقه ما يقول "الناس" أو النقّاد.

الأشعار التي ألقاها مبدعو الأسرة والمجلّة كان للبوح الذّاتي فيها نصيبٌ كبير، فالانكسار الذاتي الذي يعكسه انكسار الحلم: العاطفي والسياسي، كان الغالب على القراءات، وكان الحزن يفيض من قصائد أشبه بحِكَم المعمّرين المراكمين خبرة؛ ولا يدري السّامعُ: هل غلبت على هؤلاء شقوة الإحباط، أم استشرفوا ما هو أسود؟!

ومن جانب آخر كاد ماءُ الشعر أن يجفّ في قصائد ذهنيّة أسماها أصحابها بـ"الومضة"؛ رادّين تشظيها إلى تشظّي حالهم، ويأسهم من تلبية قصيدة "الشطرين" حاجات الحياة ومتطلبات العصر. ومع ذلك كان لهذه القصيدة مؤيدوها الذين حاولوا تزيينها بالتشابيه لكسر حدة النظم، ويبدو أن الندوة المخصصة للتعارف بين الأسرة والمجلّة تعدّت هدفها المرسوم إلى قضايا نقديّة أغنتها رئيسة تحرير المجلّة أستاذةُ النقد الحديث في الجامعة.

وكانت رئيسة الأسرة الأديبة صباح المدني عرّفت بالأسرة، ومشوارها، والتآلف الحاصل بين أعضائها، وأمسياتها الخميسيّة، واستناد كتّابها إلى لجنة النقد فيها التي يرأسها الناقد العراقي د.عزمي الصالحي.

وقد شارك في القراءات: زياد صلاح، وجمال القرا، وسعيد يعقوب، ومحمد

السواركة، وخالد عبده، وأوس أبو صليح، ووردة كتوت، وغيث القرشي، وشعراء آخرون.

هيئة تحرير المجلّة: المعالجة الأدبيّة

ونحن نحتفل بعيد ميلاد صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين يملؤنا الفرح بهذه المكتسبات العلمية والنهضة التنموية الشاملة التي عزّزها جلالته، ونقول: أهلاً وسهلاً بضُيوفنا الكرام المبدعين؛ الجادّينَ، المثابرينَ كلّ خميس على الدّرس في الشعر والقصة والرواية والمقالة والخاطرة؛ وهم على ذلك منذ أن تأسست الأسرةُ؛ أسرة أدباء المستقبل، ونقشت رئيستها الأديبة صباح المدني في الصخر لترسّخ اسماً بات يمُدّ مشهدنا الثقافيّ بإبداعاتٍ مُدرّبة، وأقلام تقبل النقد، وتأخذ به، وتتعبُ لإثبات الذّات.

أسرةُ أدباء المستقبل تستحقّ احتراماً؛ وتستحقّ أيضاً أخذاً باليد ومساندةً بالدّعم؛ وقد تابعنا هذه الأسرةَ عن كثب؛ وعلمنا كيف تكون العائلة الأدبيّة؛ أستاذ النقد فيها يحترم المبتدئ بالكتابة، والشاعر الممارس لا يبخل على الهاوي، والقاص المجرّب لا يسخر من الناقل صراحةً ما يراه؛ بل يغنيه بتقنياته وما يكتسبه هنا وهناك؛ ولعمري إنّ الحياة تكون أفضل، والنفوس تطمئنّ إلى جوارها؛ وهكذا تُغلّف الأدبَ المحبةُ، وإنّ ما يفرح ويحزن في الوقت ذاته أن صباحاً تلمُّ الأسرةَ كلما تفرّقت بها السّبلُ، وأخذتها الحياة، وتنازع عليها الوقت؛ أختاً أديبةً؛ بل أمّاً رؤوماً، والحقَّ نقول إنّ وجود ناقد بحجم الأستاذ الدكتور عزمي الصالحي كلّ تلك السنين؛ يعلّق على القراءات، ويشرح بلطف، وأحياناً لا يتوانى عن جلد الأديب الشابّ بسياط النقد إن أحسّ أنه يمكن أن يصيبه الغرور أو يستكفي بما لديه.. إنّ وجود أستاذٍ بقامته يدفع نموّ الأقلام وإبداعها.

فيا صباحُ؛ أنت اليوم بين أهلك وأحبائك في هذه الجامعة؛ الجامعة الأردنيّة، ونحن وأنتِ والأسرةُ نسعد برئيسة تحرير المجلّة الدكتورة امتنان الصمادي التي لم تدّخر جهداً في تطويرها، وفتح صفحاتها على الوسط المثقف في الدّاخل والاتحادات والروابط الثقافية العربيّة، غنىً وفائدة، وكشفاً عن المواهب.

ومن حسن الطّالع أنّ رئيس الجامعة الدكتور خالد الكركي يؤمن بالمسعى الثقافي، ويباركه، وأنّ نائبه مؤسسَ المجلّة ومستشارَها الدكتور صلاح جرار لا يبخل بتوجيهاته؛ حتى غدت "أقلام جديدة" مُلبيةً لقطاع عريض من الطلبة داخل الجامعة وفي الوسط الثقافي، وإذا كان هدفها يُستمدّ من اسمها "أقلام جديدة"؛ فنودّ أن ننبّه على أنها ليست بالأقلام الساذجة المتهاوية التي لا أمل من إصلاحها، وإنما هي مجلّة الجرأة والمعالجة الأدبية

> **"..ولأن الأدب يحمل فكراً، وينقل تفاصيل حياة، ويعبّر عن هوية، فإنّ شبابنا يجب أن يعودوا إلى القراءة؛ وألا يكتفوا بالمنهاج المقرر"**

والقدرة على التعبير؛ وكيف لا يعبّر الطالب الجامعي أو الشّاب المثقف ولديه أهله: أستاذة النقد الأدبي الحديث ترأس المجلّة، وهيئة تحرير متخصصة تكمل دراساتها العليا في المجال، وتتخصص بالقراءة والاطلاع ومتابعة المستجد.

> "..والمجلة وجدت لها موطئ قدم في الساحتين المحلية والعَربية، وقد شهد لها أدباء عرب وأكاديميون بأنها يمكن أن تنافس مجلات محيطة"

شهر يكونون فيه خليّةً دؤوبةً، نشطةً.

وهذا الجهد لا نُحمد عليه؛ فهو واجبٌ يتحمله المخلصُ عملَه، الواثقة خطوته، وإن كنّا نراكم ونعرّف، ونجنب أبناءنا المبدعين في الجامعة وخارجها الضياع في أجناس الكتابة والتعبير، فإنّنا نطمح إلى أن تكون مجلتنا وثيقة يستند إليها الباحث وجامع الشعر، وأصدقكم القول: تخيّلوا طالباً يكتب عندنا اليوم وبعد عشرين سنة يبحث عن بداياته فيجدها!.. أليس جميلاً هذا الشعور؟!.. وتخيّلوا، أيضاً، دارساً لأدب الشباب لا يستغني عن مجلتنا، التي هي مجلتكم ومجلة كلّ الوطن؟!.. وتخيّلوا، كذلك، ما تزخر به صدور أبنائنا من هموم على المستويين: الذاتي والجمعي تحتضنها المجلّة مُتنفساً، وتنشرها بثقة الهدف وقوّة التقنية ونبل الرسالة!

أيها الحضور الكريم: إن "أقلام جديدة" تبارك لأسرة أدباء المستقبل دأبها على الكتابة، في زمنٍ تقل فيه الكتابة، وتتغوّل عليه وسائل الترفيه الحديثة، فيغدو ذهن الشاب الجامعي مهجوساً بما بين يديه من : موبايل فعّال، "وإنترنت" يجلب معلومةً ليست دقيقةً دائماً، ويصدق عليه قول الشاعر: أشبابٌ يضيع من غير نفع وزمانٌ يمرّ إثر زمانٍ!

ولأن الأدب يحمل فكراً، وينقل تفاصيل حياة، ويعبّر عن هوية، فإنّ شبابنا يجب

امتنان الصمادي: ثوابت الكتابة

نرحّب بكم في رحاب الجامعة الأردنية، ونشعر مع رئيسة أسرة أدباء المستقبل الأديبة الصّادقة السعي، المثابرة على لَمّ أعضاء الأسرة، السّيدة صباح المدني بعظم المسؤولية التي تناط بالهيئات والملتقيات الشبابية الأدبيّة، ونأمل أن يثمر لقاؤنا الفائدة المتوخّاة منه. والحقيقة أنّ مجلة "أقلام جديدة"، الصّادرة عن الجامعة الأردنية، لا تفتأ تبحث عن الأقلام الأدبيّة المبشّرة الجادّة في شقّ طريقها وبناء شخصيتها المميزة، ومع إدراكنا أنّ ذلك فيه من الصعوبة ما فيه، فإنّ عزاءنا أنّ تبنّيَ مبدع، أو الاحتفاء بواعد وتعريف الوسط الثقافيّ به يلغي كلّ التعب في التوجيه وتحمّل شبابنا، وتبيان الطريق المفروش بغير الورود على الأعمّ الأغلب، تماماً مثلما يزول تعب هيئة تحرير المجلة حين يتسابق أعضاؤها إلى المطبعة: يتصفحون ما جمعوه، يتحققون من فائدته وغناه خلال



أن يعودوا إلى القراءة؛ وألا يكتفوا بالمنهاج المقرر، وإنما نحن الأساتذة نوجّه ونرشد، وعلى الطالب مسؤولية الاستجابة وتوسيع الأفق. وأقول: كم يفرحنا نصٌّ مميز "تطير" به هيئة تحرير المجلة، ولكن، في الوقت نفسه، كم يحزننا أن يكتب شابّنا الجامعيّ دون معايير صائبة؛ فكأنه يكتب "ردّ عتب"، وكأن الكتابة عنده من ترف الأشياء ونافلة الأفعال.

ولكن، ألا ترون أن شباباً في خضمّ هذا الوضع المحبط يفرغون ما يتوافرون عليه، ويسقطون في كتاباتهم همومهم التي هي هموم وطن وأمّة، وصدّقونا: لم تضق صدورنا يوماً لطالب نصيحة في الكتابة، ولم نغلق باب المجلّة بوجه متحمّس، حتى وإن أغلظ في القول وبلغت نرجسيته السماء، وقد استطعنا أن ننمي عند هذا الطالب أو ذاك بذرةً نراها صالحة لتمتد، وموهبةً نتوسم بها خيراً، واستطعنا، أيضاً، أن نخفّض مؤشر التساهل في الكتابة- ما استطعنا- وأن نبثّ في نفوس زوار المجلّة الأمل بالأدب الواعي، المستند إلى حكمة الروّاد ومتطلبات العصر الموضوعيّة.

وإذا كنّا نتسامح في تعدد الأجناس والتقنيات المصاحبة فإنّ ثوابت الكتابة لا يمّس بها منتم، أو يكسر قداستها إلا منسابٌ بحجة الإبداع، وفي ذلك اسمحوا لي أن أقول:

ما نزال نصطدم ببعض التجارب المنفلتة من جملة القيود الفنيّة الموضوعيّة، ومع ذلك نسير ونبيّن ونمزج الدرس الأكاديميّ بالممارسة الثقافية، وكما نتمثّل في محاضراتنا بالشواهد المحليّة والمجاورة، فإن إيمان الجامعة بالشخصيّة الجامعية المستقلّة، المفكّرة، السياسيّة، الواعية، المدركة

> "أقلام جديدة" تبارك لأسرة أدباء المستقبل دأبها على الكتابة، في زمن تقل فيه الكتابة، وتتغوّل عليه وسائل الترفيه الحديثة

لكل جديد، هو ما يدفعنا لتحمّل آلام الإقناع وتكرار النصيحة، فالجامعة ليست درساً يُحفظ أو قوانين تُسترجع ولكنها مزيجٌ من الابتكار والإحاطة، ومن كلّ ذلك تستمدّ "أقلام جديدة" عمرها الذي سيكون طويلاً بإذن الله.

والمجلّة بدأت كما تعلمون تجد لها موطئ قدم في الساحتين المحلية والعربية، وقد شهد لها أدباء عرب وأكاديميون بأنها يمكن أن تنافس مجلات محيطة إن أخلصت النيّة للهدف المرسوم ولم تحرفها شهوات النجاح، ونحن نقول: كلّ المجلّة للشباب، وما انفتاحنا على الوسط المثقف في زوايا الفنون والأدب والمقالات إلا مزجاً للنظري بالتطبيقي وتعريف طلابنا بالأدباء والإعلاميين في السّاحة؛ حتى إذا جاهروا بأدبهم غداً لم يجدوه غريباً؛ ويكفي أنّ شبابنا بات يعرف: ما وزارة الثقافة؟.. ومارابطة الكتاب؟!.. وما اتحاد الكتاب العرب؟!.. وغير ذلك الكثير.. وكلّ ذلك من الفوائد الثانوية التي تتوالد من الهدف الأولي المرسوم: العناية بالأقلام المبدعة الجريئة في التعبير، المخلصة لفنيّة الكتابة.

وأودّ أن أعرّف بخطوط المجلة الرئيسية:

الأوّل، وقد شرحته المقدمة، إبداعي؛ ولا تهاون فيه، ذلك أنّ طائفةً لا يُستهان بها من شبابنا اتجهت تكتب ما يُعرف بـ"قصيدة النثر"، وربما تساهلت هذه الطائفة في الكتابة، فتفلّتت من الوزن الخارجي العروضي، واعتقدت أنها حققت شرط قصيدة النثر.

وأقول: ما تشددنا إلا احتراماً للمجلة والإبداع، وهو احترامٌ للأدب الذي نفخر بأننا معشر الأكاديميين حراسٌ لرسالته النبيلة. كما أنّ المجلّة تسعد إذا ما كُتب النصّ النقدي تعقيباً أو تعليقاً على قصيدة أو رواية من طالب جامعي أو هاو أو متابع للحراك!.. لماذا؟!.. لأنه هو الذي يبشّر بقلم جديد، أما الأكاديميّ الناقد فأدواته مكتملة قياسا بهؤلاء.

أما المحور الثاني فهو أن المجلّة تدعو كلّ شهر إلى ندوة في بيتها- الجامعة- وهي ندواتٌ حواريّة، القصد منها استضافة المبدع الرائد الأردني أو العربي وجعل طلبتنا وشبابنا المتوقّد للإبداع يحاورونه ويكتسبون من تجربته ومسيرته الفنية ما استطاعوا؛ وقد استضفنا الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد وأقمنا له أمسيةً في رحاب الجامعة، وانتدينا وشبابنا للوقوف على ما راكمه، وقبل ذلك استضفنا القاص الأردني فخري قعوار الذي عرّف بتجربته ونصح جيل الشباب بالفصحى و الحذر من الاستهانة بشروط النصّ الأدبي، واليوم نستضيفكم، ونقرأ تجربتكم، ونفتح مجلّتنا لكم ضمن أصول الكتابة ودواعي الإبداع.

وتتوزع محاور المجلة الأخرى بين العناية

> "مكاشفات المجلّة الناقدة ليس من ورائها حرج، ولا تتقصد ذبح المواهب وتعطيل الملكات، بل تأجيج الإيجابيات، وهجر ما يشين النص"



بالنصوص الأدبية الفائزة في الشعر والقصة والمقالة، والاستئناس بالمكاشفات الناقدة التي يقدّمها أساتذة ومجرّبون قضوا طويلاً في المتابعة والنقد، وهي مكاشفاتٌ ليس من ورائها حرجٌ، كما أنها لا تتقصد ذبح المواهب وتعطيل المَلَكَات، بل تسعى باعتدال إلى تأجيج الإيجابيات والنصيحة بهجر ما يشين النص الأدبي ويجعله يراوح مكانه، وقد استجاب شعراء وقاصّون شباب لهذه المتابعات واستفادوا منها.

أما الأدب العالمي فنفرد فيه مساحات لشبابنا في تطبيق الترجمة، ترجمة النص الأدبي العالمي، ونشغّلهم بالبحث عن هذا الأديب أو ذاك ومعرفة ما قدّم واشتهر به؛ وهكذا يكون طالبنا باحثا يتقصّى المعلومة ويقف على حقيقتها؛ وفي الترجمة فإنّ استعارات وتقنيات مفرحة تتعدى الترجمة الوثائقيّة إلى التصويرية المُشارِكة.

ونفتح المجلة على فضاءاتٍ في الحوار أو التحليل، كما نعرّف بما يستجدّ من أخبار ثقافية هنا وهناك، ونفخر بأن مجلتنا كانت حاضرةً في عمّان ودمشق والقاهرة والخليج والمغرب، وتزيّن كلّ ذلك حكمةٌ في "رياض الكلم"، الزاوية التي كتب بها أساتذة نحترمهم ونجلّ ما يتوافرون عليه.

هذه مجلتنا؛ فأهلاً وسهلاً بالضيوف.

"نفخر نحن معشر الأكاديميين بأننا حراس رسالة الأدب النبيلة"

صباح المدني: تنمية المواهب

الشكر لكم، واسمحوا لي أن أعرّف بأسرة أدباء المستقبل أسرةً تطابق هدفكم النبيل، وهو العناية بالأقلام المبشّرة، الواعدة، الجديدة الحاملة أصول الأدب المستمدّة حياتها منه.

فالأسرة أُنشئت عام 1993 ودائماً أعود إلى الذكرى يوم كنتُ أكتب قصصاً اجتماعيةً هادفةً؛ تبصّر الناس وتشدّهم إلى تبيّن ما يحيط بهم ومراجعة أنفسهم في قضايا شتّى، وقد كنتُ أبني مواضيعها من صميم المجتمع وحوادثه.

وكنت في الإذاعة أستضيف مختصين في الأدب وعلم النفس والاجتماع؛ يزوّدون المتلقي بالنصيحة وكيفية الكتابة. وازدادت الاتصالات من شباب وشابات متحفزين للكتابة وصقل الموهبة، وكان لسان حالهم يقول: كيف لنا أن نصبح أدباء؟!.. ونصدر كتباً مثل هؤلاء المشهورين؟!.. وكيف السبيل إلى القراءات في المهرجانات؟!

والواقع أن كل ذلك ظلّ يلحّ عليّ؛ إذ كيف لي أن أجمع المختصّ بصاحب الموهبة والهاوي؟!.. حتى جاء اليوم الذي التقيت فيه بأربعة شبان في صالون أدبي؛ يقرأون وينقدون ويعاودون القراءة، وإذ أدركت أن الفرصة مواتية وتحقيق الحلم بات قريباً، قلت: هل لكم أن تعلّموا وتتبنوا؟! فكانت الإجابة أن نعم!.. بشرط حضورِك لأن الأهالي يثقون برأيك وحسن تدبيرك؛ فكان اللقاء!

وما أزال أذكر كيف كنّا نجتمع في البيوت، مع ما في ذلك من صعوبات تمثلت بإحراج

الأهالي، ولكن كان لا بدّ من الأخذ بيد هؤلاء الشباب وتنمية مواهبهم.

وقد هداني تفكيري إلى أنني عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين؛ فَلِمَ لا أطرح الفكرة على رئيسه آنذاك د.هاني العمد وكم كانت الفرحة حين وافق على أن يستضيفهم الاتحاد برئاستي كل شهر!

ولمّا أثبتنا موجوديةً وزاد حضورنا أصبح النشاط مساء كلّ خميس، ومنذ ذلك الوقت ونحن نحافظ على نشاطنا في القصّة والشعر والمقالة والخاطرة، وأحب أن أقول إنّنا في أصعب الأحوال وأحلك الظروف نحافظ على نشاطنا الأسبوعي وتبارك قراءاتنا المحبّة والألفة، واستطعنا أن ندرّب ونخرّج كتّاباً بدأوا هواةً، وأصبحوا أصحاب كتب أدبية في الأجناس الأدبية المتنوعة.

وإذا أردت أن أعدد ما أنجزناه فإنّ مهرجاننا السنوي الذي استضفنا فيه شخصيات أدبية ومهتمة بالفكر والثقافة هو مهرجانٌ ناجح، كما أنّ مسابقاتنا الأدبية حفّزت كثيراً من مبدعينا على المزيد من الإبداع، ومما يزيدنا إيماناً بالهدف أنّ أعضاء الأسرة يتعلمون أيضاً جرأةً في القراءة والإلقاء والنقاش، وهو هدفٌ ليس سهلاً ولا يمكن تحقيقه إلا بالممارسة، وندرك أن أيّ بداية لا بد أن تكون متعثرةً، ثم تقف على رجليها، لتشق طريقها واثقةً مطمئنة.

> تهتم أسرة أدباء المستقبل بكيف نصبح أدباء؟!.. ونصدر كتباً مثل هؤلاء المشهورين؟!.. وكيف السبيل إلى القراءات في المهرجانات؟!

وإلى جانب ذلك احتفينا بالطفل المبدع الذي كان يرافق ذويه إلى الأسرة، فينشأ على حب النقاش ومعرفة أصول الإلقاء، ولدينا أطفال طبعنا لهم دواوين وقصصاً، وحازوا على إعجاب وزارة الثقافة وأمانة عمان.

وأقول إن أسرة أدباء المستقبل تسير بخطى واثقة ومحبة صافية وألفة متبادلة، وتشعر بالاعتزاز أن مجلة "أقلام جديدة" رسّخت اسمها في عمرها الغض في سنتها الثالثة، فلاقت رواجاً وقبولاً لدى أعضاء الأسرة لما تتميز به من الموضوعية والشفافية وحسن التوجيه.

الحضور: نلاحظ غياباً عن الأمسيات الثقافية! هل ينطبق هذا على أمسياتكم في الجامعة، وهل لرئيسة تحرير المجلة أن تنصح من واقع "المنبر الثقافي" الذي تشرف عليه في الجامعة بما يحفّز على الحضور ويمنع الزهد بجدوى الأمسيات الأدبية؟!

د. الصمادي: غياب المتلقي هاجسٌ كبير؛ فأين نحن من القصيدة الجالبة جمهورها؟!.. ولعلنا نسأل: ما مصدر الخلل: القصيدة أم الجمهور؟!.. وماذا تريدون شباباً من القصيدة؟! أن تصبحوا أدونيس أو المتنبي؟!

وأقول: القصيدة الجيّدة تفرض نفسها، والقصيدة التي يعرف صاحبها ما يريد منها تسبقه إلى القلوب. ونحن في الجامعة لدينا

تجربة المنبر الثقافي، وهي تجربة ناجحة، تتلخص في أننا نجعل الشاعر يقرأ في ساحة الجامعة، على المسطح الأخضر حيناً، وحيناً آخر بين الكليات، وهو تكتيكٌ نتّبعه لنكسر قليلاً حدّة القاعة المغلقة، ونجلب انتباه الطلبة.. والحقيقة أنّ زهد بعض الطلبة وقلة الإقبال يمكن ردّه إلى عوامل كثيرة ليس أولها انشغال الطالب بهمومه وعدم محبته للشعر.. ويمكن أن تدار حول ذلك الندوات لنضع أصابعنا على الخلل. وعلى أية حال فهي مسألة عامّة وليست خاصّة؛ ويكفي أن يجرّب المهتم فيحضر ندوةً أو أمسيةً ليشاهد خلو القاعات- في الغالب- إلا من أقرباء الشاعر أو المنتدي أو قلّة من المثقفين.

ولكن مع كل هذا كانت أمسية سميح القاسم وحيدر محمود وعبد الرزاق عبد الواحد مشهودةً في الجامعة، وما ذاك إلا لأنّ هؤلاء الشعراء راكموا ما يجعل لشعرهم منازل وديارًا في قلوب الطلبة. ويمكن أن نضيف إلى ذلك الأوقات المناسبة، والإعلانات الكافية عن صاحب الأمسية وموضوعها.

الحضور: نلاحظ أنكم في "أقلام جديدة" تكادون تحاربون قصيدة النثر، وهو أمرٌ يلغي التعبير الذي لا يجوز الحجر عليه!

د. الصمادي: نحن لا نريد أن نبخل على الأدب بأن يُقولب؛ وفي الوقت ذاته فإننا لا نحبّذ جمود التطوير والتدرج. ولكن علينا أن نحترم الشكل الأصلي للقصيدة... الشكل العمودي "القصيدة الفصيحة"، ولكن أرجو أن نتريث قليلاً: حتى في قصيدة الشطرين هنالك نظم لا يجاوز الوزن والبحث عن القافية، وفي النثر يمكن للمهتم أن يلاحظ



عيوباً وافرة في الكتابة. إذن الذي نتوخاه أن تحمل القصيدة همّنا ومشاعرنا. وعلى أية حال يمكن للقصيدة العمودية أو النص النثري أن يحمله. ولكن ألا ترون معي أنه لا بدّ من شكل ما يحمل كلّ هذا التعبير؟!

هل ترك النصّ بدعوى التشظي وتداخل الأجناس مقبول؟!.. هل احترامنا للشكل الإبداعي العربي الأصيل تحجّر وجمود؟!.. هل يمكن اعتبار هذا الشكل الأصيل حصناً نزيد في بنائه وتجويده؟!.. هل يمكن أن ننطلق منه لأشكال أخرى كما انطلق الرواد إلى التفعيلة؟!.. البعض ممن طوّر أحسن والآخر أساء، ولكن المشكلة أن المسيئين كثر!.. ولقد وردت المجلة نصوص لا تعالج قضيةً وليس فيها من صورة كما أنها لا تحترم الوزن أو حتى الإيقاع الداخلي: فهل يمكن اعتبار ذلك "خراب ديارا".. ولماذا كان الأولون يحفظون شعراً كثيراً ثم ينسونه ليبدأوا من جديد؟!.. هل يمكن أن نخلق شاعراً؟!.. من المسؤول عن النص المحكك المرشّق: الشاعر أم الناقد وأيهما الأصل؟!.. هل ندافع عن تجاربنا بقوّة؟!.. على أية حال علينا أن نتسامح في الإبداع لا الانفلات من ضوابط النص!

وهذا ليس في الشعر وحده، بل إن القصة تعاني انفلاتاً من فنيّتها عند كثير من شبابنا: فهم لا يشتغلون عليها، وكثيراً ما يكتبونها بسهولة تصل حدّ "السذاجة"، وهو أمرٌ يضعنا أمام جيل لا يودّ أن يُعمل دماغه قليلاً في "ثيمة" العمل، وتقنياته.



شعر

هكذا تكلمَ المُمزَّقُ العبديّ!

المـمـزَّق الـعـبـديّ *

إدريـس المـلـيـانـي **

«فإن كنت مأكولا، فكن خير آكلٍ،

وإلا فأدركني، ولما أُمزَّقِ»

هي صفحةٌ

تُطوى لتفتحَ،

صفحةٌ أخرى، منقحةٌ،

أمرُّ من الصحائف كلها تُمحى

وتكتبُ دائماً

بالدمع

والدم

والمنونِ

فخذ كتابك

باليسار وباليمين

اقرأ صحابك

هل ترى أحداً

هنالك أم هنا

لك خادماً

أو سيداً

أو ربما

حتى كلابَك

شف ملياً،جيداً

هذي الوجوه تشيح عنكَ

كأنها بالأمس

لم تلثم يديك

ولم تدقّ عليك بابك

لا، الكلب أوفى

من صَغار المستبدين الكبار

أو الصغار

يقال: حين يموت سيدهُ

يموت عليه حزناً

أو يكفّ عن النبيح

على الأقل دقيقتين

من الوفاء

دقيقتين من الرثاء
فمن يكفّ عن المديح
ومن يعفّ عن الهجاء
ولو لثانيةٍ
من الزمن السَّيافيّ الخؤونِ
أكان مختوماً عليك
بالاختفاءِ
من الهواء الطلق
كي يتنفسوا الصعداءَ
خوفاً
من كوابيس
الليالي والنهار
وأن يناموا، مثلنا،
ملء الجفونِ
لعلنا نصحو،على وهمٍ
جديد، قد يهدئُ
من صداع الرأس
أو روع البلاد
فكيف لم تجهر بما
اقترفت أيادي
العبقرية والجريمةِ
والجنونِ
أكنت سراً أم ترى
كبشَ الفداءِ
لحكمة عمياءَ
تخبط خبط عشواء الحكومةِ
والنيابة والقضاءِ
على الضمائر والبصائرِ
والبطون
وليس ثمة من منارٍ
يُهتدى به في اللّمومة
والمُلمّة والظلامِ
سوى قراصنة الضياء
من العيون
لا،يا كُبيْشةُ، لم تكن
إلا يداً
بطشوا بها
سوطاً لسلخ الجلد
جفراً فاضحاً كالشمس
مفتاحاً لكنز الجن
حبلاً للغسيل
ومِزقةً للكنس
أو مسح السماءِ
من الوحولِ
وحارساً لضياع عبد القيس
أو تقطيع أوصال البوادي
والحواضر والعقولِ
وفارساً : «واااااالخيل لِ».
يعلو كعبه زمناً
ويعلو ثم يهوي، وحدهُ
يهوي،كآخرَ ثم آخرَ
قبلهُ أو بعدهُ
يعلو عليه أو يدانيهِ
ولكن،مثلَهُ،
يعلو، بضرج لسانه
يعلو ليهوي، مثلَهُ،
من فوق سرج حصانهِ
ويكون نجماً
مثل بدر زمانه
ويكون رجماً
للشياطين الغضيرة
والمغيرةِ

بالشّرارِ
وبالشّعار
ـــ لا يأس إلا منكمُ
ـــ لا بؤس إلا منكمُ
ـــ لا درسَ إلا منكمُ
لا بأسَ، نحن لنا علينا أو عليكمْ.
حملةٌ حمالةٌ
ألماً
وجرحاً نازفاً
عدماً
كزهرة زيزفونٍ
لم تلد أبدا
سوى نقع بلا وقع يثور
ولا صدى
واااالخيلُ
للإسطبل واااالبارودُ
يذهبُ حيث يرسبُ
في الغبار
أو الخَسار
الفارسُ المترجلُ
الجبارُ يذهبُ حيث يخطبُ
مثل آخرَ ثم آخرَ
بعدهُ أو قبلهُ
حتى قيامةِ صاحب
الشأن الذي يأتي ولا
يأتي غداً
وكما نكون يكون حتفاً
حافلا سلفاً
أو حاملا خلفاً
على ما لا يعدّ
من الدواهي والنواهي
والأوامر واللحى
والحرب باردةٌ
علينا أو لنا
ليست سوى الحرب الطّحون
الحربُ منذ الآن
أمس هنا
وغداً رحى
ولادةٌ نفس العجينِ
تدور ثم تدورُ
مثل كُويرةٍ، في حُفرةٍ،
للغولف،
تعلو ثم تنزلُ
ثم تُضربُ
بالعصا عُرضَ الهواءِ
نظير فارسها الذي
ضُربت عليه الذلةُ الأمثالُ،
كالكعب الأخيليّ الطعينِ
يموت حتف الأنفِ
منعزلا بعيداً،
عن صليل السيفِ
والدم والعرين
يموت منكسراً وحيداً،
تحت ظل عريشةٍ
من ملعب معشوشبٍ
بحشيشة الدينارِ
يجْرعها ويزرعها
عريسُ الساحة الشرفية الشهداءِ،
وهو يزفّ نحو الخدرِ
موكبَ حية رقطاءَ،
سمّاً ساريَ المفعول،
واسماً كاتم الأنفاس

.... كنتَ الممزَّق مرةً،
.... فاليوم قد صرتَ الممزَّقْ.
.... لما جريتَ مع الضلال،
.... غرقت في بحر الشَّمَقْمَقْ.
في كل الجهاتِ
أُكلتَ ثم أُكلتَ
كالثور الحَرونِ
و ليس إلا نحنُ، إلا نحنُ،
مأكولين من أُمّاتِ
قَشْعَمِ الحَنونِ!..

* شاعر مغربي

---

* الممزق العبدي :
المُمَزَّقُ،بالفتح،شأس بن نهار العبديّ،شاعر جاهلي،من عبد القيس والبحرين،لقب بذلك لقوله هذا البيت، لأحد الملوك ،عمرو بن النعمان بن المنذر الأكبر،أو عمرو بن هند،وكان عنده أسيرا أو همّ بغزو عبد القيس فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه،أو طلب منه إغاثته من الساعين لقتله،فقال له: لا آكلك ولا أوكلُك غيري،والممزِّق، بالكسر، شاعر آخر حضرمي متأخر هجاه الشَّمَقْمَق
- حشيشة الدينار: نبات معمر من فصيلة القنّبيات ينبت بالشرق ويزرع في أوروبة، تستعمل مخاريط أزهاره في تعطير الجعة.



أأحيا دون لقياهُ؟!



أنــــس عــرابــي *

مَـضـى شَــريــدًا ونــارٌ فـي ثـنـايـاهُ
تَـزيـدُ مـن حُـرقـةٍ فـي الـنـفسِ تـغـشـاهُ
هـو الـسَّـعـيـدُ فـمـا لـلـحـزن يـسـكـنُـهُ ؟!
هـو الـرَّشـيـدُ فـمـا لـلـعـقـل جـافـاهُ ؟!
على ربى الـسـهـلِ كـم طـالـت مـجـالـسُـهُ
مــع الـحـبـيـبِ ومــا تــرويــهِ عَـيـنـاهُ
وذلــكَ الـصَّـمـتُ كـم يَــروي مـشـاعـرَهُ
بـعــزفِ قـلـبٍ لِـشَـوقٍ فـي حَـنَـايـاهُ
فـذلــكَ الــدرُّ فــوقَ الـخــدِّ يـعـشَـقُـهُ
وذلــكَ الـسَّـيـفُ فـوقَ الــدُّرِّ.. يـخـشـاهُ!
حـتـى أتــاهُ رســولُ الـلـيـلِ يُـنـذِرُهُ
مــنَ الــمُـضِـيِّ لـمـا قــادَتــهُ رِجـلاهُ
فــراحَ يـسـألُ عــن بـدرِ الـبُـدُورِ وعـن
تـلـكَ الأكــفِّ الـتـي كـانـت بـيُـمـنَـاهُ؟

وهل رأى النّجمُ ما قد كان من ألم

غداة أمست بِكفِّ البينِ كفَّاهُ؟

بينٌ أتاهُم .. وما في البَينِ مَنفَعةٌ

هجرٌ شجاهُم.. وما للهجرِ مسعاهْ

رَفَّت على الخدِّ دَمعاتٌ وأحسَبُها

من الفؤادِ نَزيفًا كانَ يخشاهُ

أيسلمُ الأمرَ للهَجرِ المُذِلِّ وقد

دَرى الحبيبُ بما في القلبِ مَثواهُ؟

ما كانَ للحب من أمرٍ فيتركُهُ

هو القَضاءُ بأمرِ اللهِ يَرضاهُ

لكن تَمَرَّدتِ الأشجانُ في دمه

فكيفَ يَصبرُ والأشواقُ دنياهُ؟!

هذي حِكَايَتُنَا بالشّعرِ أسطُرُها

باللهِ قولوا.. أَأَحيا دون لُقياهُ؟!

فكم أتاني نذيرُ الشُّؤمِ يرجُمُني

بصخرِ حقدِ كَذوبٍ من سَجَاياهُ

وقال عني جليدَ القلبِ.. جامدَهُ

وقال إني سريعًا سوفَ أنساهُ!

وراحَ يَزعُمُ لا تُثنيهِ لائِمَةٌ

حتى أتيتُ بقولٍ..كان فَحواهُ

إن كانَ بَينٌ على الحالَينِ مُنكَتِبٌ

فالحبُّ في القلبِ والأضلاعِ سُكناهُ

والشوقُ أعرِفُهُ نارٌ وتَسكُنُني

والصبرُ من مُرِّهِ قد صِحتُ أواهُ

والبعدُ مُنكَتِبٌ ..قالوا.. فَقلتُ لهم:

«من يَصدُقِ الحُبَّ.. لن تنساهُ ليلاهُ»

---

* شاعر سوري

شـــعـــر

حنين

جـــمـــال الـــقـــرا *



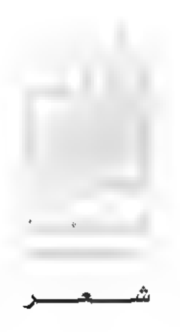
طفل في الخمسين
استعاد للتو وعيه
بعد أن سقط عن ظهر قلبه ...
في لحظة فرت من ساعة اليقين
يقف بكلتا عينيه على قبر أمه
مثل وردة ذابلة
لم تعد تقوى على الغناء
فهوت من سقف روحه
تنعى حبه المنسي
في قلبه الطريد ..
نصفه على امتداد الرمح .. نازف
ونصفه الآخر .. على امتداد الحلم الغارب
محض شريد ..
هو الحب ..
قصيدة نبتت في وحشة الصحراء
لكن يدا مشلولة اقتلعتها
وقت انهزام الليل

على مفترق الدروب ..
الخيول .. تركت خلفها الصحراء
يلهبها الحنين..
ليس لها .. بعد كل احتضار للأمل
ليس لها. إلا أن تعود...
هو الحب..
قلبان على ضفاف غيمة
تارة تتكسر فوق ريف العيون
وتارة..
يبدو كدمعتين فرتا
من تحت عباءة الحزن
صوب حلم لم يكتمل
شطآنه باردة ..
وعتباته.. رمل .. وظمأ .. وجليد
لم يسعفني صوتي ..
فأنا أحترق..
وحيداً في الركن الذي كم تعانقنا في
زواياه
كأن نظارتي تحجب خلفها
قلب فتاتي الأعمى ...
صندوق أمنياتي المفقود
قدماي تسيران
على حصير الرغبة.. بخطى مفككة
محاولا بكلتا عيني.. منع الطوفان
أن لا يغتال أغنياتي الحزينة
حين بدأت للتو تعلو
من خلف أسوار السنين ...
حزين أنا ..
قلبي .. طفل ..
حائر على صدر الشتات
يحتال على الطريق..
لكي لا يرتشف الطريق حزنه
يغفو لكي ينام .. فيستفيق

على حلم قد استحال في عينيه
بردا..وسهادا.. ومطر ..
أنا هنا ...
والعمر يمضي خلسة
متوسدا ملح انكساراتي ..
بين أضلعي ..
سفائن جنحت في ضحل الأمنيات
ألوذ بما تبقى ..
لا شيء في كفي ..
سوى ثرثرة المدن المتعبة
والنهر يتبعه مداه..
لا شيء في عيني .. سوى حكايات حب
تقاوم سطوة الجناة..
وأنا أقاوم ..
لكي لا أنهار فوق دمي المصفد بالحنين
فتسفني الريح ..
إن حاولت اجتياز البحر
حيث لا موج ينام ..
ولا يستريح..
من شدة عصف الريح به
شراع السفينة ...
هل يموت الحب اغتيالا ..
ويلقى به مثل أي شيء
على قارعة العمر ..
كم كانت تشدني إليك كل المواسم
حاملا تمثالك المرصع بالرعود
لن أعود.. منهزما..
كلتا يدي معفرتان بالعويل
لن أعود مصلوبا
إلى جذع الشمس..
بعد أن كانت الشمس داليتي
لن أعود بأشجار
أعارت أغصانها للنار

نصل الغدر في خاصرتي ..
وفي البعيد كوخ لصياد
كم حاول أن لا يصطاد فريسته
لكنها تأبى إلا أن تأخذه
إلى ما يريد ..
لتصبح وجهته.. أنى مضى ..
ويصبح وجهتها المغيب ...
أيها القلب..
لن يطول نزف الجراح
على مذبح الشمس لطائر
ليس بمقدوره إلا أن يحب
لكي يعيش ..
عشتار .. تحرس فضاء الرغبة
قبل أن يغشاه لهاث التعب
فيما أرجوحة العتمة تتأرجح
على كتف المدينة ..
حائرة ..
كلما استفاقت.. ذبلت كرمة..
فأفر مسافرا..
من وجعي إلى وجعي ..
حاملا غبار المسافات..
الحب شمس تغفو على راحتي
وأخرى على راحتيك تغيب ..
يا لغزة ..
كم وكم بكت ..
ورثت أوجاعها لابنها..
فسال مع حزنه دمع الفرات
على الرمضاء حينا.. وكم حينا مشينا
وأحايين كان دمنا حبر الكلمات

* شاعر أردني



شـــعـــر

وأتيتِ أكملَ من حلم

حـــســـن بـــســـام *

وأتيت أكملَ من حلمْ..
فأفقتُ من حلمي لأجترح الحقائقْ...
صوبّتُ نحوي ألف قنديلٍ ولحنٍ في ارتقاء الحب ناطقْ
فعلمت أن الصحو في الأوطان ضربٌ من ألمْ..
لكنّه رهنٌ لحرٍ قد عزمْ..
فمضيتُ أسعى في مناكبها وحريّاتها
حرّاً أعلّم بالقلمْ..
مُذْ أنتِ
صار الصحوُ عنوانا لقصّة بذلِ دمْ..
أفهمتني أنّي أكون مناضلاً جدّاً
إذا الروح ابتسمْ
فأتيتِ في سحر الشقائقْ...
وأتيتِ أعذب من نغمْ..
وأتيتِ أكملَ من حلمْ..
** **

نمشي دوائرْ
والقلب يمشي في صراطٍ مستقيمٍ مشي ثائرْ

يا ثورةً تعلو جبين الحقّ
سيري في طريقك
أيّها الثوّار أنتم من يقولُ
يا غربة تسري بنا خوضي،،
فطوبى للغريب وللغريبة
ليس يرضيهم قليلُ
يا فُلّةً تنمو خلاف الوقت
نامي في جفوني
في أمانٍ ليس يعروه ذبولُ
فلقد أتيت إليّ وقت اليأسِ
ثمّ نويتُ
فانتفض الصهيلُ
وأتيتِ في سحر الشقائقْ...
وأتيت أعذبَ من نغمْ..
وأتيتِ أكملَ من حلمْ..

** **

سأظل أبقى مازجاً لغتي
أغنّي

كلّما ناديتني والليل أطبق في وجلْ
متمسّكا باللحن
يصعد في ممّرات الأزلْ
وأمرّ بالموت القريب
وبسمة تعلو المقلْ
لغتي شعلْ
شعلي أملْ
والروح بين يديك ترتاد الأملْ
ولكم تسافر في المساء إليك روحي
كي تعبّيها غزلْ
كم صارت الدنيا لروحي راحة
مذ جئت يا نور السبُلْ
وأتيتِ جدّاً كالمشارقْ...
وأتيتِ في سحر الشقائقْ...
وأتيتِ أعذبَ من نغمْ..
وأتيتِ أكمل من حلمْ..

* طالب جامعي/ ك. الهندسة





شـــعـــــر

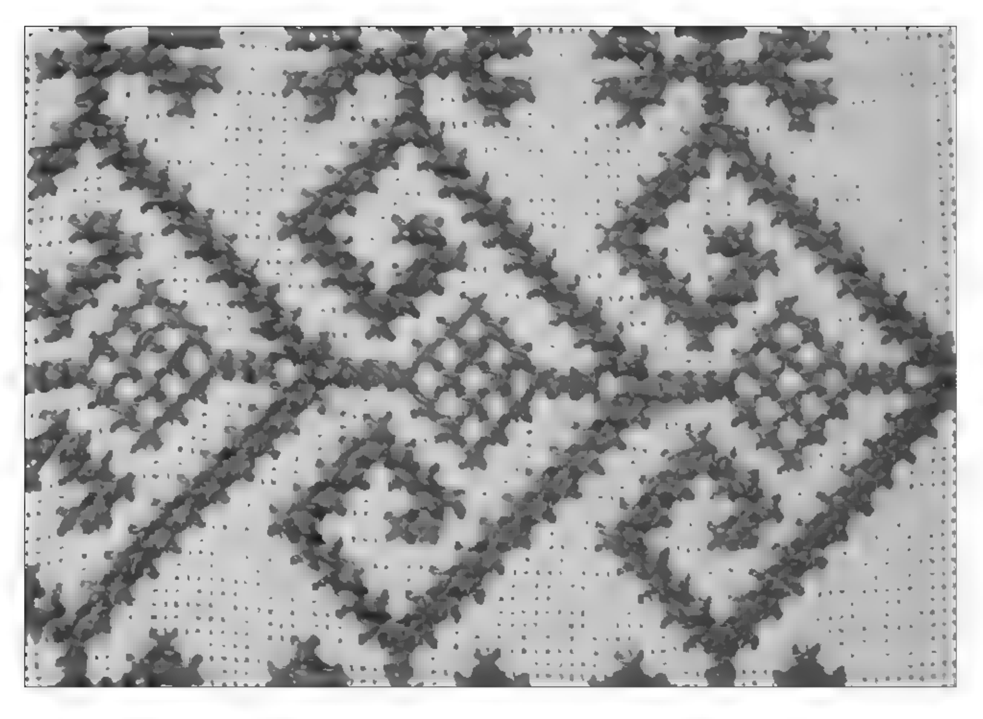
الذين رحلوا

عـبـد الـسـلام حـلّـوم *

الذين رحلوا
نسوا أن يغلقوا الشبابيك
ستدخل الريح
وتعبث برائحتهم المعلّقة على الحيطان
سيلوذ المطر
فتبتلّ الذكريات، ويوحل غبار حوائجهم
وسوف تعرف الريح أن لا أحد فتبيض زوبعاتها
وسوف يعلّق البرق على مطارح قناديلهم خصلاته الخاملة
وسوف يحين الهروب
للفراغ المزيّن بانتظارهم
سوف تقصم الرطوبة ظهر المسامير
التي انحنت تحت علاقات صورهم
ويؤطّر الصّدأ المساحات التي اختفت تحت لوحاتهم
ويسيل، يخدش أسرار قبلاتهم العجولة على الحيطان الخرس
سوف يحشر الرعد نفسه في صدى دبكاتهم ويسوّخه بالنشاز
والندى الساحب خيطانه من جرّة الصّبح،
كي يبني لوناً للماء على أصابعهم،
سوف يتدلّى من الشرفة كغصنٍ مشنوق
وسوف تقضي الشرفة باقي إسمنتها.

لا أكثر من غرّةٍ لحجر
سوف تمحو أوّل مطرة
فجوة ارتقابهم للتلاويح القصيرة في الزحام
ويبني الثلج أحلامه الهشّة على حواف استنادهم
ويجمد هديل حمام كان جاء بأفراخه
كي تتعلم الفضاء من نوافذهم
سوف تستغرب الشجرة
التي عصافيرها بعمرهم
فتطلّ برأسها، ولا شيء إلا أشباحٌ من جليد
تغتصب فلاتٍ ألقاها للتو عاشق قديم
سوف يحلّق الورق الفائت في الزوايا،
كاشفاً أنهم رحلوا هكذا بلا عناوين
سوف... لن يلبس البلور قميص الغبش المطرز بكلماتهم
وسوف تُجرّح كسراته مروري

* شاعر سوري





شعر

سلامٌ علينا

علي حسن الزهيري *

سلامٌ علينا...
سلامٌ علينا إذا ما مشينا سوياً
إلى الهاويهْ...
لنسلُكَ آخر دربٍ لدينا
ونجرع سقطتنا القاضيهْ...
ونبكيَ دهراً على جثتينا
ونوقنَ أنَّا بلغنا الذهولَ
وأنَّا تركنا السنينَ
على هامش الصفحة الخاويهْ...

تعبنا كثيراً...
ومتنا كثيراً...
وماتتْ ألوفُ القصائدِ
بين الغيابِ
وبين الرحيلِ
وبين التجرُّدِ من
سلطة القافيهْ...
سنبحر في آخر الليلِ سرَّاً
ونأخذُ زوجين من كلِّ شيءٍ
ونقطعُ أوداجَ كل المراسي
ونلقي بآخر شهقة حب
عروساً لموجتنا العاتيهْ...

سلامٌ علينا...
إذا ما أفقنا بُعيدَ الأوانِ
كلحنٍ حزينٍ ...
وليس هنالك إلا
شجيرة يقطيننا العاريهْ...

فممَ نخاف علينا؟؟
وممَ نفرُّ بهذي القيودِ
التي طاولتْ مقلتينا؟؟...
سلاماً... سلاماً...
على كلِّ سطرٍ
علته الدماءُ
بلا وجه حق
وجادتْ به الذكرياتُ
سلاماً على الليلة الماضيهْ...

قريباً...
سيطْلُعُ وجهي الحزينْ
وأفتح جرحي على دفتيه
وألقي بنفسي وشعري عليه
وأكتمُ صرختَه العاليهْ...

وأكبو مراراً على كبريائي
وأخطو إليَّ ...
أجرُّ انتظاري ...
بعيداً ... بعيداً...
كأنَّا التقينا...
كأنَّا سرقنا المحبة يوماً
فَرحنا بها...
فرَحنا... لأنَّا انتصرنا على راحتينا
رفعنا الخلودَ
فمات الأمانُ على قامَةِ الساريهْ...

عدونا... عيينا
ومتنا... نشرنا
رفضنا...
رضينا بكم الجراح التي قد جمعنا
لنبنِيَ منها الصُّروحَ
وتهدمها الموجة التاليهْ...

مللنا تقلب وجه الزمانْ...
مللنا التشرُّدَ واللا مكانْ...
شبعنا وعوداً..
شبعنا نَسُفُّ الجراح دواءً
وتبقى الجراحُ بنا خافيهْ...

سلامٌ علينا...
ونحن نَخُطُّ الطريقَ صُعوداً..
وحبواً... إلى المستحيل
ونجهلُ أنَّا ضللنا الطريق
وأنَّا ركبنا الفراغ
إلى سطْوة العاديهْ...

فقدنا الصراخ...
فقدنا حروف النداء علينا
فقدنا الحنين...
صلبنا الفؤادَ على
الأضلُعِ الباليهْ...

إلى أين يمشي بنا الكبرياءْ ؟؟
إلى أين نــحمِلُ..
ما قد تبقى لنا ؟؟...
وماذا تبقى؟؟...
حنينٌ ؟؟...
فؤادٌ ؟؟...
جراحٌ ؟؟...
حفظنا تجاعيد هذا الطريقْ
خسرنا النهايَةَ
واللابدايَةَ
عُدْنا نَلُمُّ الرؤى الحافيهْ...

حسبنا الوصولَ إلينا يسيراً
وغرَّت بنا الأمنياتُ
فَرُحْنا نَعُبُّ الغُرورَ
ونجري...
ونشعر أنَّا جُرِحْنا
ونجري...
ونلهَثُ خلفَ السنينِ
وأقدامنا في الشقا راسيهْ...

سنزعُمُ أنَّا وصلنا
وأنَّا بلغنا المنى في هدوءٍ
وأنَّ احتضار الهلال مريحٌ
وأنَّ السماءَ به راضيهْ...

* شاعر أردني



شـــعـــــر

حلـــــم

محمد حسن السواركة *

خلف ذاك الضباب
وكنا معاً..
أنت لؤلؤة وفؤادي محارة ...
كنت أجمل من عودة اللاجئين
وأوسع من فلك الاستعارة ...
خلف ذاك الضباب
وغنيتِ شعراً جميلاً لشمسي
ولاعبت أطفال روحي اليتامى
وهيجتِ بي ذكريات الحجارهْ ...
كان شعرك قافيةً من سنابلْ..
كان صدرك سرب حمامْ..
خلف ذاك الضباب وكانت أيائلْ..
تستحي إذ تراك وتنسى الكلامْ..
" كم أحبك " ...
قلت من خلف ذاك الضباب
وألقيت كفيك كالأرنبين على وجناتي
فأشعلت في الصدر ألف شرارة ...
وبكيت بكاء الزنابق تحت الندى
وهويت على صدري المستباحْ
لجنون الرياحْ
فلماذا بكيتِ ؟؟؟
ولماذا رحلتِ ؟؟؟
ولماذا صلبتِ يدي كالمنارة ...
خلف ذاك الضبابْ
ثمّ تشرق شمسٌ
تمرين بي وكأني ضباب
وتمضين نجماً أضاع مداره

---

* شاعر أردني

شعر

نكهة قهوةٍ..

محمد دحيات *

حسْنا ونكهةُ قهوةٍ
في صوتِها:
صبّي حروفَكِ
وامضغيني جملةً
ودعي نداكِ
على فناجين
الكلامْ
يستفّ ليلي
من وريدي
لسعةً للساهرين
وصوتها يستفُّ
من ليلي انبعاثاً
للنيامْ
يستنشقون
يفاوضون
حروفها
في كل حرفٍ
تشربُ النسماتُ
قهوتَها وتبعثُ من
خباياهُ سلامْ
تتقاسَمُ الأنواءُ
أحرُفَها .. تُبعثرُها
على حِدَةٍ
فأَجمَعُها..
أُتمتمُها..
وأُرسلُها
نشيداً لليمامْ:
شفّني الهوى عجباً
كيف شَفَّها الشَّغفُ
اسفٌ ومن أسفي

ليسَ ينفَعُ الأسَفُ
ليتَ أنّني حجرٌ
عندَ دارِها أقِفُ
ما سترتُهُ زمَناً
جئتُ فيهِ أعْتَرِفُ
مالنّي إذا ذُكِرتْ
أنتشي و أرتَجِفُ
ألبسُ الهوى أبَداً
والهُمومَ ألتَحِفُ
يأكُلُ النوى جَسَدي
والدموعَ يَرتَشِفُ
آهِ لو تُجمّعُنا
يا حبيبةَ الصُدَفُ.

* شاعر أردني



شـــعـــر

أينَ منّي المَكانُ

محمد عريقات *

1

بعيداً قريباً

منَ الظلِّ كنتُ

وكانَ اتساعُ فمي واضِحاً

لبناتِ المدارِسِ عندَ الظهيرةِ

يَصبُغْنَ بالأخضرِ العفويِّ

أرصِفةً،

رغمَ أنفِ الخريفْ

2

قريباً بعيداً

عن الحبِّ كنتُ

وكانَ دمي خالياً من زجاج

القوارير تعبُقُ بالخَمج

المستحبِّ!

تعالي لنبحث عن طفلنا

في الوعودِ نُلوِّنُ فطرَتَهُ

من عُريِّ حليبِك فوقَ المرايا

وعَبْقِ كحولي،

هوَ الحبُّ يجمعُ أضلعَنا

ثمَّ يأخُذ شكلَ سنونوةٍ

في قفصْ

3

بعيداً قريباً

من الجنسِ كنتُ

ولا شيءَ ينهشني غير جوعِ

الرّخامةِ للمُشتهى

أزرقٌ مثل إبطك،

لا القمحُ والملحُ يمنعُني

من مذاقِ الحضارات

في الأمنِ المطمئنِّ لذئبِ

يسمّى أنا في الأساطير
عمّا قريبْ

4

قريباً بعيداً
برغم دنوِّ العناقيدِ كنتُ
وكانَ ليَ الحقلُ رحباً
ورَبّاتُهُ يشتهينَ بيَ الذئبَ
خلفَ قناعِ النبيِّ
الذي آثرَ الروحَ في خلواتِ
المكانِ وأسدَلَ شهوتَهُ في ابتسامة!

5

بعيداً قريباً
من الحلمِ كنتُ
ومكّنتُ في الأرضِ رجليَّ
كي لا أتوهَ بأفْقِ الحداثةِ
عن أيِّ معنىً أرَدتُ،
وتجري القصيدة في الشعرِ
ساذجة مسّها الرّمزُ
يشهرُ مفتاحهُ صارخاً
أدخلوني

6

قريباً بعيداً
عنِ الموتِ كنتُ
فما زلتُ أعبُرُ في العمرِ
دون التفاتِ السنين
لما جفَّ من ورق الياسمينة
في ظلّها!

7

بعيداً قريباً
منَ العُنُقِ المتشبّثِ دفئيَ
يصحو المكانُ مريضاً
من النمنماتِ التي تتدلّى
كخيطٍ منَ النملِ

8

قريباً بعيداً
منَ الأمنياتِ هُوَ الواقِعُ
المتشبّثُ في قدَرٍ تافهِ الحَشوِ
حاصرَني في الدوائرِ
كي أستقيمَ على عِوَجِ الغيبِ،
ثمّة شيءٌ أقولُ ولكنْ لنفسي
التي تستعدُّ لمكرِ السؤالْ
مَن
مَن
مَن

9

بعيداً قريباً
وما بين بين الحقيقة والحلْم كنتُ
أهذبُ ذعرَ الشجيرات
مما تراهُ الجذورُ العنيدة

10

قريباً بعيداً

ووجهاً لوجهين كنتُ

وأكذبُ كذبة ذئب بأني

أطاردُ أمنَ الغزالةِ من أجلِ

بعضِ الغبارِ المُداوي

لِعَيْني !

11

قريباً بعيداً

مِن القفصِ الرحبِ

نحوَ غياهِبِ حريَّتي،

أستمدُّ الوقايةَ من شاعرٍ ماتَ يبحثُها

بينَ كحلٍ وجفنْ!!

12

قريباً بعيداً

عن السرِّ فيكِ، فينهضُ فيَّ الفضولُ

ليخمش غيم الأناضول

أزرقَ .. أزرق

يشرقُ بالمجد

حيثُ يفكُ الأحاجي

بزرِّي قميصٍ

ويبلعُ حشرجةَ الذكرياتِ

وما قد تبقّى لهُ في الهزيعِ الأخيرِ ...

13

قريباً بعيداً

يَراني المقيمُ المسافرُ

في بهوِ أغنيةٍ لا تؤدي لشاعرِها

في النهايات،

حيثُ تُسَيِّرُهُ لدهاليز فوقَ شفا فكرةٍ

كوَّنتْ من سماعِ الشريدِ

لخطْواتِهِ : أينَ منّي المكانُ...؟

---

* شاعر أردني



شعر

تلّ الهوى

مناهل العساف *

مِن بسمَةِ الليمونِ في تلِّ الهوى — تُهدي جراحاتِ الصمودِ لِمَن هوى
تَلقى نزيفَ الجرحِ مُبتَسِماً وَمن — حَرُّ الجراحِ سَقيتَ عزماً، فارتَوى
عيناكَ سِحرُ مدىً و زندُكَ مِنبَرٌ — والصبرُ ناصيةٌ وإيمانٌ قوى
وعلى ضفافِ النهرِ قلبٌ نابضٌ — عاثت بهِ نارُ الجريمةِ والجوى
وعلى ضفافِ الشوقِ ينتَفِضُ الهوى — و البابُ موصودٌ ودونَهُما النوى
و يدٌ تُمَدُّ فلا تُطاوِلُ جُرحَهُ — و اليأسُ أبعَدُ ما يكونُ إذا نَوى
عَهدي إليكِ بأنّ روحي صامِدٌ — و الزهرُ في عيني ربيعٌ ما ذَوى
ما همّنا مِن ألفِ بابٍ بيننا — و اللهُ وحّدَنا قلوباً في النوى

الحقّ «في قلبي وبين جوانحي» — يسري، يدكُّ البغيَ في موجٍ عَرِمْ
والنورُ يأبى أن يُطاوِعَ ظُلمَةً — تعلو ابتساماتُ الشّفاهِ على الألَمْ
واللهُ يرفَعُنا بعِزّةِ صبرِنا — فيقولُ:كُنْ. فيكونُ منْ بَعدِ العدمْ
ما همّنا منْ ألفِ بابٍ بيننا — واللهُ ينصُرُنا بإيمانِ عَزَمْ
وجّهتُ روحي نحو قبلَتِها أرى — ما لا يراهُ الكونُ في ذاكَ الحُلُمْ
قبّلتُ قُنبُلَتي وصحتُ بِقاتلي: — تبّاً لدُنيا تعتلي فيها الظُّلَمْ

منْ كبرياء الجُرح في عطر الدّما ... منْ رفعة الأرواح طافتْ بالحمى

تُسقى بذارُ الحقّ يثبُتُ أصلُها ... تمتدُّ رفعتُها فُروعاً في السّما

فيضُمُّ نزفُ الآه عزَّة ثائرٍ ... وعلى شفاه الجُرح يُعلي مبسما

و يضُمُّنا، والحقُّ يُرعدُ في الدُّنا ... ويصيحُ: ان الوقتُ أنْ تتقدّما...

---

* طالبة جامعية/ ك. الدراسات العليا







نضال برقان **

فراغٌ ضرير*

بِدون نباتٍ
بدون نوافذَ أو كلماتٍ
كأني فراغٌ ضريرٌ صدي
ثقيلٌ غيابُكِ في جسدي
أُلملمُ بعدَكِ ما يتساقطُ من أنجمٍ
ومواسمَ في الطرق المتعبات
أُلملمُ حلماً كسيراً بقلبي
وحلماً تكسَّر حين تنفَّستِ الحربُ
بعدَكِ
كانتْ ولمّا تكن بعدُ أُمّاً
فظلّت تموء على العتباتِ
وتنسلُ في وضحِ الوقتِ
ما نسجتْ أعينُ الأمهات
وتسلبُ ما ادّخرتهُ الصبايا
من الدمعِ والأُغنياتِ
لكِ الله أيَّتها الراحلةْ
لكِ الله
بينا الدجى يتشظّى بعينيَّ
تعمى نجومُ الفضيلة
تلكَ التي أشعلتها يداكِ بروحي

وأعمى

كأنْ لم نكنْ في مهبِّ الزمانِ

سوى لحظةٍ ذابلةْ

لكِ اللهُ

والدربُ مسلوبة لي

لكِ الله في كلِّ مفترقٍ

جاثمٍ فوقَ قلبي

ولي الريحُ مقتولة قاتلةْ

لكِ الله أيتها الراحلةْ.

وداعاً وداعاً بملءِ فَمي

لِما خلَّفَ الوقتُ من حُلُمي

وداعاً لِما زمَّلتهُ يداكِ

وهَدْهَدَ ليلُكِ من أنجمي

وداعاً لروحِكِ أهلاً وداراً

وسربَ قطا طائفاً بِدمي

كأنّي صدى موغلٌ في الضلالِ

ومحضُ غبارٍ على الكَلِمِ

كأنّي طريقٌ، كأنَّ الطريقَ

ذئابٌ وتنشجُ في ظُلَمي

وأنتِ المسافةُ بيني وبيني

وما بيننا من زمانٍ عَمي.

أشمُّكِ

من بعد عامٍ وزلزلتينِ

وبعد عناقٍ خجولٍ صدي

أشمُّكِ في جسدي

أشمُّ تراب يديكِ وأنسى يباسي

أشمُّ السهول على ضفَّتيكِ

فتخضرُّ روحي

أشمُّكِ في غربةِ الأبدِ

أشمُّ ضلالَكِ في خلدي

هادياً مهتدِ

أشمُّ صلاتَكِ دون صَلاةٍ

مع الله

أو مسجدِ

أشمُّكِ في جسدي

---

* شاعر أردني
* حائز على جائزة الدولة التشجيعية 2006



قصة قصيرة

في المقهى

أروى حسن السيد *

في المقهى، في المكان ذاته، في الوقت نفسه، أراه يحتسي فنجاناً من القهوة ويقرأ الصحيفة!

«ألا يمل من قراءة الصحيفة؟!».

كنت أتساءل.كثيراً ما اختلست النظر نحوه وأنا قابعة وحدي مثله في ركن من أركان ذلك المقهى العصري لأحتسي القهوة التركية أو «الكابوتشينو»، وأحدث نفسي بلا صوت. أحزنني جلوسي وحدي ذات مرة؛ وقررت أن أقتحم صمته.

«لم تعد تفرق!» فليعدّها وقاحة.تطفلاً، اقتحاماً، إرهاباً! سأجلس معه على طاولته وأشاطره الحديث. لم أعد أحتمل أن أكتم ما بداخلي، أريد البوح، لطفل، لحجر، لعصفور، لأي كان!

أحيانا حين تحدّث من لا تعرف تشعر بارتياح أكبر؛ حرية أكثر، يعتقد القريبون منك بأنهم يعرفونك تماما، لكنك حين تقترب منهم فعلاً سيكولوجياً لا فسيولوجيّاً يصعقون لمعرفتك. ويهربون أو يهاجمون. يشفقون أو يستهزئون. وفي كل الحالات يشعر الطفل الذي بداخلك برغبة في البكاء!

أترك زاويتي وأقترب منه. أنجح في رسم ابتسامة! وألقي التحية: يرد بلطف لم أتوقعه، و يطلب مني الجلوس كأنه كان ينتظر قدومي! هل كان يسترق النظر إلي كما كنت أفعل؟! ربما؛ فرغم كل الذي حدث، رغم كل ليالي السهاد والألم لا يزال الكثيرون يعتقدون بأني جميلة. ربما يزيد حزن نفوسنا من جمال أساريرنا. لكني لم أهتم لشكل وجهه أو عرض

كتفيه. فقط وددت أن أتحدث!
كنا في بدايات شهر شباط. المحلات كانت قد اصطبغت باللون الأحمر تعبيراً عن بهجة زائفة بما يسمى «عيد الحب!».
نثرثر قليلاً عن شؤون بديهية، عن الطقس، العمل. وأشعر بعد حين بالضجر يتسلل إلى نفسي، أنظر حولي؛ ثم أتمتم: «أكره اللون الأحمر!».
لا يرد لوهلة، أظن بأنه لم يسمعني، لكنه ينظر بعيداً لمحل زهور غطت واجهته زهور حمراء بلون الحب والموت ثم يهمس دون أن ينظر إلي: «لأنه يذكرك به؟!».
أذهل وأنظر إليه بعينين واسعتين، أسمع أنين حمامة في أذني! يتفتق جرح في أعماقي وأنزف، ألملم بقايا موتي وأتماسك قليلاً لكني لا أقوى على النظر إليه أكثر فأشيح بوجهي عنه وأنظر لمحل الزهور ذاته وبانكسار أرد: «كيف عرفت؟».
-«لأنه يذكرني بها أيضا!».
أصمتُ. وجدت جريحاً مثلي، ميتاً مثلي، مدمناً على القهوة مثلي، مدعياً لقراءة الصحيفة حين لا يكون يقرأها فعلاً مثلي، كارهاً للّون الأحمر ومشتقاته مثلي!
-«لذلك تجلس وحدك هنا كل يوم؟!»
-«ولذلك تجلسين وحدك هنا كل يوم؟!»
أحبس دمعة كادت تفر من عينيّ، وأهمس:
لم أكن أعرف أنه كان قادراً على أن يتوقف عن حب من يحيا بحبه يوماً ما، اعتقدت أنه شعور خالد كما كذب علينا روميو وجولييت!
ينظر إلي بحزن، وأنا لم أعتقد أنه بإمكانها أن تستبدلني بآخر، ظننت أني الأوحد بحياتها!
أضحك وفي عيني دموع! ظننت أنني الأولى والأخيرة بحياته ليضحك هو أيضاً بحزن: وصدّقته؟!
أتوقف عن الضحك: صدّقته! بلهاء! أليس كذلك؟!
-بل أحببته! ليس هناك فرق كبير!
أحزن مرة أخرى:كان محاميا!
-كانت طالبة فنون!
-كان وسيماً جداً! أسمر بعينين حالكتين!
-كانت جميلة جداً! بيضاء! في عينيها الخضراوين بريق!
-لكنه كان كاذباً! وكنت أصدقه!
-لكنها كانت لعوباً! وظللت أحبها!
ونقهقه معاً! نقهقه بصوت مرتفع حتى تمتلئ أعيننا بالدموع!

أتنهد: يا ليتني لا أحبك! يا ليتني لا أحب!

- ليشفى الرخام! يطير الحمام! يحط الحمام!

تحفظ القصيدة؟!

كاملة!

-تبكيني!

-تشعرني بالبرد!

-لم أنم البارحة!..تذكرته!

-ذكراها تعيدني طفلاً صغيراً محتاجاً لحضن أمه!

-لِمَ يكذب البشر؟!

-«.........»

-«لِمَ يقسون؟!

-«.........»

-«لِم يقتلون من يحبهم؟!

-«لأنهم، ببساطة: بشر!

-أحببته! لطالما لهج لسانه بحبي! ثم تلاشى فجأة كحلم!

-أحببتها! لطالما أخبرتني بأني الأوحد في حياتها! بل حياتها ذاتها! ثم انتهت المسرحية التي كنت بطلها التراجيدي!

-ألا نستحق الحب؟!

-ربما هم لا يستحقون حبنا!

-أتعلم: أحزن كلما رأيت اثنين معاً! أعلم أن أحدهما مشروع قاتل!

-وأعلم أن أحدهما سيبكي يوماً!

-استطعت أن تنسى!

-أحاول!

-أبذل جهداً كبيراً لكي أنسى!لم أستطع بعد!

-سنحاول! على الأقل هم لا يستحقون موتنا!

-فعلاً! تظن! سنكون أقوى؟!

-سنحاول!

-لكني سأفتقده!

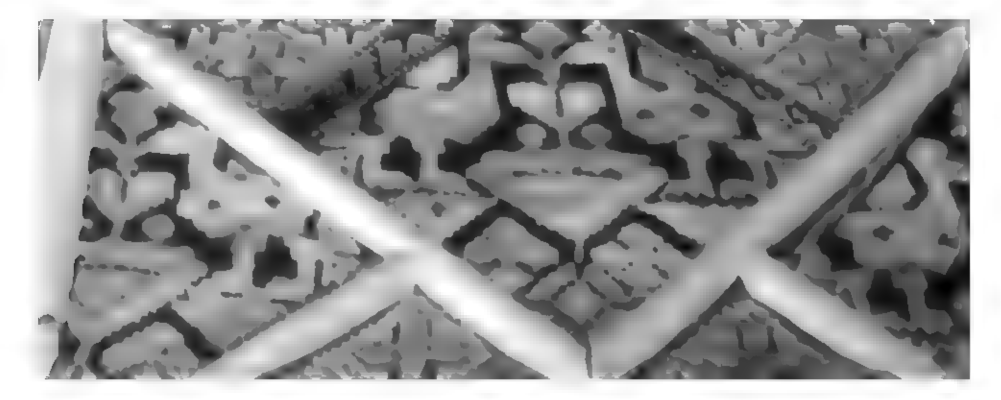
-وسأفتقدها!

-ما يقتل كل يوم هو ذكراه! القهوة التي كان يشربها! العطر الذي كان يتعطر به! وردة التوليب التي كان يحبها!

-مشيتها! رنة ضحكتها! شعرها المجنون! قميصها الأزرق بلون البحر!
-سأفتقده! في ليالي الصيف! قرب المدفأة في الشتاء! في يوم ميلادي! في كل لحظة صمت!
سأفتقدها! صوتها في الهاتف كل يوم! أسورتها الفضية! وقع كعب حذائها على الأرض!
إلى الآن لم أفهم! لماذا؟!
-ربما من الأفضل أن لا نفهم! الجهل! نعمة!
- أشعر.. بأن.. لاشيء!
-مشاعري كلها صارت سيان! كطعم القهوة في فمي! ما هو اليوم؟!
-الأحد!
-وغدا الاثنين! لا فرق! كل الأيام متشابهة!
-والساعات والدقائق! سيان!
ما اسمك؟!
-جريحة! وأنت؟!
جريح!
أبتسم.. أنظر إليه كأني أراه للمرة الأولى.. لم أنظر إليه فعلاً خلال حديثنا، وألاحظ هذه المرة وسامة وجهه وحزن عينيه السوداوين.. وأشعر باللاشيء مرة أخرى! أطالع الساعة المعلقة بالحائط وأهم بالانصراف! أمد يدي مصافحة!
وقبل أن أغادر، أقول فيما يشبه الهمس:
-على فكرة.. لم يعد اللون الأحمر يزعجني لهذه الدرجة!
يبتسم.. تلتمع عيناه وهو يرد: وأنا!

---

* قاصّة بحرينيّة



قصة قصيرة

نهر الدم

بسام الطعان *

الليل لآخر نجومه، كان يبوح بعتمته حين رن الجرس على غير توقع ، ثم ران صمت، ثم بدأ باب السيد «عزيز» يطرق بعنف ، فاستيقظ ، لكنه لم ينهض من سريره ، وحين استمرت الطرقات بشكل سريع وقوي ، أوقدت الارتجاف في مسامات جسده وألقت به في أعماق الهواجس.

بعد أن هبت روائح الخوف من كل الجهات ، وتاه بين الفروض والاحتمالات، قفز من سريره قفزة واحدة وهرع نحو الباب ، بينما نظراته تطوف في كل مكان من البيت. ترنح نهر من الخوف على شفتيه عندما رأى شيئاً لامعاً وبارزاً من الباب . قلبه ذهب في طريق ، وجسده في طريق ، في تلك اللحظة ، شعر بغليان دمه وأدرك أنه داخل جهنم لا محالة. وحين تحرك ذلك الشيء اللامع ، بدت نظراته محايدة، فلا تشاركه حزناً أو فرحاً، نسي أفكاره عند حافة الوجع وبدا مثل من يفقد الإحساس بأطرافه، كأنه مفصول عن العالم بسكين صدئة ، كانت ثمة يد بقفازات رصاصية تخترق الباب الحديدي، وبين أصابعها رسالة مطرزة بخطوط فضية ، ظل يتطلع إليها إلى أن تحركت اليد مرة أخرى في إشارة أن يتسلم الرسالة. ماذا عساه في لحظة كهذه أن يفعل سوى أن يشعل قناديل فوضاه ، ويبدأ قلبه بالاستعداد للتوقف .

تنفس من بقايا روحه، بعدما لملم لهاثه المتناثر طرز قلبه بالشجاعة وتناول الرسالة بيد راعشة، وراح ينثر من شفتيه الكلام.

ما إن نامت الرسالة في يده ، حتى انسحبت اليد بهدوء والتحم الباب من جديد وكأن

شيئا لم يكن ، حينئذ كانت أقدامه شجرة في عاصفة ، حاول أن يعود إلى غرفته لكنه لم يستطع ، ودون وعي فتح الباب وراح يحدق في لهفة عارمة في غبشات الفجر الوليد ، فلبسه السكون ، وما صادف سوى دقات قلبه المتسارعة ، ولكن أمام ناظره بدت الأرض مرآة ، ونبضه في المرآة صرخة عالية .

كانت زوجته قد استيقظت بسبب الحركات التي رافقت دخوله إلى الغرفة ، فسألته عن سبب خروجه ، فنظر إليها بعينين ذابلتين ولم يجب، لأن الكلام كان قد اهترأ على شفتيه ، وكيف لايهترىء وقد بدا مثل مدينة منكوبة ضربتها الأعاصير - النظرة تشكو الخوف وتريد أن تبوح ولكن اللسان عاجز.

جلس على حافة السرير وقلبه الشاحب يغني صدى نبضه النابض ، خاف أن ينام على الرغم من أن النوم في أحداقه كان يرف كالطائر السجين - هو الخوف أو إحساس بحجم الموت.

عادت زوجته إلى سباتها ، وكان الفجر وقتئذ قد نزل من على سلالمه، فشعر بأنه طائر في قفص ، حاول أن يفتحه ، ولكن ثمة قوة طاغية هيمنت على أعصابه فأتلفتها مسح عرقا نبت على رقبته وجبهته ، وأخذ يتطلع إلى زوجته النائمة بجسدها الضئيل فبدت له كتلة جامدة لا حراك فيها .

كان كلما يحس بشيء من اليقظة، ينظر من حوله ، فيرى ما يشبه العتمة ، وبين ما يشقي ويدمر ، أخذ يصارع نفسه التي بدت مثل أغنية حزينة ويستنطقها : «هل هذا كابوس يجثم على صدري أم حقيقة ؟

حاول من جديد أن يخفف من وطأة ما ألم به ، ولكنه التم فجأة على أفكار ورؤى حارقة اقتلعته من هدأته .

حين قرأ الرسالة التي ملأت عالمه بهسهسة الرثاء ، ولم تمنحه إلا الحرقة والأوجاع المستبدة، مارس كل ما لا يخطر على بال ، وبعد أن تحمل كثيرا من مرارة الخوف والكآبة ، وبعدما جافاه النوم طويلا، قرر بما لا يقبل التراجع أن يذهب إلى المخفر. لماذا يضيف عذابا إلى العذاب؟ ألم يكف أنه لم ينم منذ يومين ولم يذق طعاما رغم توسلات زوجته التي بدت حائرة من كل تصرفاته.

خرج من البيت وهو للخلاص ينادي تاركا قدميه تبتلعان الأرصفة، رصيفاً تلو رصيف، وفي آخر رصيف وجد نفسه أمام المخفر .

ظل يحاور وحدته ويبث شكوى ظمئه ، بينما ذاكرته ما تزال تجرجر صورة الرسالة التي مضغته ثم تقيأته ، وقبل أن يستعد للدخول ، تساءل في داخله للمرة الأخيرة : «هل كنت نائماً أم يقظان ؟ هل كان حلماً أم حقيقة؟.. لا،لا.. كنت يقظان بالفعل وها هي الرسالة معي ، في جيبي».

فتح الضابط الرسالة المطرزة بخطوط فضية وقرأ بصوت مسموع:

. السيد (عزيز) ستسقط في دوائر الدم

تطلع الضابط إلى من حوله ، ثم إلى السيد عزيز :

من أين أتيت بهذه الرسالة ؟

بعد نصف ساعة من الأسئلة والأجوبة ، حاول الضابط أن يخرجه من المساحة السوداء التي أحكمت عليه بالخناق ، وتحت تأثير إحباطات متكررة ، ترسخت لدى الضابط قناعة تامة ، بأن السيد عزيز راكض وراء أوهام ، ومن العبث أن يصدق كلاماً كهذا، خاصة أنه كاتب معروف ومحبوب من الجميع.

حين لج في كيفية الخلاص قال الضابط بهدوء ولكن بنفاد صبر :

. أنتم يا معشر المثقفين ألسنتكم طويلة ولكم تصرفات غريبة ، أو هي من أحد قرائك الذين يحبون المزاح .. إنها مزحة لا راحت ولا جاءت ، ولكنها بالتأكيد مزحة ثقيلة فلا تهتم ولا تخف .

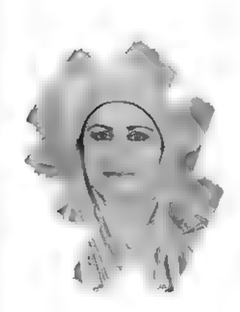
بعد أن غادر المخفر، كانت رسالة مماثلة من ناقد مشهور قد سلمت إلى المخفر، وبعدها رسالة أخرى من قاص وروائي فيهما عبارات مماثلة لرسالة السيد عزيز، وبعد خمسة أيام ، وجد أحد الرعاة جسداً دون رأس على حافة النهر وبعض أطرافه معلقة على عصا مغروزة في الأرض ، وبعد أيام أخرى وجدت جثة أخرى وبالسيناريو نفسه .



* قاص أردني



قـصــة قـصـيـرة



صـفـيـة الـبـكـري *

احتضـار

مرّ الوقت بطيئا. ثقيلا كإحساسه بالأشياء في أثناء غيابه. قد ينسيه التسامر مع من يحب تلك الحادثة، خطت يداه توقيعا لضابط الشرطة، تعهّد فيه ألا يقل قاربه الذي شق جراح مياه ذلك البحر أحداً. جلس بينهم وهو ما يزال كالغريق. انتزع قلمه من جيب بنطاله، أخذ يفترش الطاولة وهو ينحّي جانبا تلك الكؤوس، يذكر أنه احتسى كأساً منها مع أحدهم يوما. سقطت نظراته على وجوه المحيطين به. يوجّه إليهم أحاديثه. يومئ برأسه وكأنه يفهم ما يقولون، أشاح بوجهه إلى هناك: البحر، آثار أقدام، الموج الصاخب، الجميلة، بقايا مجداف، منديل أخضر .

راح يستذكر جمالها الهستيري الذي عفّر بالوحل ذاكرته، وضيّع حياته الهلامية دون أن تمنحه لحظة حب واحدة حقيقية، استجمع شتات شجاعته، أراد أن يكشف عن أوراق قلبه، مشت باتجاه قاربه خافضة الرأس ربما لتتأمل آثار قدميها المطبوعة على الرمال.

بهدوء صامت أجلسها القارب، جعلها تمسك بأحد المجاديف مثلما تمنّت وأمسك هو بالآخر. لفّت منديلها الأخضر على خاصرة المجداف الذي تضربه مياه البحر، غابا مع عيون تلك الأسماك الموحشة. كان يهيم في مد من خضرة يعكسها في زرقة الماء حينما قدمت تلك الغيوم السود، ربما تكون روحاً شريرة، صوت المجاديف ما يزال يشق جراح المياه بعمق، ضوضاء، دوامات من عويل أخرس لتسكب في أذنيه، كلما تذكر مصارعته الموج بحواسه وبصيرته ومحاولته إنقاذها.

أهو الموج الصاخب الذي حملها إلى عمق البحر أم أنها ألقت بنفسها إليه مودعة منديلها الأخضر المتشبث بخاصرة المجداف؟ أخذ يحفر بقلمه أرض الطاولة الخشبية وكأنه يحفر قبراً. اللحظات الحرجة تمر. الوقت يمضي مسموماً بعذوبة، الخوف يحتضر في أعماقه.

والقلم يهتز بين أصابع يده كما يهزه الألم الذي يعانده كالعاصفة.

شده أحد أصدقائه من قميصه، أحس أنه في مهرجان صامت، عرته هزة حيرة يشوبها خوفٌ أنثويّ حينما تناول المنديل الذي أخفاه في جيبه، أعاد ترتيبه من جديد كما أعاد ترتيب كلماتها الصمّاء.

جاءه صوت أحد الأصدقاء، طوّقه، حدّق في صاحب الصوت، وصرخ في نفسه، كانت الأصوات تلج رأسه وتتحول إلى كتل جليدية تذوب تدريجياً كسنين عمره، لم يعد يحس حاله كما عهدها، وبدا له أنه كبر سنين وسنين.

ودّع من كان معه وغاب في مشيته التي باتت منفصلة عن رمال الشاطئ، ينظر آثار قدميه المحفورة على الرمال، كان الظن أن الهوس الذي أصابه ينبع من إحساسه بالذنب لرحيلها إلى أعماق البحر، إلا أنه ما يزال يذكر كلماتها حين سألها: أيسكن هو في زاوية من زوايا قلبها المفعم بالأشياء؟

بريق عينيها كل ما يذكره وهي تتأمل زرقة مياه البحر كأنها تراه لأول مرة، تضغط بقبضتي يديها على صدرها متأوهة: هذا القلب لن يعمّره يوماً رجل!

أمسك بمقبض الباب، أحس برغبة في النوم، جلس على المقعد ورفع قدميه فوق الطاولة، زجاجة عصير مجاورة لقدم الطاولة ، رمى بإحدى يديه جانباً فانسكب ما في الزجاجة، أخرج المنديل من جيبه، رمى بجسده المتهالك على السرير، لم يشعر بشيء سوى السائل الشفاف الذي ملأ حدقتي عينيه، أغمضهما ومضى بعيداً .. إلى الوراء!

* قاصّة أردنيّة



قصة قصيرة

تأخرتَ جداً...

ماجدة العتوم *

لا أعلم ما يقصي الجسد عن ذهني وتفكيري، ربما لاعتقادي الدائم أن الأجساد تتشابه، أما ما يختلف فهي الأرواح...حتى أتيت، اشتهيتك حقا، وأغلب الظن أنني اشتهيت فيك استحالتك وعدم تمكني من جسدك، كنت واثقة أن ما أحسست به كان هو ذاته ما أحسست أنت به، فلماذا الاستحالة؟ غمزتني بطرف عينك ورسمت ابتسامة خبيثة على شفتيك، وكأنك تناديني إليك، وفي حقيقة الأمر لم أستطع مقاومة ندائك السري السحري؛ لذا تبعتك، سرت خلف شبحك، أتبع رائحة عطرك التي عبأت روحي وفاضت عني، كان ظلك الطويل يغطي مساحة كبيرة من الممر الذي لم أك أعرف إلى أين ينتهي، سوى أنه لا بد يؤدي إليك، لذا أسرعت قليلا، كانت أطراف أصابعي تطأ نهاية ظلك، ما أطولك! ما أحلى أن تجد المرأة رجلا طويلا يحبها! هكذا تفكر الفتيات دائما، وفي تلك اللحظات فكرت مثلهن.. ما أطول الممر أيضاً! وأنا لا أرى منك ومنه سوى ظلك، لكنني سأواصل مطاردتك، أو لعلني أواصل مطاردة شهوتي المفاجئة! لا أعلم، أنا متأكدة أنني أريدك جداً، أريدك حتى النفس الأخير، ولكن لماذا لا تتوقف قليلا وتنتظرني؟! ألم تومئ لي بطرف عينك "تعالي"؟ ألم تهتف لقلبي " اتبعيني"؟ أم تراك تستمتع بمطاردتي لك ويرضي غرورك ألا أتوقف؟ وأنا لن أتوقف فعلاً، بالأحرى لم يعد بوسعي أن أتوقف. أحس أن إرادتي وقدرتي على إنهاء هذه الملاحقة، التي لا نهاية واضحة لها، قد سلبتا مني... لا بأس! عليّ أن أمضي وراءك بكل ما أوتيت من قوة، ومن رغبة. تفاجئني قدرتي هذه على الاستمرار، فما أعرفه عن نفسي، أنني انهزامية وسريعة الاستسلام. لا بد أنه

سحرك.. فجأة، وأنا أسير خلف ظلك، تذكرت أنني حلمت بك ليلة أمس، كنت واقفاً، تحمل على كتفك حقيبة سفر سوداء، لما رأيتني، مشيت باتجاهي، وقفت معك قليلا، قلت لك كلاماً لا أذكر منه الآن شيئا، ثم مضيت وتركتك وعلى وجهي مسحة حزن عميق.. ترى ماذا قلنا؟ وما الذي أحزنني منك؟ أدير وجهي عن حلمي وأخشى أني أضعتك، كان ظلك لا يزال يتقدمني، وعلي أن أتبعه، يؤرقني ألا أرى منك سوى ظلك! لم لا أرى وجهك؟ أشتاق إلى وجهك جداً..أتمنى رؤيته، لكن.. لا يزال بوسعي أن أحلم، وأن أرى وجهك الجميل في مخيلتي. هل أنت جميل حقاً؟ أظنك أجمل مما أستطيع تخيله، ما أجملك! في ملامحك انسجام استثنائي، حيث لا يمكن اكتشاف أي خلل أو عيب في جسدك.. أنا أعرفك جيداً، بل وأحفظك، وكأنني قضيت معك ليالي طويلة، أعرف ملمس جسدك، وأحفظ تعرجاته وانحداراته، ولكن أي تهمة هذه التي ألصقها بنفسي؟ لا أدري! فقط أشتهيك جداً.. أستيقظ من غيبوبتي على صوت يأتي من آخر النفق يقول لي " تأخرت". هل كان ذلك الصوت صوتك؟ لا بد أنه أنت! تبعت مصدر الصوت، وصوتك هذا حكاية لذيذة.. فأنا لم أسمع صوتك سوى مرة واحدة، وأنت تتحدث إلى إحدى رفيقاتي، أتيت إليكما في نهاية حديثكما، أومأت لي بطرف عينك "مرحبا" وأظن أن صديقتي لم تعرفنا ببعضنا، وأظن أنها تعمدت ذلك، لا أريد أن أفكر بذلك الآن، فلقد لمحت في عينيك اهتماماً جعلني أنسى أن أعاتب صديقتي، أو أن أحقد عليها. والآن هل أنا واثقة أن هذا الصوت هو صوتك؟ لا أريد الآن أن أفكر بنسب احتمالات "اللا" و "النعم"، أريد أن أمضي حتى النهاية، ولا بأس إن كانت تلك نهايتي.. يمر في خاطري كيف أتصرف إن وقفت أمامك؟ ماذا أفعل إن واجهت نظرة عينيك؟ أخشى أنني سأهرب؟ لا .. ليس معقولاً أن أهرب بعد كل هذا التعب وهذه المطاردة؟ وما أزال أركض لاهثة خلفك.. ما أبعدك عن ظلك! أجزم أن امرأة خلفي .. مثلي تجري وراءك، فهناك طقطقة حذاء أنثوي جدا أسمعها ورائي، ثم تصير إلى جانبي تماما، ثم ها هي تتقدمني ثم تسبقني إليك.. ما بي؟ لماذا أجزم أنها تمضي إليك؟ ولماذا أتركها تسبقني؟ ما بي؟ أنا متعبة، أحس أن الإعياء قد نال من جسدي الهزيل، هل أتعبني السعي وراءك؟ لا، أظن أنني جئت متعبة أصلاً، لكن حلمي بالوصول إليك أنساني التعب القديم، وها قد تذكرته لما شعرت بوجود أخرى تطاردك، هل كانت هي من كنت تناديها "تأخرت"؟ وهل كان ذلك الصوت حقا صوتك؟ ها أنا أستعيد طبيعتي الانهزامية، ها أنا أنكمش على ذاتي، وأسأل نفسي "لماذا تكبدت كل هذا العناء الجسدي والنفسي في البحث عنك؟ بل وماذا أريد منك؟ هل أعرفك؟ وأين شهوتي التي تولدت فجأة؟ هل ماتت؟ آه، أين ظلك؟ أظن أن ظلك التحم بظل آخر أقصر منه قليلا، تراءى لي أنك تضع ذراعك على كتفيها، بينما هي تلف بذراعها خاصرتك، وتمضيان معا، يتلاشى الظلان..ويضاء الممر الطويل، لا أحد هنا سواي.. ما

أشد وحدتي وما أقساها! أضم حقيبتي بيدي على صدري، أفكر بريحانة الدار والدار، أفكر برسائل كثيرة كتبتها إليك، أوصيك فيها بريحانتنا. أظنك نسيتها ونسيت الدار وكذا نسيتني.تماما مثلما نسيت أنا وأنا أمضي خلف لحظة لا تتكرر، نسيت أنني لم أمتلك يوما نعناعة في بيتي، وأنني لم أعرفك جيدا .هل كانت "مرحبا" التي همست لي بها يوما كافية لأشتهيك وأتبعك؟وهل كانت تكفي لأحلم بك كما لم أحلم يوما بأحد؟ أعود أدراجي باتجاه المكان الذي لا يفهم حلمي، أمشي بطيئة الخطى،مثقلة الإحساس بالخيبة والأسى..على عتبة الدار أجد شتلة ريحان شديدة الخضرة، وعلى أحد فروعها الصغيرة ورقة مكتوب عليها بخط جميل "انتظرتك جدا، تأخرت"..أتلفت حولي، يتسارع نبض قلبي، يشتد انقباض حاجبي، أكاد أبتسم وأبكي أيضا، أفتح كفي،ثم أبدأ بصراع جديد "هل هذا الخط خطك؟"....

* قاصّة أردنيّة





قصص قصيرة

يسرى خضر أبو غليون *

أبقار متمردة

بقرة أم عرب بقرة متمردة فقد كانت تهرب من الحظيرة باتجاه المستعمرات البريطانية وكان هذا الأمر يقلق أم عرب فكانت تردها بخوف وتعتذر للجنود البريطانيين عن سوء تصرف البقرة، مضت الأيام وازداد تسلل البقرة وازدادت مخاوف أم عرب من فقدان بقرتها فالبقرة مهددة بالقتل في أي لحظة.

شاورت أم عرب جارتها العزيزة أم إحسان فنصحتها ببيع البقرة فستستفيد من ثمنها على الأقل قبل أن يقتلها الجنود البريطانيين وفعلا باعت بقرتها بثمن بخس، أربعة دراهم وخبأت ثمنها في الصندوق الأسود ولكن بعد يوم واحد من بيع البقرة فوجئت أم عرب بالجنود البريطانيون يطوقون المنزل، دهشت فالبقرة قد بيعت ولم تعد تتسلل إلى المستعمرات فلم كل هذا التجمهر العسكري أمام بيتها؟ ولكن دهشتها زالت عندما سألها الجندي عن البقرة فأخبرته بأنها قد باعتها حفظا لحقوق الجار فأمرها الجندي أن تعطيه ثمنها خوفا من أن تشتري سلاحاً وتهدد أمنهم وبدون احتجاج أعطته الدراهم ولكنه لم يصدق بأن هذا المبلغ الضئيل هو ثمن البقرة فاقتحم وجنوده البيت وفتشوه حتى وصلوا إلى الصندوق الأسود واستولوا على كل ما فيه من حلي ونقود فالبقرة كما يراها الجنود سمينة وتساوي الكثير. تندمت أم عرب على بيع البقرة وتمنت لو ذبحتها وأطعمت صغارها الجياع.

صور

أيقظت صور المجزرة الأخيرة كل مشاعر الغضب والثورة الكامنة في صدر «أبو أحمد» المعيل لعشرة أطفال؛ فقرر بكل عزم أن يضحي بحياته في سبيل إرضاء ضميره فهو يشعر

بعقدة تدمير الذات يسببها الشعور بالتقصير تجاه الوطن فقرر أبو أحمد وبكل إصرار أن يستشهد .

وفي صبيحة يوم مشمس ودع صغاره وزوجته وحزم أمتعته ولكن وقبل ان يخطو خطوة واحدة خارج حدود القرية قرر أن يستشير أبا سلام شيخ مسجد القرية ومفتيها فهرول إليه ليبارك له هذه الخطوة الجهادية لكن «أبو سلام» قتل فيه كل حلم بالاستشهاد بل أخذ يؤنبه لتركه أبناءه العشرة دون معيل فمن الأولى أن يجاهد فيهم فلمن سيتركهم لا معيل ولا مطعم؟ ولم يكتف الشيخ بالتأنيب بل أفتى بحرمة العمل المزمع تنفيذه في ظل هذه الظروف .

رجع أبو أحمد مكسور الخاطر حزين الفؤاد إلى بيته مفكرا بكل شيء إلا في الاستشهاد ومنذ ذلك اليوم لم يسمح لمخيلته اجترار صور المجازر بل بلقمة العيش والسبيل لتامين مستقبل الصغار ولكن تلك الصور ما برحت تطارده وتحرك في نفسه مشاعر الألم والانتقام فعادت فكرة الاستشهاد تقرع أبواب ضميره أقوى من المرة الأولى فأيقن أبو أحمد بأن الوقت قد آن وأن ساعة العمل الثوري قد دقت معلنة الجهاد. ومن غير تفكير انطلق يجوب بيوت القرية مستديناً من كل بيت مبلغاً من المال وقد أبدى أهل القرية تعاوناً في إقراضه عندما علموا نواياه الثورية فجمع مبلغا كبيرا يكفل حياة صغاره حتى يكبروا وأودع هذا المبلغ زوجته آمرا إياها بالاقتصاد وعدم الإسراف في الإنفاق فهذا المال سيكفيهم حتى يكبر أحمد ويسدد الدين ويعيل الأسرة. حزم أبو أحمد أمتعته من جديد وتوجه بسرعة إلى «أبو سلام» والفرح يغمره لكن «أبو سلام» أخبره بأن الله لا يغفر دين الشهيد فقد كان من الأجدى ألا يستدين من أحد. جن أبو سلام وطفق إلى البيت منزوع اللب ففوجئ بامرأته قد أنفقت كل ما استدان من نقود فجن جنونه وأخذ يضربها ويشتمها وقضى بقية عمره يسدد ذاك الدين غير مبال بالصور.

تجارة رابحة

الحاجة أم سلامة تاجرة مخضرمة ومفاوضة من الدرجة الأولى فخبرتها في مجال التجارة جعلت منها أهم بائعة حلاوة في القرية . فدكانها لا يخلو من الزبائن أبدا حتى أيام الجمع والأعياد والعطل الرسمية وغير الرسمية وكان نجاح أم سلامة الباهر مدعاة فخر واعتزاز لها بين أترابها من العجائز بل إن الجميع كان يحسدها لنجاحها الباهر. لكن أشد ما يثير العجب في تجارة أم سلامة أنها لا تبيع سكان القرية بل تبيع أناساً آخرين مجهولين لأهل القرية.

مرة سألها مختار القرية عن سبب عدم بيعها لأهل قريتها فردت عليه بحنق: أنتم لا تدفعون لي كما يدفع لي هؤلاء الخواجات. وكم يدفع لك الخواجات؟ سأل المختار، فردت أم سلامة: ما عليك مخبأ يا أبا صالح أنا أشتري تنكة الحلاوة بخمسة دراهم وأبيعها لهم بثلاثة دراهم وكل يوم أبيع ما يقارب الثلاث «تنكات» فأربح يوميا 12 درهماً أصرف درهمين مواصلات والباقي أشتري فيه حلاوة لليوم التالي.

* طالبة جامعيّة/ك. اللغات الأجنبية

ذكريات ميتة

إيمـــــــان عـــــوض *

كانت من اللحظات التي احتبست فيها أنفاسي، يومها وقفت أكثر من زمن تلك الدقائق لأحدق بملامح وجهها. نطقت بكلماتها الأخيرة وغابت بلا عودة. تركت لي قصتها دون أن تعطيني عنوانا أبدأ به.

وها هي من جديد تتراءى لي كلما نظرت إلى طفلتها العابثة وهي تعدو هنا وهناك تكاد أن تكون صورة عن أمها. نظراتها مختلطة بمشاعر مبعثرة. شعرها البني الأجعد. لون بشرتها المائل إلى الصفرة .كلها ..كأنها هي .....

توفيت صديقتي منذ زمن ليس ببعيد. غادرت حياتها لتغادر عذاباتها، وتترك لي ابنتها الصغيرة فأراها كلما نظرت إلى عينيها، وانتظرتها لتكبر حتى تملأ فجوة تركتها أمها في قلبي. وأحلم بذلك اليوم الذي تجالسني وتسامرني فيه كما لو أنها أمها .. "سلمى"

والآن .. بعد مرور كل هذه السنوات، تلاشى العبث الطفولي، واكتملت الملامح الأنثوية لتعود لي سلمى من جديد. لقد انتظرت عودتها سنين طويلة ، كما لو أنني انتظرت صديقتي كي تعود إلي .

أسرعت إليها وشريط العمر يسبقني، لأضمها إلى صدري. ولأطلعها على ذكريات حملتها كل تلك السنين، لعلها تنفض الغبار عني وعنها.

وها هي سلمى أمامي.. وها هو الزمن يعود بي ثلاثين سنة إلى الوراء . اقتربت منها لأتفاجأ بأحضان باردة، وقبلات عابرة، ونظرات سريعة وكأني بها تنتظر من يأتي بعدي

حتى تسلم عليه.

حبست أنفاسي من جديد . عدت أدراجي مثقلة بأحلامي الميتة، وما تبقى من أشلاء ذكرياتي ..وما علق بي من أحزان! ... وها أنذا أجترّ الماضي المتعب من خلفي.. وقد آن لي وله أن نستريح..

---

* قاصة أردنيّة



حين بوح...

سلمى عبدالله عويضة *

تدخل مسكونة بأحلام موعودة بالمطر... لتعدّ فنجان قهوة باهتاً .. كئيباً..... وآخر ليضفي نكهة بوهجٍ أخّاذ...يسبي اللحظة ، ويمنحها زمناً من الكثافة المذهلة، تعيش سنيّها... في بضع ثوانٍ أو أقل!

تسكب القهوة ليعتبق المشهد بضباب أثيري.. يمنح المكان إغفاءةً من زمن ما قبل التعتّق بالحلم..والوهم ..والحنين..!!

فها هي ذي تعدّل جلستها أمام كرسي فارغ! وتقدم الفنجان لفراغ استدعته هي بكامل إرادتها !!! حتى يتموسق الرشف على هدير تسلل خيط من صوت كمنجات بعيدة ...

يعزفها عاشق أصم استهوته أوتارها المبتورة!

تستدرك قطعة السكر، وتضعها مستأذنة في فنجان ذلك المستدعى على الكرسي الفارغ! أظن هكذا يبدو طعمها أفضل !!!

تقول نيابة عن الفراغ..

تتململ وكأنها ترغب بالبوح عن طعم صراخ في لسانها .. تعبّ قدراً من الهواء وتتسربل الشجاعة .. فها قد قررت أن تفصح!!!

ركزت نظرتها في فنجان قهوته ، وهزها ..أن لا نقصان في منسوب القهوة!

لكن ذلك يمنحها مزيداً من الثقة ببقائه لفترة أطول ريثما يفرغ من فنجانه..!

يفتر ثغرها عن ابتسامة بشحوب ملائكي، جعلتها تمهيداً لإبداء رغبتها بأن تقرأ فصلاً مما كتبته ليلة البارحة...عن مقاعد خشب عتيقة.. هجرتها العصافير..

عن خيالات ثكلى لا زالت تخط بقلق ....تواقيعها على الجدران...
عن فناجين قهوة احتفظت بحرارتها رغم الفراغ !!!!!
وبإيماءة موافقة استجدتها ..... فرّت من قانون الجاذبية .... وطارت كيمامة أضاعت حدود أفقها ، لتجلب فصول بوحها المتكتمة ..
فصول بوحها العصية ..
فصولاً متعبة بأصوات التصفيق المتخمر في مسمعها !!!!!!
تأتي متعثرة ... لتعتلي منصة من غيم جامح متشرباً جنونها الهادئ ....
وتشدو جدب الأغنيات على مسمع لم يكن ..... بالرغم من استحضارها إياه بالقوة !!!
ففي اللحظة هذه هي تتلو رائحة المطر المتخثر بخشوع يطوّف بها أرجاء قمرها المكابر !!!!
حتى تنمو على كتفيها أجنحة متأهبة تشهق لهفة الترحال....
وترتفع .... ترتفع بعيداً ....تحليقاً بكامل حقيقتها.....
ليندلق برفرفاتها فنجان القهوة البارد على فصل كانت قد أعدته .....لحين بوح...... على مسمع الفرااااااغ !

---

* طالبة جامعيّة/ ك.الآداب

متهور فوق وحل من الحكمة

سونا"محمدباسل"بدير*

عرفته من أول نظرة ، نعم عشرون عاماً مرت لكن الأنف نفسه ؛ أنف حاد دقيق طويل هو أول ما تراه العيون ذاتها جاحظة عميقة والنظرة أيضاً لم تتغير ثاقبة حادة، هو عماد رفيق دربي كنا نقطع الطريق معاً من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت ، لم يكن متميزاً ولم يكن قوياً، في أحد الأيام اعترض طريقنا شاب يكبرنا سناً شتمنا دون سبب تعالينا عن الجاهلين وقلنا سلاماً ، طلب منا ما معنا من قروش فأعطيناه بعضها تجنباً لغضبه وتعقلاً فمنا من كان حكيماً واقعياً ومنا من رفض وهرب رافعاً شعار(الفليلة ثلثين المراجل) متخذاً قوله تعالا :(أو متحيزاً إلى فئة) مخرجاً ، لكنه . عماد . وقف كالشوكة رافضاً الهرب أو يغير الطريق أو يدفع ، فنال المصير المتوقع وأخذ الشاب يضربه، تفرقنا وراقبنا وتضاربت ردود فعلنا؛ منا من نعته بالمتهور وآخرون شغلوا أنفسهم بعد الضربات التي نالها أما هو فكان ينظر إلينا ويبتسم لم أره بعدها فقد غيرنا الطريق لكنه أصر أن يتابعها مبتسماً .

عد العصي

اعتدنا اللعب بالسيوف التي نصقلها من أغصان الزيتون و التين و ما يقع تحت أناملنا من أغصان الأشجار المثمرة . قال لنا العم منير يوما لا تقطعوا الأشجار فهي أشجاركم والأرض أرضكم ، فقال له أحمد الأرض ملك الباشا ، فقال العم منير الباشا لا يملك الأرض بل يملك أصحاب الأرض ، لم نكسر الأغصان بعد ذلك الحوار الذي سلمنا فيه لكلام العم نظرا لخبرته ، ولكن فادي اقترح أن نسترد ثمار أرضنا من الباشا ملأتنا الحماسة فوافقنا وانتظرنا أن يسدل الليل سواده على الأرض لنجلب المحصول من مخازن الباشا ، دهشنا

هناك بعدد الكلاب التي تحرس المحصول ولكننا أخذنا بعض التين وثمار الصبار والبرتقال و ولينا هاربين ، رأينا الموت بين أنياب الكلاب فقررنا عدم العودة للمخازن ، لكن فادي أصر أن يذهب كل يوم لجلب ما يملأ يديه الصغيرتين من ثمار ،لم نكن نشاركه في استرداد حقنا من الباشا لكن شاركناه كل ليلة بالغنيمة التي يجلبها ولا يضع شيئاً منها في فمه . واعتدنا على تناول الثمار كل ليلة وفي أحد الليالي السوداء لم يأت لنا فادي بالثمار فظننا أنه آثر أكلها وحده هذه المرة . وفي صبيحة اليوم التالي سمع دق الطبول في كافة أرجاء القرية وتجمع أهل القرية في ساحتها العامة ، وعندما وصلنا وجدنا فادي مصلوبا و قال الباشا شاهدوا مصير السارق . وضرب فادي الضربة الأولى فالثانية فعلت ضحكته تقرع جدران أفئدتنا دون أن تعيد الجدران الصدى ، الثانية فالثالثة أخذنا نتبارى بقدرتنا على عد العصي التي ينالها ، وعندما سقطت عيوننا على العم منير كان الألم بادياً عليه أكثر من ظهوره على فادي وبعد انتهاء الجلاد من الضرب تجمهر أهل القرية حول فادي وأخذ البعض يأنبونه على طيشه وآخرون يبكونه وآخرون يحاولون تقديم يد العون بما يملكون من طعام ودواء ، أما نحن فقلنا لفادي إننا استطعنا أن نعد التسع والتسعين ضربة التي نالها فعلا صوت ضحكته مرة أخرى وقال : لكنني لم أضرب إلا ضربة واحدة . فاستنكرنا ذلك ثم أوزعنا ذلك الهذيان إلى قوة الضربات ولكنه رد علينا بجدية لم نعهدها وقد أمعن النظر في عيوننا الصغيرة وقد بدت عيناه كبيرتين غارقتين مغرقتين لم أضرب إلا ضربة واحدة وهي الضربة التي لم تعدوها .

انفعال طارئ

أشرقت الشمس على غير عادتها في مثل هذا الوقت من السنة وكانت أشعتها المسلطة على قطرات المحيط حامية لدرجة جعلت القطرات تواقة لتغدو ماءً عذباً صاعداً من هذا المستنقع الذي ضاقت به فتطايرت القطرات واحدة تلو الأخرى والحماس يملؤها حتى وصلت إلى طبقة باردة من الهواء جعلتها تتكاثف الواحدة تلو الأخرى ثم أمطرتها ماءً عذباً قابلاً للتملح أكثر من ذي قبل .

* طالبة جامعية / ك. الآداب





النصر الأخير

نـــورا أبـــو خـلـيـل *

فتح الباب وصفقه خلفه بقوة وهو يخرج ظاناً أن غضبه المنصب على الباب سيحطم البيت بأكمله. لليوم الثالث على التوالي، تثير زوجته أعصابه ويخرج حانقاً بهذه الطريقة إلى الشارع، ليعود في منتصف الليل ويدفن جسده بين أغطية الفراش القديمة وأنفاسه العالقة بها رائحة الشراب، متمنياً أن يُدفَن بلا أنفاس في وقت قريب.

–"ليتني لم أتزوج هذه الـ .."

نعتها بأقبح الصفات، وشتم نفسه بكل ما يملكه من شتائم:–

–"لا تنس إحضار الأرز يا علي؛ البيت يكاد يخلو من الطعام. أنا تعيسة وكل هذا بسببك. لقد أصبحت غير مسؤول، وكأنك تنسى أنك رب المنزل! أحضر لي يا علي،.. أعطني يا علي.. اللعنة." خرجت الكلمات من فمه بسخرية لاذعة لا تخلو من المرارة، بنغمة واحدة واهتزازة من رأسه مع كل جملة يقلد بها زوجته:–

"لماذا يا ربي؟ لماذا؟"

دخل إلى دكان عتيق يبعث الاشمئزاز، وخرج وبيده زجاجة "الويسكي". أزال الغطاء بأسنانه، وبصقه إلى الشارع مستمتعاً به وهو يتدحرج ليستقر ليس ببعيد عنه كثيراً.

"هه.. وكأن الشارع سيتأثر كثيراً!! .." قالها بتهكم متأملاً المكان: قذارة لا توصف، أوساخ في كل مكان، بقع مختلفة الألوان تتناثر هنا وهناك تذكره تماماً مثل ملابس ابنه المرقعة المثقوبة، أرصفة مكسرة الحواف، وروائح فظيعة أصبح انفه غير قادر على العيش دونها. لقد أصبح معتاداً على ذلك، قال لنفسه: "لا أتخيل نفسي أعيش في حي أنظف من هذا..

شخص مثلي لا يستحق العيش في مكان أفضل.. "ذكّره كل شيء بسوء حاله، فتفاقم الغضب بداخله وغلى الدم في عروقه: "ما أسعد السنة الأولى من زواجي، لم أدر أن الأمور ستُقلب رأساً على عقب بهذه السرعة!

هز رأسه متأسفاً ونصف ابتسامة حسرة تظهر على وجهه: "لا أصدق أنني أحسست وقتها أن الحياة لا تسعني من فرط سعادتي".

سرعان ما بدأت الأفكار السوداء تجتاح فكره:

"قالت إنها ستقف إلى جانبي في كل الظروف؟ كانت تعلم أن وضعي المالي سيء، ورغم ذلك تزوجَتني.. لماذا؟ لقد كذبت علي حين قالت إنها لن تتخلى عني، كم أنا غبي!.. والنساء كذلك.."

تلاشت ابتسامته، وكسا وجهه القهر. احمرَّ من الغضب وكاد أن ينفجر للحظة، لتتطاير كل السنوات التي صمت فيها وتحمّل، وكل الغضب والألم الذي كتمه بداخله، وكل معاناته بين العمل "المقرف"، والبيت لكنه لم ينفجر، بل تجرع كمية كبيرة من الزجاجة التي بيده، وأصوات الأطفال حفاة الأقدام تكاد تحطم دماغه.. تجرع كمية أكبر، فأسرعت خطواته..

بدأ يتهاوى.. "سترى هذه الـ! .. لقد طفح الكيل وأصبح العيش معها مستحيلاً."

قفز إلى ذهنه الحل الوحيد الذي كان يخطر بباله طوال الأيام الماضية:

لا بد أن أطلقها!.. نعم: سأعود اليوم إلى المنزل قبل أن تنام، وأقولها في وجهها ثلاثاً، ولو استطعت عشراً. يالمسكينة، تظن أنها ستمضي هذا اليوم ككل الأيام، تأكل وتشرب وتنام، ناكرة للجميل... تعاملني كما تريد! لكن هيهات، اليوم يومك يا علي.. سأطلقها.. أنتِ طالق، طالق، طالق".. صار يرددها، ومع كل مرة يزداد شعوره بالعزة والشموخ والكبرياء.

"سيكون مشهد الطلاق مأساوياً، ستفجع بمصيبتها، ستتألم، ستلاقي جزاءها.. ستركع عند قدمي ترجوني أن أغير قراري.. ستنهمر الدموع من عينيها.. ستتمزق حنجرتها وهي تعدني وعودها الكاذبة بأن تكف عن طلباتها وإزعاجها، وتتقبلني كما أنا العيش معي كما أنا. هه.. سأضحك منها كما أشاء، لكنني لن آبه." تخيل طلاقه يؤرخ وتتناقله الأجيال وسير الأمجاد، ويظهر على المحطات التلفزيونية في المسلسلات.

عادت الابتسامة، الظافرة هذه المرة، لتعلو وجهه، تجرع ما بقي من الزجاجة، وألقى بها فتهشمت، متخيلاً أنها زوجته. أسرع خطواته غير قاصد مكاناً محدداً. فكر بأن يذهب إلى منزل صديقه، فقطع الشارع وذهنه في مكان آخر، يتخيل بنشوة مشهد نصره هو، وزوجته التي ستتدمر وتُذل اليوم أمامه.

فتح عينيه بصعوبة..

أصوات كثيرة تصرخ في أذنيه، لكنه لا يميز شيئاً منها. يرى خيالات متداخلة الألوان. سرعان ما بدأت الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً.. بدأ فجأة يحس بألم شديد ينبض في جسمه كله، صارت الوجوه كأنها تظهر من اللامكان، واتضحت معالمها تدريجياً:- ها هو قاسم صاحب البقالة على يمينه، والجار الثقيل ابو فالح الذي لا ينفك يطالبه بتسديد الثلاثين

ديناراً التي اقترضها منه، يمسك به.. وأبو أحمد الضخم أيضاً وجهه يتصبب عرقاً، يبدو خائفاً جداً وهو ينظر إليه، وآخرون يركضون، والناس يكثرون، وأصواتهم غير المفهومة تعلو.

تذكر آخر مرة رأى فيها شيئاً كهذا، عندما احترق بيت من بيوت الحي، كانت حالة الفزع المنتشرة بين الناس تشبه الحالة الآن.

فجأة أحس بشيء يسيل من فمه وأنفه، رفع يده إلى وجهه ثم نظر إليها.. دم أحمر قان. "لا بد أن تكون عظامه قد تكسرت.. لقد كان الحادث فظيعاً." ميز صوت أحدهم، صوت ذكوري أجش يجهل مصدره: "يا إلهي.. لقد طار أمتاراً! أرأيته؟" كان هذا صوتاً خفيضاً أنثوياً قريباً من أذنه. زاد شعوره بالألم.. كانت ضلوع صدره تؤلمه أكثر من أي مكان آخر.

فجأة، سمع صوتاً بعيداً مألوفاً لديه، أسكت كل الأصوات:-

"ابتعدوا قليلاً، أنا زوجته.."

اقتربت منه وجلست بجانبه مذعورة.

"خرجتَ غاضباً، أردتُ أن ألحق بك ولكن!.. على أية حال علينا أن نأخذك إلى المشفى أولاً.."

نظر إلى وجهها، تعرّف إلى ملامحها الخائفة.. فتدفقت مشاعر الغضب والألم والحنق مجدداً إلى السطح، وتدافعت الصور المحرقة إلى ذهنه، وتذكر ما كان...

خرجت من بين أسنانه المتكسرة..

"أنت.. طالق.. طالق.." .... وسقط.

* طالبة مدرسة



مثل طائر

زيـــــاد صـــــلاح *

(1)
مثل طائر
فقد جناحيه
فجأةً...
هوت عليَّ
الأرض

(2)
قلت لي
ذات مره
إنني لا أملك بيتاً
ورغم ذلك
فأنا
لا أقيم فيه

(3)
أحد الأشقياء
تحت هذه السماء
سرق من خزانة صدري
ما بيني وبيني
من فرق ضئيل
وهو أنني
قد صرت
البديل..

(4)
الثمار التي
لا نصعد إليها
سرعان
ما تهبط
إلينا ...

(5)
همست المرأة
في أذن زوجها
الذي
أدركه الموت
وهو ضرير؛
لأن الحب
لا يشبه الموت

فلقد صنعت لك
كفناً
من حرير ..

(6)
سقط القمر ذات ليله
عن سقيفة الأفق
متدحرجاً
في حديقة منزلي
فأصيبت شجيرات الحديقة
بالإغماء ..
وأنا ..
بالخوف الجميل

(7)
في شارع السلط العتيق
ذلك الملقى
مثل شال رمادي
على كتف الظهيره
وكأنه قد سال خلسه
كالدم القاتم
من فم غيمه
يمشي البدوي
محتذياً
ملح قدميه
متأخراً
عن وجهه المغبر
بضع سنين
وحصانين
وخيمه



---

* شاعر أردني

يا بيتنا العتيق!

ماجد جورج جبارة *

فتشت عنك يا بيتنا العتيق، في كل الأزقة والدروب، فلم أجد سوى ظلك، فتشت عنك: في كتب التاريخ، ودفاتر "المختار"، في الأحلام، وفي... فلم أجد غير الطيف، يعبر كل نهار، إلى ما وراء الأفق، النظرة، العدم،... هناك!

كيف نناديك؟!.. وقد تهدّمت جدرانك، ولم يبق إلا بعض "أبواب" آيلة للسقوط! .. أين (كوارة) الطحين.. حيث جدتي تخبىء (مونة) البيت؟.. أين سدتك الشامخة كشموخ جبال الشيخ في تشرين؟!.. أين أنت الآن؟!.. يا اسماً توارى بعد أن كنت ضياء لأمسيات فجرت عتمات الليالي الحالكات بوهج الدّفء؟! ، أنت يا صاحب كل الأسماء!

أيها الشموخ، يا من " لمّ" الأحبة والخلان، وعشتُ فيك ذكريات الوالد والأعمام، لست الحلاج لأقول لك أيها الحق الذي هو أنت، لست ابن عربي لأبصرني في مرآتك، لست رابعة ولا تريزا الأفيلية، لست قديساً ولا ملاكاً ولا ولياً ولا خبراً لأعرفك!.

نحن الآن في حضرتك، يا بيتنا العتيق... في حضرة قرويين بسطاء جداً، لا يربطهم شيء بناس الطبقات الاجتماعية التي تعيش في المدينة، وهم مشدودون إلى أرضهم وبيوتهم، ويتعلقون بها تعلّق الإنسان بخيط الأمل الوحيد. فالأرض هي البحبوحة وهي الرفاه وهي السعادة وهي مصدر الخير وسبب الافتخار.

كلمة واحدة فقط أسألك: الحزن في القلب وشيك والسماء تكفهر بعد لحظة، الباب مغلق وعلى العتبة تلوح ظلال مجروحة، كلمة واحدة أسألك مثلما سألك الذين عبروا من قبل، مثلما سيسألك الذين سيعبرون. كلمة هي التاريخ كله، السماء كلها، السهل والجبل، كلمة هي النور والظلمة، البداية والختام، المنتهى الذي لا نهاية له، كلمة لا يمكن لأحد أن يقولها، أو يسمعها!

كلمة واحدة فقط. أسألك، يا بيتنا العتيق: هل لك أن تفيق من كبوتك، ونناديك ثانية ونلعب في فنائك من جديد؟ هل من مجيب؟! أيتها الدمعة العابرة التخوم، يا رحاب الرحيل وأقاصي العودة، قولي لبيتنا هل من قريب؟! حكايتي معك يا بيتنا تشبه حكاية بحث الإنسان عن المعنى في كلام منسوج بالاستعارات؛ لذا كان عليه أن يصنع استعارات جديدة، وأن يحوّل نفسه إلى حكاية. والحكاية لا تكتمل إلا بالموت. فهل مت يا بيتنا حقا؟! آم ما زلت شامخاً متحدياً ويلات القدر؟!

وهل تعريت يا بيتنا خجلاً من أنفسنا ومن أهليك الذين هجروك أم أنت شاهد عيان على تآمر القوم وخذلانهم ؟! وهل تركوك هاربين أم أن قدرهم كان لهم بالمرصاد .. قلي لي يا بيتنا العتيق، انطق فأنا بانتظار ردك. هل صحيح يا بيتنا العتيق أننا حوّلنا الفرح إلى رغبات عدوانية تتحول شكلا لحروبنا النائمة والمستيقظة؟!

لا أريد تصديق الحروب، لكنني أرى العنف عارياً في الشوارع. والناس في غفلة من أمرهم نائمون ولا يستيقظون إلا على صراخ الديك .. فقل لي هل لهم فعلاً صباح ومساء، يشربون ويحلمون؟!

ماذا بوسعي أن أقول للفتاة الضائعة بحثا عن عيدها؟ هل أقول لها إنها تعيش في عالم نسي معنى العدالة؟ وماذا يفيدها هذا الكلام، هل يشتري لها ثوبا جديدا؟

أردت أن أنسى الفتاة، وأحتفل مع المحتفلين، بك يا بيتنا العتيق، لكنني سألت نفسي التي تميل إلى النسيان، بماذا أحتفل.. هل أحتفل بمجدك البائس أم أرثيك لزماننا الناعس؟! كل شيء أفهمه وأعرفه عنك يا بيتنا العتيق أنك أصبحت الآن مجموعة أرقام لا كلمات .. بك السنون ارتمت خجلاً تحت أسقفك المزقة.. وبك الركوة وجدائل جدتي ومرود كحلها الممسوخ، انحنى أدبا أمام وجهك الصبوح.

"صورة بابك" نص مليء بالألم، يمتلك صاحبه أدوات الجلاد، ليجلد ذاته، ويتحمل ثقل الكلمات، وبطء الحوادث، واجترار الكلمات والحالات، وهذيانات البطل، وثرثرته وتكراره لجمل سبق له أن كررها على مسامعنا. طويلٌ هو الزمن الذي علينا أن نقطعه بصمت، منتظرين البطل لينتهي من استذكار حادثة ما، وهو بالكاد يضع قدمه في أول السلّم، أو يدخل غرفة المضافة، قبل حتى، أن يضع الحقيبة التي لا تفارقه، حيث "حشا" فيها ذاكرته وعالمه. علينا أن نتحمل مرارة ذلك الوقت دون أن نتأفف أو نقفز فوق الكلمات والسطور.

قصتك يا بيتنا العتيق هي رواية عذاب، أو تعذيب. اتفاق خفي، بين صحفي حاذق ماكر، وقارئ بمستوى المهارة ذاتها. عقدٌ على قبول العذاب، لينتهي سرد الألم. قصة مملوءة بالدم، بصيحات الاستغاثة، برجال الدفاع المدني، بالظلم، بالقسوة، بالفشل، بالعذاب، بالخوف، بالموت، وبالتهديد. قصة ليس فيها أي بهجة، سوى بهجة أن كل هذا في النهاية، لم يكن سوى "حتوتة". إلا أن الحقيقة ليست هكذا، فلا يزال العالم مخيفاً، ولا تزال القصة مستمرة خارج النص وما من ضمان في أي شيء. كل شيء يموت وينفجر ويتبعثر. لا ضمان في هذا الوجود.

---

* كاتب وصحفي أردني

أسئلة متفجرة



ليلى الأطرش *

حين يصنفني النقد أحياناً كاتبة اجتماعية أو نسوية، أسأل نفسي عمن يتحدثون؟! وحين تهاجم مقالاتي وقبلها برامجي التلفزيونية وأتّهم بالدعوة إلى " تغريب المرأة"، أتساءل: هل يتحدثون عني؟!

وحين وجدت اسمي في تقرير التنمية الإنسانية حول المرأة العربية عام 2005 مع كاتبات أخريات بأننا "أحدثنا تأثيراً في مجتمعاتنا"، ثم اختارتني مجلة سيدتي ضمن ستين امرأة عربية ناجحة في عام 2008 تساءلت: هل نستحق فعلا مثل هذا التصنيف؟!

فلم تكن كتابتي إلا محاولة للإجابة عن أسئلة مقلقة عنيفة وملحة لا تهدأ حتى تتجسد على الورق: رواية، قصة، برنامجاً تلفزيونياً أو مقالاً.

مختلف حقاً أن تختارك الكتابة في مجتمع يتغير باستمرار مرغماً وبحسب اللعبة الدولية، وتصبح حياته مصطلحات ينقسم حولها ويتصادم: الهوية والأمة والعولمة والاحتلال والتغريب والسلفية وتحرر المرأة ومد الجسور والحوار.

هل أكتب هذا؟ أم عن المرأة ضمن هذه التحولات؟!

أختار الثانية بتحفظ، فأنا لا أكتب رواية بمنهجية مسبقة. ولكن الرواية هي خلق عالم



موازٍ للواقع المعاش، فتعكس شخوصها هذه التناقضات.. أما أفكاري المباشرة فمجالها المقالات والبرامج التلفزيونية والندوات.

يبقى السؤال: لمن؟ لماذا؟ وماذا أكتب؟

لا يمكن لأي كاتب أن يدعي أنه يكتب اكتفاء روحياً فقط، أو لمجرد الإحساس بنشوة الخلق حين ينتهي من عمله، فكل كاتب يتابع أثر كتابته على الآخرين وتقبلهم لها، ولا يقل إحساسه بالخذلان حين يتجاهله القراء والنقد عن نشوة الانتصار حين ينتبهون لما يكتب.

هل أكتب لأغير عالمي وعالم النساء؟!

حين أقرأ لكاتبات أخريات، أو أراجع مقالاتي، أو أبدأ رواية، أعجب للتغير في مساحة حرية التعبير والجرأة على التابوهات بين الكاتبات العربيات، الدينية والسياسية والجنسية.. وحين اكتشف أساتذتي في المرحلة الإعدادية أنني أتمتع بأسلوب وقدرة تعبير، ونشرت بعض الصحف والإذاعة قصصاً قصيرة لي، ثم كتبت روايتي الأولى التي لم تنشر، وأنا طالبة في الثانوية، كنت أعتقد أنني سأغير العالم من حولي بالكتابة، وأن شهرتي كاتبةً ستفتح كل الآفاق، وأنني سأكون أداة تغيير مثل الكتاب العالميين الذين تركوا أثرهم عليّ وقرأت صغيرة كتبهم مترجمة.

أحلام اليقظة هذه كان مكانها كرم صغير لنا على حدود بيت لحم، كانت الجبال أسواراً تحجب ما وراءها، يحفزني علوها أن أكتشف ما تخفي، عالم لا أعرفه. بدأت أحلق فوقها..لم أفكر بأن الطيران قد يكسر عنقي، فالخيال أجنحة، وكسر الحدود يخلق عوالم سحرية. ولكنني حين مارست الكتابة أدركت أن القفز فوق الممنوع بالخيال أسهل بكثير من الحقيقة، فأتقنت لعبة الهروب إلى الورق، قراءة لا تتوقف لكل ما يقع في يدي، وكتابة كلما أرقتني الأسئلة.

****

الأسئلة هي الوعي

ربما كنت في الثامنة حين سألت مدرسة الدين: أين العدالة وحولنا كل هذا البؤس واللاجئين؟! فضربتني لكفري وتركت سؤالي معلقاً.. أدركت صغيرة أن الدين والسياسة والجنس تابوهات محرمة.. وأن الآخرين يحددون الممنوع فيها، فقررت التحدي بأن أهزم رقيبي الداخلي والاجتماعي والديني والرسمي وصارت تلك معركتي.

ربما لهذا كان مقالي الأول وأنا في سنتي الجامعية الأولى عن جريمة الشرف، فتصدى لي فكر سلفي وثارت ضجة صحفية امتدت شهراً في جريدة «الجهاد» المقدسية، وحين هدأت عرض علي العمل محررة نتيجة خبطة غير مقصودة.

****

هل أكتب عن النساء؟

ربما كنت مسكونة بصورة أمي التي حرمها والدها وشقيقاتها من إرث كبير وأعطاه لولده الذكر الوحيد، وبصور العنف ضد النساء في أحاديث جاراتها وقصص المجتمع في وسائل الإعلام!.

هل أكتب للنساء؟

للأسف انحسرت عادة القراءة في عالمنا العربي بين الجنسين إلى حد كبير، وتغيرت ذائقة القراءة إلى الكتب الدينية والسياسية المباشرة والأبراج والطبخ، في تلاحق الأزمات العربية بعد احتلال العراق

والانحياز في مشكلة فلسطين.

ورغم المنجز الكبير للكاتبات العربيات، إلا أن التعصب يهدد إنجازات النساء بعد عقود من النضال النسائي، ودعم الرجل المستنير من رواد التنوير الذين طالبوا بتحريرها ورفضوا دخولها للجامعات. ولأن الفقر بين النساء العربيات من أعلى النسب في العالم يظل حظهن من قراءة ما يتناول حياتهن قليلا.

لقد حققت الكتابة الروائية بطولات كثيرة في تجاوز التابوهات مع سهولة النشر خارج الأوطان أو الكتابة بلغة أجنبية. ولكنها للأسف تراجعت كثيرا على مستوى القراءة.

****

هل أكتب للمرأة أم عنها؟

لا يمكن فصل المرأة في الرواية عن ظروفها لأنها محكومة بالعادات والتقاليد والثقافة التي تحدد مساحة أدوار الجنسين.

المرأة في روايتي الأولى «وتشرق غربا» إجابة عن سؤال: هل يقاوم الناس بأيديولوجية مسبقة أم نتيجة القهر والممارسات اليومية، فرصدت تأريخ فلسطين الاجتماعي والسياسي من خلال قصة حب بين هند المدرسة المسيحية ومروان الطبيب المسلم. وقد قرأت معظم ما كتب واطلعت على الوثائق والأفلام عن قضية فلسطين ثم تركتها جانباً، وحركت الشخوص والذاكرة فقط..

والمرأة في رواية «امرأة للفصول الخمسة» محاولة للإجابة عن: كم يبقى من القيم والمبادئ والانتماء للوطن عند الرجل والمرأة حين تهبط الثروة فجأة؟

والمرأة في الرواية الثالثة «ليلتان وظل امرأة» أختان: محامية تعيش في عمان وتختار الرجل للزواج، والثانية كوافيرة يتوقف عملها في الانتفاضة الأولى، زوجوها صغيرة لمن اختاره أهلها.. تلتقي الشقيقتان بعد غياب سنوات لتستعيدا أحداث الطفولة والمنافسة الخفية وعلاقة الحب والكره الأخوية بين الغني والفقير.

أما رواية «صهيل المسافات» فتعكس أزمة المثقف العربي الذي يعتقد أن العلم يغلب الطبقية والعشائرية، ابن راع يتعلم في القاهرة ودمشق وأكسفورد ثم يعود أستاذاً للعلوم السياسية ومقدماً لبرنامج تنويري في التلفزيون، ليكتشف أن العشائرية والأصول تصارع إنجازات العلم.

أما رواية «مرافئ الوهم» فجديدة في فضائها المتخيل وشكلها، قصة إعداد برنامج تسجيلي وفريق تلفزيوني من جنسيات عربية يذهبون إلى لندن للقاء صحفي عربي يخطف وتفشل محاولة نسف جريدته، وتكشف الرواية رؤية الشباب للدين والجنس والمرأة والمخدرات.

سعدت كثيرا حين رسمت فنانة لوحة من وحي الرواية تعبيراً عن إعجابها، وأكدت طالبة دكتوراه أن البطلة الرئيسية تشبهها، وكتبت لي منتسبات أحد مراكز المرأة عن استفادتهن من طرح الرواية لمشكلة المحلل بعد الطلاق الثالث..

ردود الفعل تشعرني أنني لا أصرخ في البرية، فهناك من يقرأ ويسمع. والأسئلة تلح، والإجابة دائما:

المزيد من الكتابة.

---

* روائيّة وقاصة أردنية



مكاشفات ناقدة



د. سمير قطامي *

قصص قصيرة :-

في المقهى — لأروى حسن:

قصة جميلة تشد القارئ بأسلوب حوارها، وتغلغلها إلى أعماق النفس، وكشف المشاعر والأحاسيس .. فالكاتبة تمتلك أدوات القص الفني ، وتحسن التعامل مع الشخوص ، وتتقن التعبير الجميل .. وهي قصة تأسر القارئ بانسيابها وبساطتها وإحكامها ، وتنبئ عن ولادة قاصة جيدة .

تأخرت جداً — لماجدة العتوم :

تقوم القصة على اكتناه للذات وتجسيد للمشاعر والأحاسيس ، وهي تركز على الداخل أكثر من تركيزها على حركة الشخوص ، وهذا ما أوجد فيها شيئاً من الرتابة ، على الرغم من جمالية الأسلوب والبناء .

في القصة روح قص واستبطان لافتة ، ولكن فيها شيئاً من التفصيل والإطناب لا تتحمله

القصة القصيرة ، فكلما كانت القصة القصيرة أكثف وأشد إيحاء ، كان ذلك بابا من أبواب نجاحها .

ذكريات ميتة - لإيمان عوض:

القصة بسيطة لم تتقن فيها الكاتبة أسلوب القص والحكاية ، ولم تغنها بجدة التحليل أو جمال الأسلوب والتعبير ، لذا جاءت أقرب إلى التقرير منها إلى القصة المؤثرة .. اقرئي نماذج من القصص الجيدة لتمتلكي أدواتك الفنية .

أبقار متمردة – ليسرى خضر أبو غليون:

قصص بسيطة تحتاج إلى المزيد لترقى إلى مستوى القصص الفنية ، وهي أقرب إلى كونها تقارير .. أنتِ بحاجة إلى قراءة معمقة في القصص القصيرة لتعي أسسها ووسائلها، وتتمثلي لغتها وأساليبها .

احتضار – لصفية البكري:

القصة جيدة، فيها تكثيف ولغة أدبية ، واكتناه للنفس الإنسانية ، وإيحاءات رامزة، وإحكام ، وإن كنت آخذ عليها شيئا من الضعف في البداية .. واصلي الكتابة، فلديك ما يمكن أن تقدميه.

متهور فوق وحل من الحكمة – لسونا محمد بدير:

فيها فكرة جيدة ولكنك لم تحسني طرحها أو معالجتها ، فالقصة لا تكتب تقريريا بل تعتمد على الأسلوب التعبيري.

عد العصي – لسونا بدير

قصة جميلة الفكرة رامزة ، وإن كان يؤخذ عليها تقريرية اللغة ومباشرتها .. يمكن لك أن تكتبي أفضل إذا وسعتِ قراءاتك في عالم القصص.

نهر الدم – لبسام الطعان:

القصة لا بأس بها ، وان غالت في الخيال .. اللغة معبرة ، والأسلوب شائق ، وهي قادرة على شدّ القارئ لمتابعة الأحداث .. فيها تشويق ورموز دالة غنية .

قصائد :-

حلم – محمد السواركة:

في القصيدة صور كثيرة ، ولكنها لم تكن منسجمة فيما بينها ، ولم تقدم شيئاً لبناء القصيدة ، فما يحسه القارئ أنها غاية لا وسيلة ، لجأ إليها الشاعر كي يوهم القارئ ببراعة في التصوير .

هو يحاول أن ينظم قصيدة حرة ، ولكن الموسيقى تختّل معه في بعض المواقف.

سلام علينا – علي حسن الزهيري:

قصيدة جيدة بانسياب لغتها واسلوبها ، وبانسجام معانيها وجمال صورها وموسيقاها، وهذا يعني أن وراء هذا الشعر موهبة مبشرة وفهما لمقومات الشعر .

أأحيا دون لقياه – أنس عرابي:

قصيدة عمودية حافلة باللغة الفخمة والمعاني الجديدة والصور المبتكرة ، تنم عن شعور حار وخيال قوي ، تكسبها القافية اللينة رقة وانسيابا .

وأتيتِ أكمل من حلم – حسن بسام :

تَجربة جيدة ، لغة منسابة ، وأسلوب تعبيري جميل ، بمعان بديعة وصور مبتكرة مع الحفاظ على موسيقية الشعر .. القصيدة تنبئ عن موهبة جيدة.

تل الهوى – مناهل العساف:

هذا نوع من النظم ، لا ينمّ عن تجربة أو إحساس، وليس ثمة انسجام بين أبيات القصيدة، فقد جاءت الأبيات في بعض المواقع وكأنها قطع مبددة لا يسلكها شيء، فالمعاني متدابرة ، والصور مبددة .

أنت بحاجة إلى قراءة متأنية وإدراك لمقومات الشعر .

مثل طائر – زياد صلاح:

هذه ومضات شعرية وتأملات حياتية ، فيها الكثير من روح الشعر ، وخصب المفارقة ، وعمق الملاحظة ، وجمال الصور وسلاسة الأسلوب.

نكهة قهوة – محمد دحيات:

هي محاولة لنظم قصيدة ، لكن الأدوات لم تسعف بشكل جيد ، فجاءت فاترة الروح ، عادية اللغة والأسلوب.

أين مني المكان – محمد عريقات:

القصيدة تجربة جيدة في التشكيل الشعري المتناغم واللغة الشعرية الرامزة ، وإن كنت لا أحب للشعراء أن يبدأوا تجاربهم بالإيغال في الرموز والإشارات أو المباعدة ما بين الصور.

حنين – لجمال القرا:

محاولة بسيطة بأسلوب تقريري ومعان غريبة ، وتباعد في الدلالات.. لم أحسّ أنها نابعة من تجربة أو معاناة.

الشاعر يحاول اصطياد الصور من هنا وهناك، ورصفها في القصيدة دون أن يكون لها علاقة بغيرها من الصور ، أو بالسياق العام للقصيدة .

* أستاذ جامعي/ ك. الآداب

لقاء

بقلم: لويجي بيراندللو-ايطاليا *
ترجمة: روان محمد **

ماركو ماوري الذي كان ينزل الدرج مسرعاً في العتمة، رفع يده الممسكة بالمشعل وسأل سيداً كان يحاول الصعود جاهداً: هل أنت الطبيب؟ تعال! إنها تموت! تموت من غير طبيب!

المفاجأة جمدت هذا السيد لوهلة، فنظر بعيون مقطّبة إلى ماوري الذي كان ينحب ويشير دون أن يقوى على الكلام، ثم صعد إليه مباشرة: تعال!

أعاد ماوري، وصعد إلى درج الطابق الثاني مشيراً إلى بابٍ مفتوح جزئياً، دلف منه أولاً ثم قاد القادم الجديد عبر ثلاث غرف، حتى غرفة النوم في نهاية الممر.كان القادم الجديد يتنفس بصعوبة، ولدى رؤيته للمحتضرة، شحب بشدة وكأن تنهيدة أمسكت أنفاسه، ثم اقترب من السرير بعينين نصف مغمضتين وتأمل الممددة التي كانت تغط في شبه سبات:

أيها الطبيب! أيها الطبيب، ساعدها حالاً! إني أموت!

رمقه الطبيب بنظرة، ثم رفع بحذر كيس الثلج عن الصدر المضمد.. ها هنا أكمل ماوري وهو يضغط سبابة إحدى يديه بشدة على الصدر في موقع القلب، مشيراً إلى مكان الجرح: هنا...ويبدو أن الرصاصة شقت طريقها ثم استقرت أسفل عظم الكتف!

– مضت بالفعل أربعة أيام؟! سأل موجهاً حديثه إلى كاهنٍ مسنٍ بقي صامتاً إلى جانب السرير.

فبادر ماوري بالإجابة: نعم، اليوم هو الرابع!

نهض الكاهن المسن من جلسته كفريسة لإثارة مفاجئة، ركز نظره على القادم الجديد الذي كان ممسكاً بمعصم المحتضرة، وقال: اعذرني، ولكنك السيد ...؟

– كافيين، أيوجد لديكم منه؟ قاطعه الأخير .

انتقل ماوري مباشرة إلى الغرفة الملحقة وعاد مسرعاً بزجاجة صغيرة وحقنة في يده: ها هي! كنت لأعطيها حقنة منها .مساء الأمس أعطاها الطبيب المعالج حقنتين. بقي ممسكاً بالزجاجة في يده و نظر إلى الكاهن المسن المنزعج وهو يتطلع إلى القادم الجديد الذي كان بدوره مخبئاً وجهه بكلتا يديه.

– ماتت؟ سأل بانفعال حزين، ماتت! قل لي ذلك!

– لا لا، تعال، تعال معي.. وهمس الكاهن ببعض كلمات في أذنه:

– هو! قال ماوري بكراهية مشيراً بسبابته نحو القادم الجديد وتركها معلقة في الغرفة الملحقة هو!؟ ما الذي جاء به هنا ؟!

– لفعل رحيم! أجابه الكاهن بصوت منخفض كما لو أنه يحثه على خفض صوته: عمل رحيم، لقد كتبت إليه أتوسل باسم هذه البائسة طلباً لغفرانه.. وأراد أن يأتي بنفسه ليمنحها إياه ... أتوسل إليك : إذا ذهَبت الآن، إذا ذهَبت...فليس لك ما تفعله هنا!

– لا !

أجابه ماوري بعنف وهو يغوص في مقعده ويحدج الكاهن بنظرة مجنون:

– لن أذهب ...سأبقى هنا!

وانخرط في نوبة جديدة من البكاء واضعاً مرفقيه على ركبتيه ورأسه يهتز في نوبات جديدة من الانتحاب.

عاد الكاهن المسن مراعياً إلى غرفة النوم، أقترب من هذا الذي مازال مخبئا وجهه بيديه :

– شكراً أيها الطبيب كليرتشي ، فليباركك الرب، لقد أنقذت روحا بعملك الرحيم.

– لقد كتبت إليّ! أجابه وهو ينظر إليه بحدة، لتموت نادمة ومخذولة ... ومن يكون هو؟

– بائس ما . تردد الكاهن . لا أعرف من يكون ، ما أعرفه هو أني والبائسة حاولنا جاهدين أن نبقيه بعيداً ولكن ذلك لم يكن ممكناً... ولكن ثق بي! لقد ماتت نادمة ولقد سألت بنفسها ـــ عن طريقي ـــ غفرانك ولقد حازته بالفعل ...

عاد جاكومو كليريتشي بعينيه الغائمتين، من اضطرابه الداخلي، إلى جسد المحتضرة، رأى أجفانها المزرقة المغلقة، ثم جبهتها التي كاد يستشعر برودتها بنظره.كانت تتصارع في داخله الصورة التي حفظها عن زوجته مع هذه التي وجدها الآن مختلفة بشدة وفي هذا الوضع البائس... كانت الصورتان تتصارعان وكأنما ترفض تلك، متعالية بكل شكل، على شعور الشفقة الذي تثيره هذه،ولا تود أن تستلقي على هذا السرير ، مهزومة بالموت ، بهذه الأجفان المزرقة و على هذه الصورة الشاحبة المؤلمة.



فقط في شعرها تطابقت الصورتان. كان مازال جميلاً، شعر فوليفيا ... "غيمة الذهب" كما كان يسميه في سنوات زواجهم الأولى، لكنه الآن مفكك ومبعثر على الوسادة زائداً من بؤس وجهها المختلف .

كم بدت محزنة جبهتها، محروثة من منتصفها بتجعيدة محفورة كجرح لم يتم شفاؤه... لاحظ العينين وهذه العلامة على جبهة فولفيا كانت لتبدو له كجرح ما. لكنها هنا كشهادة على المعاناة الطويلة، قرأ فيها حياتها المعذبة، والطريق الحزين الذي مشته هذه الروح لتقع في بؤسها الحالي.

ما يقارب الأحد عشر عاما مضت منذ الساعة التي تركت فيها منزل الزوجية، في هذه الفترة نما الكره تدريجياً، وكان قادرا على أن يميز السبب الأساسي لهروب زوجته منه. ووجودها الآن إذ ينتهي هكذا بحزن، يعطيه صورا لحياته بعد الخيانة. بلا خوف ولا خزي تقاعد إلى الريف وتغير تدريجيا حتى وصل إلى النقطة التي استطاع أن يمنح بها نفسه الدليل الوافر المواسي على الإنصاف العالي الذي يحتل روحه ، باستعجاله نحو سرير هذه التعيسة عارفا لبشاعة أخطائها القديمة وقادرا على منحها العفو.

* شاعر وباحث وروائي وكاتب قصة قصيرة ومؤلف مسرحي إيطالي، حائز على جائزة نوبل في الأدب عام 1934 وتعكس أعماله نظرته التشاؤميّة للحياة، ومن أشهر مسرحياته: ست شخصيات تبحث عن مؤلف، ومن مؤلفاته: قصص إيطالية، والشيوخ والشباب.

** طالبة جامعيّة/ ك. الآداب



المواطن المجهول

"إلى ج س.07. م. 378

هذا النُصب الرخاميّ من تشييد الدولة

بقلم : ويستان هيو أودن - بريطانيا *

ترجمة: عبدالله خصاونة **

وجده مكتب الإحصائيات

لا وجود لشكوى رسمية عليه..

وكل التقارير عن تصرفاته متفقة

أنه بالمفهوم الحديث للفظ قديم.. قدّيس

فهو في كل الأمور قد خدم المجتمع الكبير.

وباستثناء الحرب، إلى أن تقاعد

عمل في مصنع ولم يطرد..

بل أرضى موظفيه في "فدج ذ.م.م".

بينما لم يكن منشقاً أو شاذّ الآراء..

إذ ينقل تقرير النقابة تسديده لما عليه من مستحقات..

(يبين تقريرنا عن النقابة أن وضعها سليم)

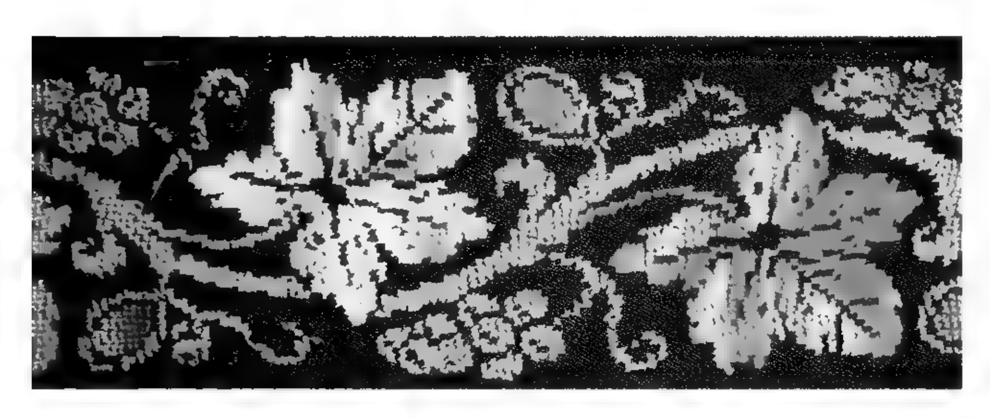
وقد وجد عاملونا الاجتماعيون النفسيون

أنه كان محبوباً لدى رفاقه و أحب كأساً من حين إلى حين.

الصحافة متأكدة أنه اشترى الجريدة يومياً
وأن استجابته للإعلانات كانت طبيعية من كل ناحٍ.
كما تؤكد البوليصات باسمه أنه كان مؤمّناً بشمول..
وتظهر بطاقته الصحية دخوله مرة إلى المشفى
وأنه لم يخرج منها قط غير معافى.
تعلن "المنتجون أبحاث" و "عيش رفيع"
أنه كان ملمّاً بفوائد التقسيط
وامتلك كل ضروريات الرجل الحديث
من "جراموفون" ومذياع إلى سيارة وبراد.
باحثونا في الرأي العام مطمئنون
أنه ارتأى الرأي المناسب للموسم كل عام..
ففي السلم كان للسلام.. وفي الحرب خرج للقتال.
كان متزوجاً وأضاف خمسة أطفال إلى السكان..
ما يراه محسنو النسل الرقم السليم لأب من جيله..
كما ينقل معلمونا أنه لم يتدخل في تعليمهم قط.
أكان حراً؟ أكان سعيداً؟ السؤال سخيف..
لو كان ثمة خطأ كنا سمعنا بالتأكيد.

* شاعر ومسرحي وناقد إنكليزي، ولد في يورك بإنكلترة لأسرة كاثوليكية، ذات ميول علمية، وتوفي في فيينة، كان أبوه طبيباً وأمه مُمرضة، وقد أثر ذلك في ميوله الدراسية وأثار رغبته في دراسة العلوم الطبيعية.

* * طالب جامعي/ ك. اللغات





المـــوت



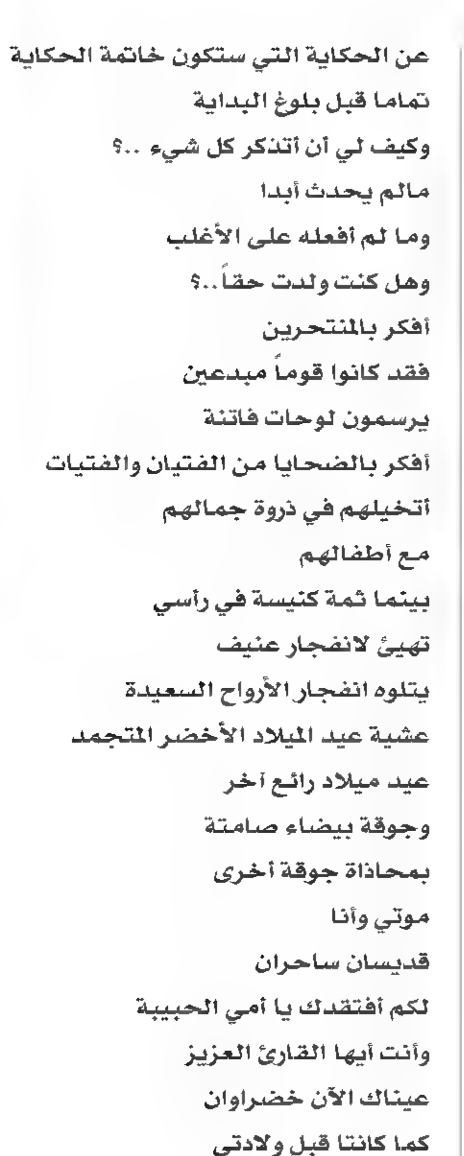
بقلم: دونالد ريفيل- أميركا
ترجمة: عبود الجابري**

الموت يغير اسم كلبي
كنت يافعاً
عندما ترعرع بجانبي موت صغير
يقصرني طولاً
لكنني أكثر منه ارتباكاً
ارتباكاً لم أصب به من قبل
ارتباك القلب ساعة الهجران
عند فتى ينسل من لحظات عمره القادمة
حين تمد أذرعها
عارية
متراقصة
تحاول التقاط يده من سلم النجاة

قلت: أيها الموت
لو كانت عيناك خضراوين لأكلتهما
أو ليست الأيام سوى طرفة عين..؟
ليتني أستطيع أن أعيد زهرة عباد الشمس
إلى روحها المجردة
لكنت أعدت تشكيلها :
أخضر داخل الأخضر
مسور بالأخضر أيضاً
لتغدو زهرة جديدة
عيد ميلاد حقيقي
قلت : يا موت
دلني على شخص أعرفه



امرأة غرست أسنانها في القمر
أما تعرف أن الفراغ والوقت اختراع الرجال البائسين..؟
فالروح تمضي أسرع من الضوء
تلتهم القمر حياً
مخلفة وراءها الفراغ والوقت
الروح هي الغفران
لأنها تدرك معنى الغفران
والمعرفة دوامة
دوامة علمتني كيف أنأى بحياتي بعيداً
عن معارض الأحذية،
دكاكين المعجنات
والأدوات الجراحية
فتلك الأشياء ضرب من الهراء
روحي هي بيتي
نجمة قديمة
يطاردها شعاع نجمة قديمة أخرى
أسألك أيها الموت



عن الحكاية التي ستكون خاتمة الحكاية
تماما قبل بلوغ البداية
وكيف لي أن أتذكر كل شيء ..؟
مالم يحدث أبدا
وما لم أفعله على الأغلب
وهل كنت ولدت حقاً..؟
أفكر بالمتحررين
فقد كانوا قوماً مبدعين
يرسمون لوحات فاتنة
أفكر بالضحايا من الفتيان والفتيات
أتخيلهم في ذروة جمالهم
مع أطفالهم
بينما ثمة كنيسة في رأسي
تهيئ لانفجار عنيف
يتلوه انفجار الأرواح السعيدة
عشية عيد الميلاد الأخضر المتجمد
عيد ميلاد رائع آخر
وجوقة بيضاء صامتة
بمحاذاة جوقة أخرى
موتي وأنا
قديسان ساحران
لكم أفتقدك يا أمي الحبيبة
وأنت أيها القارئ العزيز
عيناك الآن خضراوان
كما كانتا قبل ولادتي

---

* شاعر أمريكي، وأستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة نيفادا – لاس فيجاس، صدرت له عشر مجاميع شعرية آخرها :سارق الخيوط.

* * كاتب عراقي

مجلة الصحافة

بقلم: ددية داينككس/ فرنسا*
ترجمة: د. محمد الغزو**

كانت رائحة كحول الاحتراق الخفيفة تفوح من درج السفارة عندما تسلق "A" الدرج برشاقة ليصل إلى المكتب. دفع الباب المنّجد في اللحظة التي اختفت فيها الخادمة الشابة "بامبارا" من أصل "موبتي" نحو المكتب الخالي من السكرتيرة ساحبة مكنستها الكهربائية من خلال الخرطوم اللين. كان الهيكل العظمي البلاستيكي قد دق على مربعات قواعد الأعمدة البراقة.

رفع "A" كتفيه، احتضر التوبيخ في تنهيدته عبر مرور إصبعه بشكل آلي صقل بعض رفوف المكتبة وخشبة "البوفية" وغطاء الآلة الناسخة للبحث عن الفوطة المخصصة للغبار المنسي. التف حول مكتبه الضخم المقوس متلهياً بمتابعة تغيير صورة خياله في انعكاس الضوء تاركا نفسه يسقط على جلد المقعد الناعم.

أغمض "A" عينية لحظات لينعم بالراحة، ثم أدار المقعد بفضل اندفاع خفيف من خصره. نظم الحاجب الرسائل كالعادة على شكل كومتين. الرسائل على اليمين والصحف والدوريات على اليسار. مرر شريطاً مطاطيا حول المغلفات قبل أن يضعها على شكل رزمة وضعها في جارور فوق الرزم المتشابهة. علت وجهه البسمة عندما قفزت يداه فوق الأغشية الحافظة التي تسجن هذه الصحف. عملياً هو يعرف كل شي طُبع، فالصحف اليومية لا تصل إلى "دكار" إلا بعد مرور يومين من صدورها، لكن بالنسبة له يجب أن تدون الحقيقة بشكل واضح وجلي حتى تكون حقيقية. إنه يتصفح جريدة "الفيقارو"، يقرأ بشكل مائل الصفحات المخصصة لما هو جديد في السباق العالمي للسيارات، يقلب صفحات جريدة "اللوموند"، يحاول أن يفك رموز النموذج الجديد لجريدة "الليبيراسيون" قبل أن يفرد

جريدة "لا كروا".

لم يشعر "A" ثانية بالحاجة إلى الحوار الدائم مع السماوات. لقد كان مسيحيا عفوياً قادته فقط الأحداث الإيقاعية لحياة أقاربه الى أجنحة الكنيسة. زواج، تنصير، وداع، لقد مر بشكل سريع على العناوين الدينية واستعد ليضع الصحيفة عندما لفتت انتباهه صورة امرأة غير واضحة العمر يبدو أنها تغني بصوت مرتفع وجالسة وسط علب الكرتون على رصيف عاصمة أوروبية. لقد انحرف، منزعجاً، نحو عنوان الملف : "تغلب على الطرد". تصفح المقال الذي يروي قصة السقوط الرمزي للمجهولة. إن العمل المصادر والأزواج المخلوعين والعاملين على الأبواب والخيميائيين فاقدي الأمل محولي البؤس إلى ذهب ...

لقد كان عادلاً عندما رفع رأسه ليشكر زوجته التي وضعت له فنجاناً من القهوة بجانب جهاز الحاسوب المغلق. نهض ليرتب الصحف في الدرج الكبير على الرف الجداري المدون عليه عناوينها. قبل أن يخرج تحقق من أشرطة أجهزة الرد الآلي بأن لديها متسعاً لكل اتصالات النهار.

في الأيام اللاحقة بدأ "A" يتجاهل العناوين الكبيرة المتهمة للحبر، التي غطت عناوين الصحف اليومية، للذهاب لمقابلة كل هؤلاء الناس قليلي الأهمية الذين حرموا من المستلزمات الضرورية. إن إعادة الهيكلة والتهجير وتكيف الآلة المنتجة والقدرة على المنافسة وتجديد الهوامش جعلته يفهم شيئا فشيئا ما يخُفى خلف قناع الكلمات.

في صباح اليوم السادس قرر عمل شيء. أخذ المصعد المؤدي مباشرة من المكتب إلى قبو السفارة، تاركا سيارة رينو "الزعفرانية" ليأخذ سيارة "الرينو 9" المخلَعة والتالفة خلف الركيزة. عبر ضواحي "دكار" متعرجاً بين العربات والشاحنات المحملة بالفول السوداني وتسير بشكل متقارب نحو مصنع العلف وتقف أمام يافطة جمعية الاعتماد.

ابتسم له موظف البنك وجر نحوه كتيب التوفير دون أن يكلف نفسه عناء التحقق من هويته. أخذ من صينيته استمارة مسوّدة وعدلها بوساطة قلم رصاص قبل أن يرصّ ربطة من التذاكر القديمة على الشباك ثم عاد "A" إلى البريد وابتلعت الربطة بدرج آخر. بيّن المستطيل الصغير من الأوراق الذي تلقاه "A" في عملية التبادل بأن الحوالة البنكية قد اتجهت إلى جريدة "لا كروا" التي من المفروض أن تكون قد وزعت على الرجال والنساء الذين أضاءت صورهم التحقيق حول عملية الأبعاد أو الاستثناء.

في اليوم التالي كان "A" يتلوى في المقعد الكبير، قارئا للمرة الثانية رسالة المرأة الشابة المنشورة في الصحيفة :

"منحنية الرأس، منطوية على نفسي، منعزلة، سوداوية النظرة، أمشي وحيدة في باريس مع أفكاري الرمادية. دون نحيب، فقط دمعة صغيرة، نقطة ماء صغيرة خفية، مغفلة جدا، لكن نتائج كبيرة ...... لمن حقيقةً؟ أنتم، هم، أنا، أنت؟"

اقترب السفير، بعد عودته من العطلة بفرنسا، ونظر باحتقار إلى سائقه الذي لم



يسمعه عندما فتح باب المكتب.

- حسنا يا أحمد يجب أن لا تتزعج!

- أوه، عذراً سيدي ..... لا أعرف ما الذي حصل لي!

رفع السفير نظره إلى السماء ثم ثبّت محكمة خلفية الأسقفية على الجلد الجمهوري. أخذ الصحيفة التي كان قد تركها أحمد لدى انصرافه وقلب عدة صفحات ووجه رأس "المون بلان" خاصته نحو الكلمات المتقاطعة البتول. لقد عرف الحد الأول : "أنهت حياتها المكتظة تماماً" وسجلت، مفعمة، الثلاثة أحرف من الاسم "غبي" .

---

* * دديية داينككس كاتب فرنسي ولد في عام 1949 في مدينة سان دني وعاش في مدينة اوبيرفيلية. كتب سيناريوهات للسينما والتلفزيون ونصوصاً للرسوم المتحركة. ومن أهم أعماله: "القتل للذاكرة" الحاصلة على أفضل جائزة للأدب البوليسي عام 1983. " الموت لا ينسى احد" و "الدمار" و "طعم الحقيقة" و "المتوحش" و "12 شارع ماكير" و " راوي الحكايات" و "مسند الدرابزين" و "رفاق الصف".

* أستاذ جامعي/ ك. الآداب



قرّب لغة الشعر من كل الناس على اختلاف
ثقافاتهم وطبقاتهم وأذواقهم

نزار قباني.. عاشق القلم



د. إبراهيم تركماني *

في معرض تعريف نزار قباني الشعر يقول:

«الشعر هو هذه اللغة ذات التوتر العالي التي تلغي كل لغة سابقة، وتعيد صياغتها من جديد.. الشعر هو مجموعة الأسئلة التي لا أجوبة لها، ومجموعة الأحلام التي لا تفسير لها.. هو شرارات الحرية وأمطار الحزن التي تتجمع تحت جلد الشعوب سنة بعد سنة وعصراً بعد عصر لتتفجر بعد ذلك أزهاراً وأقماراً وحجارة ياقوت ومقاتلين.. والقصيدة إذن طائر أسطوري يحمل على ظهره التاريخ والحياة والكرة الأرضية ويطير».

إذن، وبعد كلّ هذا، هل يلمس قارئ شعر نزار هذا التوتر العالي في اللغة، وهل يصافح مجموعة من الأسئلة لا أجوبة لها؟.. وهل يعيش مع أحلام لا تفسير لها؟.. وهل تلمع في صحراء الحياة العربية أمام عيني



القارئ شعره تلك الشرارات.. شرارات الحرية؟.. وهل يبتل رأسه بأمطار الحزن التي تتجمع ويجري تخزينها لتتفجر أزهاراً وأقماراً وتلد مقاتلين في سبيل التغيير وتكريس الأجمل والأفضل؟

لقد كان شعر نزار... على مدى مسيرة حياته الشعرية كذلك... لم يهن أو يضعف أو يهادن، ولم يتخاذل، على الرغم مما لحق به من أذى وما ألصق به من تهم، بعد نشره قصيدته الشهيرة «خبز وحشيش وقمر» التي كان لها وقع الصاعقة على العقول الراكدة الجامدة التي يزعجها أن تسلط عليها ضوء الشمس أو تجعل الهواء يدخل إلى أوكارها، فيزيل الغبار ويفتح العيون:

«عندما يولد في الشرق القمر
فالسطوح البيض تغفو
تحت أكداس الزهر
يترك الناس الحوانيت،
ويمضون زمراً لملاقاة القمر
ما الذي يفعله قرص ضياء ببلادي؟
ما الذي يفعله فينا القمر؟
فيصنع الكبرياء
ونعيش لنستجدي السماء
ما الذي عند السماء لكسالى ضعفاء؟
يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمر
ويهزون قبور الأولياء
علها ترزقهم رزاً وأطفالا
قبور الأولياء
الملايين التي لا تلتقي بالخبز إلا في الخيال
والتي تسكن في الليل بيوتا من سعال
أبداً ما عرفت شكل الدواء
تتردى جثثاً تحت الضياء
في بلادي حيث يبكي الأغبياء
ويموتون بكاء كلما طالعهم وجه الهلال».

لقد كانت هذه القصيدة زلزالاً في مرحلة الخمسينات من القرن الماضي هز الركود والجمود والقناعة والاستكانة والخنوع والرضا بالواقع.. وهي التي أنبأت بميلاد شاعر سيفعل فعله في الساحة الشعرية العربية على صعيد الجرأة في تناول الموضوعات المحرمة وطرح ما لم يكن مسموحاً طرحه، ومعالجة ما كان ممنوعاً على الشاعر أن يعالجه.

وعلى صعيد الثورة في بناء القصيدة واستعمال اللفظة وتجديد الأساليب والصور والأخيلة فقد غير نزار قباني في شعره الغزلي أو شعر المرأة كثيراً من المفاهيم وتجاوز الخطوط الحمراء التي لم يكن شاعر يجرؤ على تجاوزها، عندما دعا إلى تحرير المرأة وذلك بالنظر إليها مخلوقاً بشرياً له أحاسيسه ومشاعره وغرائزه إلى جانب عقل ذكي متوقد، لا يقل عن عقل الرجل الذي يملك شؤون الحياة ويتصرف بها من علم وتجارة وصناعة وسياسة واقتصاد... نعم كان ينظر إلى المرأة سلعة تباع وتشترى أو حلية تقتنى أو آلة للإنجاب ليس غير ومما يؤسف له أن هذه النظرة ما تزال سائدة في كثير من المجتمعات العربية اليوم، يقول نزار على لسان فتاة عربية تشكو من حالها المزرية:

لماذا يستبد أبي
ويرهقني بسلطته؟
وينظر لي كانية؟

كسطر في جريدته؟
ويحرص أن أظل له
كأني بعض ثروته؟
وأن أبقى بجانبه
ككرسي بحجرته؟»
وقال أيضاً:
«بلادي ترفض الحبا
تصادره كأي مصدر خطر
تسد أمامه الدربا
تطارده ... تطارد ذلك الطفل الرقيق الحالم العذبا
تقص له جناحيه
وتملأ قلبه رعبا!».

يطرح نزار على لسان هذه الفتاة توجهاً جديداً صوب فكر جديد يثور على الماضي وتقاليده الحافلة بالقيود والسدود ويزرع بذرة طيبة لعلها تنتج نبتة خضراء تبشر بالخلاص وتؤمن بالحب الطبيعي الصافي العلني في ضوء الشمس لا في الدهاليز المظلمة والزوايا المعتمة:

أسائل دائما نفسي:
لماذا لا يكون الحب في الدنيا لكل الناس؟!
كل الناس مثل أشعة الفجر
لماذا لا يكون الحب مثل الخبز والخمر؟
ومثل الماء في النهر
ومثل الغيم والأمطار
والأعشاب والظهر
أليس الحب للإنسان عمراً داخل العمر؟
لماذا لا يحب الناس في لين وفي يسر
كما الأسماك في البحر؟
كما الأقمار في أفلاكها تجري؟
لماذا لا يكون الحب في بلدي؟
ضرورياً ... كديوان من الشعر؟

يتهم بعض الدارسين نزاراً بشعره الغزلي المفرط في الاهتمام بالجانب الحسي الجسدي فيما يخص المرأة، وينتقدون غزله بأنه واقعي محقق: الشعر الليلي، أحمر الشفاه، النهدان المشرئبان، الخد المتورد أكثر مما يذكر الوجد والشوق واللهفة والحنين!

نعم... ولكن هل تنفصل الروح عن الجسد؟.. وهل هنالك حب مجرد معلق بالهواء لا علاقة له بالوصال بين العاشقين؟.. أليست عذابات المحبين صرخات صامتة مكبوتة لما ينشده الجسد من اتصال بمحاسن المحبوب وتذوق لمتع ذلك الاتصال ؟.. أليست أناشيد الغزل مقدمات لما يعانيه المحب من شوق ورغبة؟ أليست رجفة اليدين في حضرة المحبوب دليلاً على ارتعاش الفؤاد وخفقانه؟!.. أليست الدموع في عيني العاشق ترجمة للحزن الذي يعتلج في نفسه والحرمان الذي يؤرق لياليه؟

وهكذا يقف نزار موقف المعلم في موضوع الحب من تلميذة مبتدئة لا تفقه من دروس الحب إلا النزر اليسير:

«قل لي ولو كذباً كلاماً ناعماً
قد كان يقتلني بك التمثال»

إنها تريد مثل كل النساء أن تسمع كلام الغزل ولا تهتم بالسلوك الدال على الحب، ويزعجها من حبيب القلب أنه لا يتلو عليها ألفاظ الغرام ومفردات العشق فهو صامت جامد كالتمثال؛ وها هو يجيبها:

« قصص الهوى قد أفسدتك فكلها
غيبوبة وخرافة ومحال

الحب ليس رواية شرقية
بختامها يتزوج الأبطال
لكنه الإبحار دون سفينة
وشعورنا أن الوصول محال
هو هذه الأزمات تسحقنا معاً
ونموت نحن وتزهر الآمال
هو أن تظل على الأنامل رعشة
وعلى الشفاه المطبقات سؤال
هو هذه الكف التي تغتالنا
ونقبل الكف التي تغتال
كلماتنا في الحب تجرح حبنا
إن الحروف تموت حين تقال»

هذا هو الحب في نظر نزار... ليس كلاماً منمقاً مزوراً بل هو سلوك وعلامات دالة معبرة وتضحية وعطاء صامت... يرضى فيه المحبوب ويوقن بصدق العاشق وإخلاصه دون ادعاء.

الحب في نظر نزار محتاج إلى بيئة نقية حضارية، إلى مجتمع نفض عنه آراءه العتيقة ومفاهيمه البالية وتمتع أصحابه بقيم إنسانية تمجد الحب الصافي ولا تتنكر للعلاقة الصحية بين روحين أو جسدين.. مجتمع خلع عنه ثقافته المتخلفة إلى ثقافة جديدة قوامها حرية الإنسان وكرامته وتأكيد إنسانية المرأة فيه كي تعيش حياتها بمعزل عن الوصاية والتدخل والأمر والنهي... ونزار الذي كان يشعر أنه محاصر بشتى الممنوعات والمحرمات؛ لا يستطيع أن يعاشر خولة أو عبلة في جو كريم بعيد عن الأوهام والخرافات التي تحرم الحركة على المرأة وتتيح للرجل ما تتيح:

يقول:

«تغيرت خرائط النساء في دفاتري
تغيرت ملامح الجبال والوديان
والحنطة والعنب
تغيرت مناجم الفضة والذهب
فلا هناك عبلة
ولا هناك خولة
لا هناك زينب
ولا هناك قهوة ولا رطب!
تغيرت قرطبة
تغيرت غرناطة
فلا نساء الشام يبتسمن لي
ولا جميلات حلب!
إذا تغزلت بحسن امرأة
تأكلني الأسماك في بحر العرب».

والدارس لشعر نزار يلحظ مرحلتين واضحتين في مسيرته، الأولى طغت عليها اهتماماته بالمرأة غزلاً بسحرها وغناءً بمفاتنها وتعبيراً عن نفسيتها وما يدور في خاطرها من مشاعر وأفكار وهواجس وهموم، ودفاعاً عن حقها في الحب والتعلم والعمل في شتى الحقول، ودعوة إلى تحررها من كل ما يمنع حركتها ونشاطها، وتأكيداً لإنسانيتها ووقوفها للرجل نداً وشريكا تلهمه، فهي صديقة ورفيقة في رحلة العمر.

أما المرحلة الثانية فامتازت باهتمام نزار بالحياة العامة في المجتمع العربي، ولا سيما الأوضاع الاجتماعية المتخلفة المتردية، والظروف السياسية التي خلفت الهزائم والنكسات، وكرست الانقسام والفرقة والضعف والعجز عن مواجهة الأعداء

والمراوحة في مستنقع التخلف والوهم والخرافة والجهل والبعد عن الأخذ بأسباب العلم والرقي والتقدم، والبقاء بمعزل عن حركة التاريخ؛ فلا إنتاج لأي أثر حضاري بل استهلاك لكل ما ينتجه الغرب المتحضر من وسائل علم وتقنيات وصناعة.

ونزار يأخذ على العرب فرقتهم وانقسامهم وتشرذمهم بعيداً عن حركة التاريخ:

«الناي والمزمار

لا يحدث انتصار

ما دخل اليهود من حدودنا

وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا

خلاصة القضية

توَجز في عبارة:

لقد لبسنا قشرةَ الحضارة

والروح جاهلية!».

وعلى الرغم من رائحة اليأس التي تنتشر من سطور هذه القصيدة الغاضبة الساخطة، فالشاعر لا يستسلم ولا يستكين ولا تحبطه نكسة أو هزيمة وإنما يرى بارقة أملٍ قد تبشّر بالخلاص القادم وإن طال الزمن!

إنّه الأمل الذي يقرؤه في وجوه الأطفال الذين نعوّل عليهم:

« يا أيها الأطفال

يا مطرَ الربيع

يا سنابلَ الآمال

أنتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة

وأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة!»

وعلى أثر حرب تشرين التحريرية وانتصار إرادة الصمود والتحدّي يستعيد نزار شيئاً من التفاؤل ويبرق أمام ناظريه بارق الأمل ويلمع شعاعاً يبشّر بطلوع الفجر وانتشار الضوء في قلب العتمة؛ فيغني لدمشق المنتصرة المزهوّة بوصفها الحبيبة التي تختصر كلّ المحبوبات أو المعشوقة التي لا حدّ لجمالها السّاحر، فكلّ ما فيها يَسبي... وكلّ مَن فيها جدير بالعشق مِن أرقّ ياسمينةٍ وأعطر وردةٍ دمشقية إلى قاسيون الشامخ الحارس لكبرياء دمشق:

يا ابنة العم والهوى أقويٌ

كيف أخفي الهوى وكيف أبين

هاهي الشام بعد فرقة دهرٍ

أنهر سبعة وحور عين

والسماء الزرقاء دفتر شعرٍ

والحروف التي عليه سنونو

أهي مجنونة بشوقي إليها

هذه الشام أم أنا المجنون؟

جاء تشرين ياحبيبة عمري

أحسن الوقت للهوى تشرين

شام يا شام يا أميرةَ حبي

كيف ينسى غرامَه المجنون؟

أوقدي النار فالحديث طويل

وطويل لمن نحبّ الحنين!!

شمس غرناطةٍ أطلت علينا

بعد يأسٍ وزغردت ميسلون

وطني يا قصيدة النار والور

د تغنّت بما صنعت القرون!!

بعد هذه الجولة السريعة التي حاولنا فيها التعرّف إلى مسيرة نزار الشعرية في مضامينه، لا بأس من الإشارة إلى أهم ما يمتاز به شعره: أسلوباً وصياغةً؛ حيث

(السهل الممتنع)؛ فلا يخلو من السهولة والبساطة المفرطة والعفوية إلى جانب القرب من لغة الحديث اليومي والحياة العادية في البيت والشارع فيظن القارئ واهماً أنه قادر على الإتيان بمثله حتى إذا تمت المحاولة كان الإخفاق نصيبها.

ذلك لأنّ نزاراً يملك من أسباب الموهبة الشعرية وطلاقة التعبير وجمال الأداء والقدرة على التعامل مع اللغة بحب ويسر وتطويع ما يجعله مدرسة وحده في الأسلوب والتعبير بمهارةٍ من أصغر الموضوعات وأكبرها وأخطرها:

«أنت لست امرأة عادية
تملك الفتنة والقدّ المليحا
إنك الأصل الذي أنقل عنه
والذي فجرني شعراً وروحاً
أنت أعلى قمةٍ في رحلتي
ليس من طبعي أن أهوى السفوحا!».

مما سبق تتضح السهولة التي يكتب بها نزار والعفوية التي يجري عليها الكلام؟!.. فانسياب الجداول رقراقة متهاوية؟!.. ثم إن هناك خصيصة تفرد بها نزار؛ نعني بها تقريب لغة الشعر من كل الناس على اختلاف ثقافاتهم وطبقاتهم وأذواقهم فما نظن واحداً أياً كانت ثقافته ودرجة تحصيله العلمي إلا ويتذوق شعر نزار ويطرب له، فالشاعر بارع أيما براعة في (تفصيح) كثير من المفردات العامية وتوظيفها في قصائده دون أن يسيء ذلك إلى فنية القصيدة وشاعرية صاحبها:

«الزواريب، فخشخشة الأساور. نطقطق عظم أرجلنا، الطبشور، الشراشف، السردين، الدانتيلا، الكشمير، الفساتين، كانت القطط تخرمشني، الكريستال، الياسمين يهرهر».. هذه المفردات وغيرها كثيراً ما وردت هنا وهناك في ثنايا قصائد نزار والقارئ لا يحس بأي نشوز أو إزعاج يعكر صفو المتعة الفنية.

يقول نزار:

«أنا المتناثر بين المنافي
أنا المتسكع في طرقات العدم
عشقت ألوف النساء ... نعم
خذلت ألوف النساء ... نعم
وودعتهن بكل اللياقات
حتى اعتراني السأم
وأغلقت كل دفاتر حبي
فحبي الحقيقي كان القلم!»

إذن أين كل ذاك الحبر المراق على الصفحات غزلاً وهياماً بالمرأة؟!.. أين كل تلك الحروف النابضة بالعشق المحترقة بنار الوجد؟!.. أكان كل ذلك خدعة كبيرة؟!.. مغفورة لك كل ذنوبك أيها الشاعر الكبير!.. ما دمت عاشقاً للقلم، ونِعمَ العاشق والمعشوق!

* أستاذ جامعي/ ك. طب الأسنان



بتحييد الشروط الجمالية.. فقدان النص أدبيته في «لا استجابته» لتوقعات المتلقي

مظاهر التلقي في الخطاب النقدي القديم

د.حميد سمير *

لقد فطن النقاد القدامى إلى أن التجربة الجمالية ليست وقفاً على شعرية النص وحدها، تلك التي ترتد إلى بنية نصية مغلقة، بل إن تحقيقها رهين أيضا بعنصر التلقي الذي يمنح لهذه البنية الحركة والفعل، وذلك بسبب وجود طرف ثان يتلقى النص ويتفاعل معه. إنه القارئ أو المتلقي الذي هو "دائم المثول أثناء عملية الإبداع وبعدها".

وحينما نتحدث عن المتلقي أو القارئ في تصور النقاد القدامى يجب أن نميز بين ما يسميه إيزر المتلقي الضمني، ومن صفاته الغياب والخفاء في بنية النص، وبين المتلقي الفعلي الذي يكتسي صبغة إنسانية، ومن خصائصه الحضور والتجلي، وتكمن وظيفته في معاينة النصوص بوصفه خبيراً بمواطن الجمال يمتحنه بطبعه وفكره على حد سواء.

إن من بين ما تشير إليه ظاهرة التلقي في تصور النقاد القدامى هو أن النص الأدبي يستمد وجوده من لقائه بالمتلقي، وذلك من خلال التركيز على مجموعة من القضايا والمعايير باعتبارها موضوعاً جمالياً يتم التجاوب معه. وبهذا يكون للمتلقي دور فعال في تشكيل التجربة الجمالية، الأمر الذي يجعل وجوده في النص أمراً ضرورياً على نحو من الأنحاء. أو نقول بمعنى آخر: إن المتلقي يكون له وجود فعلي في بادئ الأمر تثيره مجموعة من العناصر النصية، يتجاوب معها ثم يحولها إلى موضوع جمالي

هو نفسه الذي يتم تداوله بعد ذلك في كل النصوص المتعاقبة في تعاود وتكرار. وحينما يختفي هذا المتلقي وتغيب ذاته، تصبح العناصر النصية والمعايير الجمالية التي تجاوب معها أول مرة، إحدى لوازمه التي تسد مسده، ومن ثم تصبح دالة على حضوره الضمني في النص.

نفهم من خلال هذا التصور أن للمتلقي – في مفهوم القدماء – سلطة على النص إلى درجة أنها تعصف بحرية المؤلف وترغمه "على أن يقول ما يريد السامع منه أن يقول. إذ يتدخل في كيفية إجراء اللغة وتصريفها فيمنع المبدع من ارتياد المجهول باسم المواضعة، واحترام النهج المسلوك في الكتابة ويكرهه على بناء قصيدته بناء نمطياً لا عدول عنه باسم الإفهام وإيفاء السامع حقه".

ومن بين الإشارات النقدية القديمة التي تؤكد دور المتلقي في نشأة النص وتكوينه، وتشدد على حضوره القوي في بنية القصيدة العربية، ما أورده ابن قتيبة في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء"، أثناء حديثه عن بناء القصيدة العربية، وفيه تلميح إلى أن هذه القصيدة يسكنها متلق ضمني صمم وفق رغباته وتوقعاته ومراعاة حالته النفسية، وهذا شيء نلمسه في كل أقسام القصيدة العربية، كما تحدث عنها ابن قتيبة بدءاً بالاستهلالات كالبكاء على الأطلال ووصف الرحلة والنسيب، وانتهاء بالغرض الرئيسي المتمثل في غرض المدح. فكل هذه الأجزاء تتضمن حكمة واحدة - يعلمها المتلقي الضمني – تتجلى في مراعاة مقامه وإرضاء توقعاته والاستجابة لأفق انتظاره، وهكذا تكون غاية الشاعر من استهلال قصيدته بالبكاء على الأطلال ووصله بالنسيب هو أن "يميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه وليستدعي إصغاء الأسماع لأن التشبيب قريب من النفوس لائق بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق...".

وإمعانا من ابن قتيبة في إعطاء المتلقي قيمة مهيمنة في هذا البناء، اتخذه أيضاً معياراً يؤثر في العلاقات الكمية بين أجزاء القصيدة. وما حرصه على مبدأ التناسب والاعتدال بين هذه الأجزاء إلا أحد مظاهر العناية بالمتلقي الضمني ومجالاته النفسية، لأن ذلك من شأنه أن يجعل القصيدة تحظى بقبوله، بعيداً عن الحشو والإطناب الذي يعرضه للملل، وبعيداً أيضا عن الإيجاز المخل الذي لا يشبع لذته الفنية، ولا يبلغ بها ذروة مدارجها.

ويزيد حازم القرطاجني على كلام ابن قتيبة حينما يذكر أن كل قصيدة مدح تتضمن متلقياً محدداً، له خصائص وملامح شخصية خاصة تعبر عن مقامه ومكانته في المجتمع، وعلى الشاعر أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار فلا يضع المتلقي المقصود في مقام لا يليق بوضعه. فمدح الخلفاء غير مدح الأمراء والوزراء، ومدح هؤلاء جميعا يختلف عن مدح السوقة وعامة الناس. فلكل واحد

من هؤلاء معجم شعري يناسبه، وملامح شخصية وفضائل خلقية تبوؤه المقام الذي يليق به لا يتعداه إلى مقام آخر.

ومما يؤكد أن المتلقي في تصور النقاد القدامى كان يشكل معياراً فنياً يمارس هيمنة قوية على الأحكام النقدية، هو أن أدبية النص كانت تقاس لدى هؤلاء بمدى مطابقتها لمقام المتلقي، بل إن عدم مراعاة هذا المقام يعد في نظر بعضهم عيباً قد يشوش على أدبية النص كما يتجلى ذلك واضحاً في كثير من الالتفاتات النقدية عند القاضي الجرجاني، منها هذه الموازنة التي أقامها بين شعر لأبي تمام وآخر لأبي الطيب:

قال أبو تمام:

غرَّبَتْهُ العُلا على كثْرة الأهل

فأضحى في الأقربين جنيبا

فَلْيَطُلْ عُمرُهُ فلوْ مات في مرْو

مقيماً بها لمات غريبا

وقال أبو الطيب:

وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني

إن النفيسَ غريب حيثما كانا

وبيت أبي الطيب أجود وأسلم، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت في المديح، فلا حاجة به إليه، والمعنى لا يختلُّ بفقده، ومن مات في بلده غريباً فهو في حياته غريب، فأي فائدة في استقبال الممدوح بما يتطير منه.

ويلمح الجرجاني مرة أخرى إلى هذه القضية وهو يستعرض الرديء من شعر أبي تمام. ومن بين ما ساقه في هذا المجال شاهد شعري لم يراع فيه أبو تمام مقام التلقي، وذلك باستعماله معجماً لا يستجيب لأفق انتظار المتلقي حينما توجه إليه بقوله:

شكوت إلى الزمان نحول جسمي

فأرشدني إلى عبد الحميد

يقول الجرجاني: "وإنما يرشد في نحول الجسم إلى الأطباء، فأما الرؤساء والممدحون فإنما يلتمس عندهم صلاح الأحوال" .

ويتبين من خلال هذين الشاهدين أن النص قد يفقد أدبيته لا لأنه لا يستجيب لمعايير نصية وجمالية فحسب، بل إنه قد يفقدها ويوصف بالرداءة أيضا إذا لم يستجب لتوقعات المتلقي ولم يحافظ على جيناته الوراثية كما رسمت ملامحها سُنّة الأجداد الثقافية، وكما كرستها التقاليد الشعرية القديمة.

ولم تكن عناية النقاد القدامى بشعرية النص وجمالية مبناه إلا مظهراً آخر يجسد اهتمامهم بجانب التلقي وما يصدر عن ذلك من استجابة، سواء أكانت تتجسد في إحساس شعوري ممتع بالراحة واللذة، أم كانت استجابة فعلية يصحبها انفعال يؤدي إلى النزوع إلى الفعل. ويعني هذا أن الاستجابتين معاً تركزان على وقع النص وتأثيره في المتلقي، استناداً إلى عناصر أدبية ومعايير جمالية، تتجسد وظيفتها في إثارة المتلقي وإحداث الوقع الجمالي ونشوة الطرب.

وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن الباحثين في الإعجاز القرآني كانوا أول من وجه الأنظار إلى أن للنص وقعاً نفسياً يخلفه في المتلقي، بل إن الخطابي صاحب "بيان إعجاز القرآن" قد ذهب إلى حد أن اعتبر

هذا الوقع وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني. يقول: "...في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم. ولذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس. فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين الناس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانا".

إن ما يتضمنه هذا الكلام وما يوحي به هو أن للنص سلطة نفسية يمارسها على المتلقي، وهي التي تخول له التأثير فيه وتوجيهه صوب مقصدية النص للامتثال لها. وبقدر ما يكون النص مؤثراً وذا وقع نفسي يكون موضوعاً للتلقي الجمالي، وبذلك يسهم في تأسيس جماليته الخاصة، ونعني بها جمالية التلقي، وهي أن يتحلق حول النص جمهور من المتلقين والمعجبين يستسلمون لدبيب لطفه يسري فيهم، ولبيان سحره يداعب مشاعرهم وأحاسيسهم، فيعبرون عن ذلك من خلال موضوعات جمالية تحدد مواطن الجمال وتعينها، وقد يعجزون أحيانا عن التعليل فيعبرون بحركات تسد مسد العبارة، إشارة منهم إلى الوقع الذي أحدثه النص في نفوسهم. فهذه الحالة وإن كانت تتوفر لنصوص فنية تملك بعض العناصر الجمالية، فإنها قد بلغت حد الكمال وقمة الإعجاز في النص القرآني، الذي استطاع بيانه منذ نزوله أن يخترق نفوس متلقيه فتقشعر منه الجلود وتلين له القلوب وما يزال: والشواهد التاريخية التي تؤكد هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني كثيرة، استعرض بعضها الخطابي، من بينها إسلام عمر بن الخطاب عقب سماعه لأخته وهي تقرأ سورة طه، فلما وقع ذلك في سمعه لم يلبث أن آمن.

وهذا يؤكّد أن للنص القرآني وقعاً يستحوذ به على النفوس والقلوب، فيؤثر فيها تأثيراً قوياً يجعلها تغير معتقداتها القديمة وتلين إلى ذكر الله. وأن هذه خاصية تميز بها القرآن الكريم حتى عدّها الخطابي وجها من وجوه إعجازه الكثيرة، مستشهداً على ذلك بآيات كثيرة، تشهد كلها على أن للنص القرآني وقعاً نفسياً لا يجاريه فيه نص آخر مهما بلغ من الجودة والإتقان. منها قوله تعالى: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله". ومنها قوله سبحانه "الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله". ومنها كذلك قوله تعالى: "وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول

ترى أعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحق".

أما إذا انتقلنا إلى الكتابات النقدية عند نقاد الشعر فإننا نقف على إشارات نقدية أحسّ فيها أصحابها بقيمة التلقي ضمن التجربة الشعرية، كما هو الشأن عند ابن طباطبا وذلك عندما تحدث عن أثر الشعر في سلوك المتلقي. يقول: "إذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخفى دبيباً من الرقى، وأشد إطراباً من الغناء، فسلّ السخائم، وحلل العقد، وسخى الشحيح، وشجع الجبان، وكان كالخمر في لطف دبيبه وإلهائه، وهزه وإشارته. وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا".

لقد أدرك ابن طباطبا بتأمل عفوي، أن جودة الشعر تقترن بوظيفته التأثيرية. بمعنى أنها تقاس بقوة الأثر الذي تخلّفه في سلوك المتلقي، مما يترتب عنه استجابة جمالية. كما يُفهم من هذا أيضا أن لكل نص شعري متلقياً خفياً تتضمنه بنية النص ويختفي وراءها. إنه متلق له صورة بشرية وملامح شخصية ولكنه غير مرئي.

ومما يتضمنه كلام ابن طباطبا أيضا هو أن واقع الشعر العربي آنئذ كان يفرض وجود متلقيين اثنين، لكل واحد منهما استجابة خاصة: الأولى ذات منزع جمالي محض، غايته البحث عن المتن الذي تهيمن فيه عناصر الإثارة، مما من شأنها أن تحقق للنص لذة فنية، تلك التي كان العرب يشبهون سريانها في جسد المتلقي بدبيب الخمر وما يحدثه من نشوة لا إرادية تنفلت من ضوابط العقل ومن جدّية حكمته.

أما الاستجابة الثانية فتكون مقرونة بسلوك فعلي، لأنها لا تتلقى خطابا جماليا حرا، بل خطابا يمزج بين الأدبية والنفعية، تحصل به المتعة الفنية إلى جانب كمال العلم والمعرفة. وهنا نكون إزاء متلق متعدد الاستجابات، يتلقى الشعر تلقيا جماليا، وينفعل به على أساس وظيفته المنفعية والتعليمية.

ويبدو لي أن تلك المختارات الشعرية كالمفضليات والأصمعيات وحماسات أبي تمام والبحتري وابن الشجري وما أشبه ذلك، قد اختيرت وجمعت استنادا إلى هذين الاستجابتين. فكانت كل النصوص المختارة تستجيب لأفقين متداخلين وذلك لإرضاء المتلقين معا: يعني هذا أن اختيار النص كان يتم وفق معايير جمالية تخضع للذوق الفني السائد. وهو ذوق كان يحدد المعايير الأدبية وفق مقومات الأدب بالمفهوم القديم، حيث المعنى الفني يتضمن المعنى الأخلاقي ويلازمه. وبهذا تصبح كلمة أدب في المفهوم العربي القديم ذات معنى أخلاقي، يختلف عن مفهوم الأدب بالمعنى الغربي (Litterature).

فبناء على هذا الفهم يظل الاختيار الشعري عند العرب خاضعا لنمط فني سائد، يتداخل فيه جنس الشعر مع أجناس أخرى في الأدب العربي، كالحكمة والموعظة والمثل والخطابة. فهذه الأجناس يتداخل بعضها مع بعض، الشيء الذي يضفي على

الخطاب الأدبي القديم صبغة تعليمية تغلب عليها صيغة الأمر والنهي، وبذلك تشكل هذه الأجناس كلها نمطا خطابيا واحدا يندرج ضمن الخطاب التعليمي التأديبي.

لقد وجدت فئة ثالثة – إلى جانب الباحثين في الإعجاز القرآني ونقاد الشعر– انشغلت هي الأخرى بقضية التلقي، وشدّدت على وظيفتها في التجربة الفنية. ونعني بهم فئة الفلاسفة المسلمين، فقد وجهوا هم أيضا النظر إلى قيمة التلقي بطريقة أكثر وضوحا وبيانا، كما نجد ذلك في تصنيفهم للفنون، وتمييزهم بين أجناسها وأنواعها تبعا لنوعية الاستجابة التي تحدثها هذه الفنون في المتلقين، واستنادا إلى ردود أفعالهم، وما يصاحب ذلك من سلوك فعلي. وإلى هذه المسألة أشار الفارابي وهو يميز بين استجابتين مختلفتين: استجابة نفسية لازمة تتوقف عند الإحساس بالمتعة، وتكتفي بلذة النص وما يلازمها من نشوة وطرب ودغدغة نفسانية. أما الاستجابة الثانية فهي استجابة فعلية ومتعدية، تترجم الانفعال النفسي إلى سلوك فعلي، لأنها ترى في لذة النص وسيلة للتأثير في سلوك المتلقي. يقول الفارابي: "والألحان بالجملة صنفان، على مثال ما عليه كثير من سائر المحسوسات الأخر المركبة مثل المبصرات والتماثيل والتزاويق، فإن منها ما ألف ليلحق الحواس منه لذة فقط من غير أن يوقع في النفس شيئا آخر. ومنها ما ألف ليفيد النفس مع اللذة شيئا آخر من تخيلات أو انفعالات ويكون بها محاكيا أمورا أخر. والصنف الأول هو قليل الغناء، والنافع منها هو الصنف الثاني".

فوفق هذا التصنيف وعلى غراره لجأ الفارابي إلى تقسيم ثنائي وزع عليه الأقاويل الشعرية أيضا، تبعا للاستجابة التي يحدثها الشعر في المتلقي، وبذلك نكون إزاء متن شعري ذي وظيفتين متباينتين لكل واحدة استجابتها الخاصة، "منها ما يستعمل في الأمور التي هي جد، ومنها ما شأنها أن تستعمل في أصناف اللعب. وأمور الجد هي جميع الأشياء النافعة في الوصول إلى أكمل المقصودات الإنسانية، وذلك هو السعادة القصوى".

أما ابن سينا فقد نظر هو الآخر إلى الإبداع الشعري – شأنه في ذلك شأن الفارابي – نظرة ثنائية، تتحكم فيها استجابة المتلقي ونوعيتها. وانطلاقا منها نكون إزاء نمطين شعريين: نمط يقال للتعجيب وحده، ونمط يقال للأغراض المدنية. ولكل نمط من هذين النمطين متلق ضمني ذو استجابة خاصة. وهكذا ينتهي الأمر بابن سينا إلى القول بأن العرب "كانت تقول الشعر لوجهين: أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال، والثاني للعجب فقط، فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه".

إن ما تجمع عليه كل هذه الشواهد جميعها – يستوي في ذلك ما ينتمي إلى مجال البحث في إعجاز القرآن والنقد الشعري، وما ينتمي إلى مجال الفلسفة– هو التشديد على قيمة المتلقي وعلى دوره الوظيفي في مجال التجربة الجمالية، الأمر الذي يفهم منه أن قضية التلقي كانت تشكل ظاهرة نقدية عامة، انشغل بها الفكر

العربي برمته فكان يهتم بتوقعات المتلقي وباستجاباته لأنها جزء من التجربة نفسها. واستنادا إلى مبدأ الوقع تحددت للفن عموما وظيفتان اثنتان هما: الإمتاع والفائدة. ولقد تعمقت هذه الوظيفة الثنائية في ضمائر العلماء والنقاد والفلاسفة جميعهم، وذلك تحت تأثير "واقع الإبداع العربي، ابتداء من "الأرابيسك" والزخارف الخطية والوحدات المعمارية التي تنحصر متعتها في تجانس شكلي يقوم على تجريد خالص، وانتهاء بأكبر أقسام الشعر الذي ارتبط بالدعوة المباشرة لعقيدة أو مذهب أو حاكم".

---

* أستاذ جامعي/ ك. الآداب جامعة الحسن الثاني.



تجربتي مع الأقلام الشابة

د. راشد عيسى *

في الحادي و العشرين من عمري كتبت أول قصيدة اعتقدت أنها صالحة للنشر، ذهبت إلى محرر بريد القراء في الجريدة، عرضتها عليه فقال: انتظر رداً مني في زاوية. قلت: ولكن القصيدة جيدة، وقابلة للنشر دون رد. صرخ بي: هل أنت أفهم مني؟!

تركت القصيدة عنده وانصرفت. وفي الأسبوع التالي قرأت رده على قصيدتي "قصيدتك فاشلة، أنصحك بترك الشعر لتتوجه إلى كتابة القصة".

غاظني تعليق المحرر غيظاً شديداً؛ فهو لم يبيّن لي أسباب فشل القصيدة، فصممتُ أن أتحدّاه، وأرسلت القصيدة إلى مجلة النهضة الكويتية، وكتبت على ظهر المغلّف "بريد القراء"، وبعد ثلاثة أسابيع فوجئت بنشر القصيدة في الصفحات المخصصة لنشر أدب الكبار المبدعين. وكان اسمها "واحة الشعر والأدب"، وتحتها تعليق مفاده: "الأخ راشد.. يسرُّ المجلة أن تخصها بقصائدك".

حرتُ في أمري حيرة واسعة ورشقتني أسئلة كثيرة مدبَّبة منها: أيهما صاحب الرأي الصواب: محرر الجريدة أم محرر المجلة؟! وهل القصيدة جيدة حقاً ولكن محرر الجريدة لم يرقْ له غروري فأراد أن يعطيني درساً في التواضع؟! أم هل القصيدة ضعيفة حقاً، فأراد محرر الجريدة أن يكون واضحاً صادقاً معي؟! هل محرر تلك المجلة يفهم في الشعر أكثر من محرر الجريدة؟!

سررت على كل حال بنشر القصيدة، وصرت أدور بها على أصدقائي بزهو الطاووس، لكنني لم أخبر محرر بريد القراء في الجريدة بنشرها. كتبت قصيدة أخرى وأرسلتها إلى بريد القراء في الجريدة وأرسلتها في الوقت نفسه إلى واحة الشعر

والأدب في تلك المجلة. وكانت النتيجة أن محرر بريد زاوية القراء كتب في ردّه عليّ "انتظر.. سننشر قصيدتك في الملحق الثقافي قريباً؛ فهي قصيدة ناضجة!"، في حين أحال محرر واحة الشعر والأدب في المجلة قصيدتي إلى بريد القراء فنُشر منها بيتان فقط وتحتها تعليق "حاول مرة أخرى".

رشقت هذه المرّة نفسي بحزمة أسئلة أخرى: ما الذي يجري؟! أين الحقيقة؟! من المخطئ ومن المصيب؟! من المزاجيّ ومن صاحب الرأي السديد؟! ثم بعثت قصيدة أخرى إلى إحدى المجلات السعودية التي تخصص ملحقاً للأدب فلم تنشر، وعززتها بأخرى فلم تنشر، وثالثة فلم تنشر! كانت القصائد الثلاث عمودية؛ فقلت ربما لايحبون مثل هذا الشكل الشعري القديم!

كتبت نصاً غامضاً كما لو أنني في حالة هستيريا وأذكر منه: "أغربل حصى الغيوم وفي يدي الرعد يبكي فتقع دموعه على الأسماك الميتة فتطير، العصافير تنبح والكلاب تغني ، والبحر يختبىء في حذائي!"، وبعثت النص باسم مستعار فنشرته المجلة في موضع لائق مع رسم تعبيري جميل.

تلك ثلاثة مواقف حدثت معي في بداية مشواري مع الشعر؛ تعلمت منها أشياء تخص موقف الكاتب الناشئ مما يكتبه وأشياء تخص مقيمي أدب الشباب الطالع.

موقف الكاتب الناشئ:

من كلّ ذلك تعلمت أنه يحسن بالكاتب الطالع أن يعلم أنّ الكتابة تجريباً ونصاً قابلة للفشل أو النجاح، وأن يجتنب الزهو والغرور وتضخيم الذات؛ فالكاتب المبدع كالنخلة المحمّلة بعذوق التمر تتدلى نحو الأرض. أو كما قال الشاعر: "ملأى السنابل تنحني بتواضع، والفارغاتُ رؤوسهن شوامخُ!".

وتعلمت أن على الكاتب أن يثق بقدرته على تجاوز ما يكتب نحو الأفضل، ولا يأخذه الاعتداد بنفسه والاعتزاز بنصّه إلى منطقة التباهي الأجوف، كما أن عليه أن يختار من المقيمين من يثق بتجربتهم الإبداعية وبآرائهم في الأدب، وأن يدقق فيما يراه المقيّم تدقيقاً طويلاً فيأخذ بالرأي الذي يراه منيراً ويعمل به، ويدع ما يتيقّن أنه وجهة نظر ليس بالضرورة أن يأخذ بها، وأن يخلص لطبيعة الشكل الأدبي المفضل لديه لكي ينمي مداركه وثقافته الفنية في هذا الشكل ويتجاوز منجزه باستمرار نحو ما هو مختلف واستثنائي في الإبداع .

وأقول عليه أن يطلّع على تجارب السابقين ويفيد من تجارب المعاصرين المتميزين، وأن يرصد ويغربل ويحلل ويقارن ويقوم بجميع عمليات التفكير الناقد، وينمي ثروته اللغوية

> **الكتابة الجيدة ليس لها تعريف ولا مواصفات، إنما لها منظومة أقدار وحظوظ ومصادفات قد تلغي كل الأعراف الكتابية المعروفة**

لاكتساب المزيد من أساليب التعبير، ولا يتعجل النشر، ولا يكون ملحاحاً ومملاً في عرض إنتاجه، وأن يفيد من المشاهد اليومية الواقعية ومن أخلاق الطبيعة وعاداتها.

وأضيف: على الكاتب أن يتزوّد بقراءات ومعارف من علم النفس في سائر فروعه، وأن يعلم أن الأدب إيحاء وإيماء وتكنية وليس وصفات إصلاحية اجتماعية، فالكاتب ليس واعظاً ولا مصلحاً اجتماعياً، إنما هو صاحب رسالة جمالية يمكن أن تكون غنية بالفكر الشعوري أيضاً.

أنصح بأن يحضر الندوات والأمسيات والمهرجانات الثقافية المختلفة ليتزود بحصيلة من مهارات الإعلام الأدبي، وأن يعلم أن الإبداع الأدبي هو استحضار الحقيقة بالوهم، وأن يدرك أن الأدب ليس شيئاً يُقال وإنما طريقة يُقال بها.

كما أن عليه أن يختار أنسب الأوقات لنشاطه الذهني، وأرشّح له الصبح الباكر أو بعد أخذ قسط كافٍ من النوم الهادئ المريح، وأن يستخدم - كما يقول بشر بن المعتمر- "اللفظ الناعم للمعنى الخشن"، وأن يحرص على أن يمثّل نصه -على الأغلب- التراث والمعاصرة والحداثة معاً، وأن يدرك أن تقنيات الكتابة ليست وصفة طبية جاهزة يمكن العمل بها ليصبح أديباً متميزاً وإنما محاولات لاختراق المأنوس موضوعاً وشكلاً بطرائق فنية جمالية جديدة.

موقف المقيّم:

وأقول: تقييم العمل الأدبي مسؤولية أخلاقية وفنية معاً وإنه لمن الجميل للمقيّم أن:

يخلص في قراءة العمل الأدبي، ويوازن أحكامه النقدية فلا يشتط في المدح والإطراء، ولا يبالغ في إبراز مساوىء النص، ويحيّد العلاقة الشخصية بالكاتب الناشئ سواء أكانت سلبية أم إيجابية؛ لكي تكون أحكامه موضوعية خالصة.

وعلى المقيّم أن يتسع صدره لمحاورة الكاتب إذا لزم الأمر، ولا يتمسك بآرائه إذا رأى أن وجهة نظر الكاتب صحيحة أو مقاربة للصحة، ولا يبخل على الكاتب المجيد بالتشجيع والمؤازرة بالوسائل التي يقدر عليها مثل مساعدته وتزكيته لنشر أعماله.

وأنصح المقيّم ألاّ يَعْتدّ برأيه بأسلوب يُسفّه العمل الأدبي أو يسيء شخصياً إلى الكاتب، فالغرور الذي لايحمدُ للكاتب لا يحمد للمقيّم الناقد مهما بلغ مستواه الأدبي وسمعته، ومن خبرتنا عليه أن يعطي من وقته الخاص فرصة للكاتب لإرشاده إلى كتب أو مجلات أو أي مصادر معرفية يفيد منها في إغناء تجربته، وأن يُشعر الكاتب بالاحترام والتقدير عندما يكون رأي المقيّم محرجاً أو قاسياً أو صادقاً، وذلك باستخدام أسلوب تعبير غير تهكميّ وغير ساخر قد يؤذي مشاعر الكاتب.

كما أنّ عليه أن يقدّم آراءه على أنها اجتهاد وتوقع وتخمين، فلقد ثبت أن كثيراً من الأعمال الأدبية التي هوجمت وسُفّهت أصبحت ذات قيمة فنية عند نقاد آخرين، وألاّ يغفل عن تذكير الكاتب بضرورة امتلاك الأدوات الفنية الأولى من لغة ونحو وصرف وإملاء، والتدرب على إتقانها، وأن يحبب

الكاتب بجماليات اللغة العربية ويشجعه على اكتساب مهارات الصياغة وفق البيان العربي، ويتحقق أن الكاتب الناشئ جادٌّ ومخلص لموهبته وليس عابراً يقصد التسلية.

نماذج من الكتّاب الناشئين:

أتيح لي أن أواكب عشرات المواهب الشابّة، وفي ذاكرتي نماذج متنوعة من هذه الأقلام: فئة واظبت وأخلصت فنياً لموهبتها وحققت تقدماً أدبياً عالياً وصارت من الأسماء المعروفة.

وفئة تراجعت بعد نصّين أو ثلاثة لأسباب مختلفة. وفئة بدأت مزيفة وعرضت نصوصاً مسروقة لم أكتشفها لكن هذه الفئة تراجعت وانسحبت إلى النسيان. وفئة بدأت مزيفة أيضاً واكتشفتُ سرقاتها فانسحبتْ أو ظلّت تسرق بعيداً عن أعين المهتمين، وفئة استعجلت نشر النصوص في كتب على حسابها الخاص دون تقييم حقيقي فتعثرت وفشلت وانسحبت، وفئة تعاملت مع الكتابة الأدبية لأغراض خاصة كالشهرة الاجتماعية أو الكسب المادّي السريع سرعان ما انتكست وصمتت.

منظومة من المرايا:

- تبدأ الكتابة الجيدة جنيناً ثم رضيعاً ثم صبيةً ثم شابّة ثم امرأة كاملة النضج.
- الكتابة كبرعم الزهرة لا يكتمل تفتحه إلاّ بالري والعناية وتوفير الجو للإزهار والنموّ.
- الكتابة الجيدة مغامرة كاللعب بالحجارة والبيض معاً.
- الكتابة الجيدة لا تسعى إلى إحياء التراث بل إلى الاستيحاء منه والإفادة منه لما يخص نبض المعاصرة وطبيعة التحديث الفني.
- الكتابة الجيدة تلتزم بالقيود الفنية، وتحاول الخروج عليها في آنٍ معاً، خروجاً قائماً على جماليات وأصول وقيم فنية.
- الكتابة الجيدة رسالة جمالية للإنسانية وليس وثيقة مواعظ وتوجيهات أخلاقية.
- الكتابة الجيدة المبدعة تنفر من الساكن وتنحاز إلى المنزلق من الجماليات الفكرية والفنية.
- الكتابة الجيدة ابتكار أساليب تعبير وليس اجترار تقاليد كتابية باهتة ميتة.
- الكتابة الجيدة ليس لها تعريف ولا مواصفات، إنما لها منظومة أقدار وحظوظ ومصادفات قد تلغي كل الأعراف الكتابية المعروفة.

---

* شاعر وأكاديمي أردني

حكمة

من ليس له أعداء، منبوذ من قبل الأصدقاء.

■ أوسكار وايلد



أعلام السردية هم أنفسهم أعلام البنيوية
ومن قبلها الشكلانية
يكثر الخلط بين مرجعيات نقد السرد
ومرجعيات نقد القصة والرواية

نظرية السرد: المصطلح والإجراء النقدي



د. عباس عبد الحليم عباس *

السرد : ثقافة المصطلح والتلقي العربي

تتصدر الأبحاث المصطلحية اليوم العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في ميادين معرفية شتى، وفي موجة الدراسات الحديثة التي عنيت بنقد النثر الأدبي في أجناسه المختلفة، كالقصة والرواية والحكايات الخرافية والأمثال وفنون النثر القديم من رسائل ومقامات، برزت مصطلحات نقدية مترجمة عن المنجز النقدي الغربي، في بيئة علم السرد أو السرديّة Narratology المستمدة من الجذر اللغوي Narrate. وقد لاحظ المعنيون بالدراسات السردية أن أهم المقترحات الترجمية المقدَّمة لمصطلح Narratology هي: علم السرد، والسرديات، والسرديّة. ونظرية القصة، والقصصيّة، والمسردية، والقصّيات،



والسردلوجية، والناراتالوجيا.

السردية في دوائر الوهم

يمكن القول إنّ سوء الفهم المصطلحي سبب أساسي في الخلط بين مرجعيات نقد السرد ومرجعيات نقد القصة والرواية؛ بحيث صارت مفردة (السرد) أو (السردي) تدخل في عناوين البحوث التي تتناول نقد القصة أو الرواية نقداً تقليدياً لا يمت إلى نظريات السرد بصلة. فما كان يبحثه عبد المحسن طه بدر في كتاب معروف مثل: (نجيب محفوظ: الرؤية والأداة) لا يمكن أن يدخل بحال من الأحوال ضمن نظرية النقد السردي، فنظريات الرواية التي كانت سائدة في السنوات قبل 1960 تتأسس في أنظارها النقدية على استراتيجيات معينة في التناول النقدي للرواية، ليست هي الأنظار التي ابتدعها السرديون فيما بعد، فضلاً عن أن مناهج النقد الروائي أسست لنفسها جهازها المصطلحي الذي أقامت عليه طروحاتها، وصارت تلك المصطلحات تستعمل في دراسات نقد الرواية، واستعير بعضها فيما بعد من قبل أصحاب نظريات السرد، ليقف جنباً إلى جنب مع مصطلحاتهم السردية الخاصة، بحكم التداخل الطبيعي بين السردية والروائية في الأجناس النثرية.

إن مصطلحات مثل أصناف الرواية وتقسيماتها إلى بوليسية، وتاريخية، ورومانسية، وسياسية لا يمكن استعمالها البتة في دراسات السرد، إذن نحن أمام جهاز مصطلحي مختلف، ولنأخذ مثلاً مفاهيم من مثل :الحبكة، والفضاء، والبطل المضاد، والرواية المضادة، والتشويق، والشخصية، وتيار الوعي، والشعرية.

وبالمقابل لنأخذ مفاهيم من مثل: التبئير، والتضمين السردي، وتكرار الحدث، والوظائف، والحركة، والحكاية الخرافية، والسرد (وأوصافه ومشتقاته)، والسّعة، والمحمول، والموضوع، والبنية، وغير ذلك من مصطلحات أوجدتها الدراسات السردية الحديثة لملاحقة قضايا طرحتها النظريات السردية التي تلت نظريات الرواية كما أشرت آنفاً.

إلى جانب هذا كله على الناقد أن يتذكر– وهو يدخل إلى النصوص مدخلاً سردياً – أنه يتحرك في حقل معرفي يتبع أساساً للمدرسة البنيوية Structuralism، وعليه لابد من وعيه بهذا التداخل وما ينشأ عنه من (تظافر مصطلحي)؛ فالبحث في (بنية السرد في نص ما) هو بحث في الشكل السردي ومحتواه من الوظائف والأفعال، وفق إطار فلسفي بنائي يعترف بخصائص البنية وما تقوم عليه من نظام وتحكم ذاتي وشمول.

ويلاحظ المتتبع أن أعلام السردية هم نفسهم أعلام البنيوية ومن قبلها الشكلانية، وأشير هنا إلى شكولوفسكي، وايخنباوم، وياكبسون، وبروب ومن بعدهم غريماس وبارت وجينيت وغيرهم؛ فالأخير كتب "بنية اللغة الشعرية" وشارك في كتاب "نظرية السرد: من وجهة النظر إلى التبئير".

وكي يصبح ما نحن بصدده أكثر وضوحاً يرى الباحث أن "رواية ما" يمكن أن تدرس

ضمن معطيات "النقد الروائي" أو معطيات "النقد السردي" أو ما يسمى (بالسرديات)؛ فتندرج تحت النمط الأول عناوين من مثل: "الفضاء الروائي، وجماليات المكان ، وقضايا المضمون: الاجتماعية والسياسية والنفسية، وطرق رسم الشخصيات، واللغة، وتوظيف التراث" وغيرها. في حين تندرج تحت النمط الثاني بحوث مثل (الوظائف، والأفعال والأنساق، والحركات) وغيرها من طروحات وضعت أساساً لمعالجة "المسرودات الشفهية" وتم تعديلها فيما بعد لتتناول نصوصاً مكتوبة، كان يفترض أنها "تعكس استمرارية شكلية بين الطبيعتين". ويبدو أن الغربيين وعوا هذه المسألة، فقام بعضهم بعمل حصر مفهومي للجهاز المصطلحي السردي، كما هي الحال لدى جيرالد برنس الذي أصدر كتاباً خاصاً بعنوان المصطلح السردي، جمع فيه المصطلحات المستعملة في الإجراء السردي وممارسته النقدية.

و لو وافقنا على إطلاق مصطلح السرد على كل نص قصصي أو نثري، كما هي الحال في عناوين الكثير من البحوث التي تعالج قضايا موضوعية أو فنية في أجناس نثرية متعددة، فإننا نقف أمام أسئلة صعبة في كثير من الأحيان؛ إذ كيف يمكن لنا إسقاط مصطلح السرد على بعض أنواع "القصة القصيرة جداً" وهل "المثل" سرد- بالنظر إلى بنيته التركيبية اللغوية؟ وهل القصة القصيرة الوصفية سرد؟ بل هل المشهد الوصفي في الرواية سرد، ثم متى كانت المسرحية "بصفتها جنساً نثرياً" سرداً أيضاً؟

هذه التساؤلات تضعنا أمام إشكالية مصطلحية تنقلنا لمواجهة المسافات الدلالية لمفاهيم مثل السرد، الروي، القص، الحكي، وغيرها من المصطلحات.

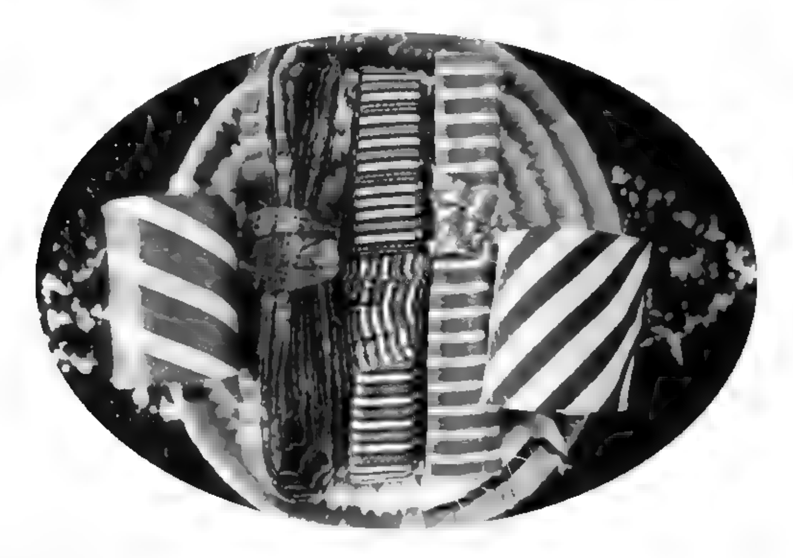
هذا ما يتعلق بالقراءة الاصطلاحية للمفاهيم الأساسية التي تتشابك- في واقعها النظري-مع بعضها بعضاً لأسباب قد لا يكون آخرها عدم فهم الدارسين للسياق الثقافي الغربي الذي أنتج لفظ (السرد) إنتاجاً مصطلحياً، ولا ذاك السبب المتعلق بالإشكالية الثقافية العامة من حيث الخلط المصطلحي، الذي تحياه ثقافتنا العربية المعاصرة.

أما ما يتعلق بالجانب النقدي التطبيقي الذي يشير إلى حجم البلاء في فهم كثيرين من النقاد والباحثين لمصطلح السرد فسأكتفي بالإشارة إلى بعض الأبحاث التي وظّفت هذا المصطلح في عناوينها توظيفاً بعيداً كل البعد عن منظومته المفهومية، وأود أن أتجاوز هنا أبحاثاً لدارسين مغمورين وغير منتجين في بيئات الدرس النقدي لأشير إلى بحوث أنجزها أساتذة معروفون في نقد القصة والرواية - على الأقل - وقعوا في الشرك المفهومي، فقدموا أبحاثاً معنونة بعناوين واضحة الانتماء إلى نظريات السرد والمرجعيات النقدية المتعلقة بها، لكن محتوى تلك الأبحاث ومضامينها لا يمت إلى ذلك بصلة، وبالمقابل سيعرّج البحث على عناوين بحثية لنقاد وباحثين تمثلوا نظريات السرد ومرجعياتها النقدية، واستطاعوا توظيفها توظيفاً نقدياً ناجحاً.

لقد أفاد بروب من الجهود الأولية

للباحثين الشباب من (حلقة موسكو اللسانية) في ظل أكاديمية العلوم بموسكو، ممن كان هدفهم أن يطوّروا الدراسات اللسانية والشعرية، وقد أصدروا أول مؤلف لهم سنة 1916، وتناولوا فيه نظرية اللغة الشعرية. وفي سنة 1917 ظهرت جماعة جديدة أطلق عليها أصحابها اسم (جمعية دراسة اللغة الشعرية) (أوبوياز) شدّت من أزر حلقة موسكو، وانكبت الجماعتان على دراسة الجانب اللساني للشعر، سعياً إلى شق سبيل بكر في معرفة مقومات اللغة الأدبية وخصائصها، ومحاولة الارتفاع بتاريخ الأدب إلى مقام العلوم ذات القوانين النظرية، ومن أهم أعلام السرديات: فيكتور شلوفسكي (1984 1893)، وبوريس إيخنباوم (1959-1886)، وفلاديمير بروب (Vladimir Propp1895-1970) الذي يعد العرّاب الحقيقي للنظرية السردية، وقد نضجت مبادئها في كتابه الرائد (علم تشكيل الحكاية) أو (مورفولوجيا الحكاية الخرافية) 1928 أو (مورفولوجيا الخرافة) بحسب الترجمات المتعددة، وكان قد درس فيه القوانين التي توجّه البنية الشكلية للحكايات الخرافية الروسية، فعدّه الباحثون رائداً في ذلك، وتبعه عدد من الدارسين سماهم روبرت شولز (بذرية بروب) ممن عملوا على "توسيع حدود السردية لتشمل مظاهر الخطاب السردي كلها، واتجهت بحوثهم اتجاهين: أولهما (السردية الحصرية) وهدفت إلى إخضاع الخطاب لقواعد محددة بغية إقامة أنظمة دقيقة تضبط اتجاهات الأفعال السردية، وثانيهما (السردية التوسيعية) التي تطلعت إلى إنتاج هياكل عامة، فوجّه عمل مكونات البنية السردية لتوليد نماذج شبه متماثلة على غرار نماذج التوليد اللغوي في اللسانيات".

* أكاديمي أردني



نيقولاي غوغول....الأديب اللغز

أسـرة الـتـحـريـر *

" أمي العزيزة؛ يعتبرني الجميع غريباً، لغزاً لم يستطع أحدهم فك رموزه. لك أن تسميني كيفما تشائين. ولكن، ثقي أن المشاعر النبيلة تملأ دائما كياني، وصدقي أنني سأبقى طول عمري نصيراً للخير".

كانت هذه الرسالة التي وجهها غوغول الطفل إلى أمه في مرحلة دراسته الابتدائية يخبرها عن وصف الأطفال له باللغز، وبالتأكيد لم يكن وصف غوغول باللغز، ولم يكن التصاق هذا الوصف به محض صدفة، بل كان مبنيا بشكل رئيسي على تجليات حياته الإبداعية وبنيته النفسية وتداعيات عالمه النفسي الإبداعي. كل هذه الأمور وغيرها مثّلت مفهوم اللغزية على هذا الأديب الفذ.

يعد نيقولاي غوغول المولود في عام 1809 في أوكرانيا واحداً من أبرز أئمة النص السردي والقص وقامة إبداعية أسهمت بمنتجها الأدبي في سمو الأدب الإنساني، ورائداً من رواد القصة القصيرة، وقد وضعته أعماله في مصاف كتاب روسيا الكبار حتى أن بوشكين نفسه عبر عن إعجابه بغوغول غير مرة.

بدأ غوغول بنشر أعماله الأدبية في سانت بطرسبورغ بعد رحيله إليها في عام 1828 من خلال مجلاتها الأدبية، ورغم النقد اللاذع والسخرية التي تعرضت لها أولى محاولاته الشعرية والأدبية إلا أنه لم يتوقف وأصدر أولى مجموعاته القصصية «أمسيات في مزرعة قرب دكانكا» بين عامي 1832-1831 التي لاقت نجاحا كبيرا، فقد جسدت حالة مواءمة مبدعة بين العالمين الروسي والأوكراني، وتجلى فيها عمق معرفة الكاتب بالثقافة الأوكرانية

الفلكلورية، ونقلت موهبة غوغول إلى فن مغاير يتمثل بالسرد بلغة عذبة شفافة تجمع ما بين الفكاهة والخيال. وعين بعد عامين مساعد أستاذ لمادة التاريخ في جامعة سانت بطرسبرغ، ليطرد في العام التالي 1835، تعرف منذ ذلك الحين للكتابة الأدبية والمسرحية وبدأت شهرته تكبر مع مسرحية «المفتش العام» التي أتت شديدة السخرية إزاء الحياة في البلدات الريفية ، أقيم أول عرض لـ"المفتش" عام 1836 في المسرح الإمبراطوري بمدينة سان بطرسبورغ. وهي مسرحية ساخرة تتعرض بالنقد المتهكم للموظفين غير الشرفاء المعتاشين على الاختلاس والرشوة. وطالما أسقطت المسرحية الأقنعة عن الوجوه الإقطاعية تعرضت نتيجة لهذه الإسقاطات للنقد اللاذع إلى حد أن أعمال غوغول منعت من النشر لفترة طويلة فاضطر لمغادرة سان بطرسبورغ متوجها إلى إيطاليا حيث قضى سنوات عديدة فيها، وعاش فترة في روما وشرع يكتب رائعته «الأرواح الميتة» (1842)، التي كتب جزءاً ثانياً منها، لكنه أحرقه لعدم رضاه الشخصي عنه، وكانت هذه الرواية قد حققت صدى واسعا في الأوساط الأدبية الروسية مما دفع الناقد غيرتسين للقول بأن هذه الرواية قد زلزلت روسيا بأكملها.

وكان لنزعة نصرة الخير هاجسٌ في نفس غوغول، نصرة الخير هذه حفزت غوغول على التفكير جديا بممارسة مهنة الحقوقي لمساعدة المظلومين خاصة وانه انشغل بفكرة العمل في مجال القضاء والتشريع. وكتب غوغول يقول: لقد رأيت أن العمل في هذا الميدان سيكون الأقرب إلى نفسي.. إن جور القضاء والتعاسات الكثيرة في عالمنا تمزق قلبي أكثر من أي شيء آخر ، غوغول لم يستطع مزاولة أي نشاط في هذا المجال، فما أن أنهى المدرسة حتى أصبح يشتغل موظفا في مدينة سان بطرسبورغ. وما أن انغمس في مهنة التعليم وعمل مدرسا في معاهد المدينة ثم في جامعتها حتى خاب أمله في ممارسة أي نوع من الخدمة في مؤسسات الدولة.

هذا كله تلاشى شيئا فشيئا مع انعكاف غوغول على ممارسة مهنة الأدب وخاصة مع بدء حيازة كتاباته الأولى على اهتمام كبير في الأوساط الثقافية الأدبية. تبنى غوغول في أعماله القصصية والروائية والمسرحية منهج تصوير وتحليل الواقع الاجتماعي مبتعدا عن الرومانسية التي كانت سائدة آنذاك في الأدب الروسي. فقد استطاع خلافا لمعاصريه من الكتاب أن يكتب عن الحياة المعاصرة ويجعل من بسطاء عصره أبطالا، وهذا ما نراه جليا في قصة المعطف التي أثرت كثيرا في أساليب القص الفني في الأدب الروسي والعالمي ، وأثرت فيه إلى حد أن دستويفسكي قال عنها: إننا خرجنا جميعا من "المعطف" غوغول ، أصبحت قصة "المعطف" مثالا فنيا كشف أيضا عن سر ولغز شخصية غوغول الإبداعية التي أذهلت القارئ بروحها الإنسانية وتعاطفها الحاد مع هموم الإنسان البسيط الكادح ومحنه .

لقد كان نيقولاي غوغول كاتبا استشرافيا

يقرأ الحاضر بلغة الغد، ولشدة عمقه الإنساني عاشت كتاباته وصمدت طيلة تلك السنوات، ورغم ظهور عشرات، بل مئات الروايات والمسرحيات بعد "المعطف"، إلا أن "معطفه" كان العمل الفني المكتمل، الذي لا يتجاوزه الدارسون أو المبدعون.

وفي "يوميات مجنون" يتتبع غوغول هواجس رجل تمضه الأفكار المظلمة كثيرا، وتعبث في نفسه وجسده وعقله، وكان جنونه بدعة بل فكرة كمنت في رأسه واستحالت إلى عناد مهلك التهم صحته.هذه القصة حولها المبدع السوري "سعد الله ونوس" سنة 1977 إلى نص مسرحي تجريبي، وقد عرضت المسرحية في أقطار عربية عديدة، في شكل مونودراما يؤديها ممثل واحد، و كتب غوغول عشرات القصص التي أسست لأدب مختلف ومغاير لما هو سائد آنذاك وقد اعتبرت قصته "الأنف" نقلة نوعية في مسار الأدب الروسي عامة، إذ تحكي عن الرائد كوفاليوف الذي تنتابه حالة من الهستيريا، وهو يبحث عن أنفه الذي اختفى في عاصمة القيصر بينما يعيش الأنف حياة خاصة به.

ويكفي القول إن هذا المبدع الذي قدم منتجا أدبيا نوعيا وواسعا خلال سنوات قليلة لم تكتفى أعماله بتشكيل قواعد جديدة للإبداع الأدبي في روسيا،بل خلقت كل التيارات الأدبية التي عرفها هذا البلد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخلقت اتجاهات وأفكارا فلسفية أثرت بطريقة ما في الشباب الروسي والشرقي بشكل عام.

أسطورة الموظّف الميت.. الباحث عن معطفه المسروق!

المعطف*

روايـــة فـي قـصـة قـصـيـرة

عـثـمـان مـشـاورة * *

"اتركوني بحالي! لماذا تهينونني ؟.. أنا مثل أخيكم؟" هذا ما كان يقوله أكاكي أكاكيفتش، الموظف البسيط لزملائه الموظفين عندما تشتد سُخريتهم منه. فهو يعمل في وظيفة كاتب منذ زمن، ولم يحظ بأي احترام مهما كان نوعه؛ حتى الحراس لم يكونوا ينهضون له عند رؤيته، بل حتى لم ينظروا إليه!

كما لو كانت ذبابة من التي طارت عبر صالة الاستقبال، ناهيك عن رؤسائه الذين كانوا يعاملونه بطريقةٍ باردة مُستبدَّة، يدسُّون الأوراق تحت أنفه مباشرة حتى دون أن يقولوا : انسخها، مثلاً أو خذ عملا طيبا يا أكاكي، أو أي كلمات أخرى كما جرت العادة في المكاتب المهذبة.

أكاكي أكاكفيتش وبمهارة عالية كان دائماً تحت النافذة في الوقت الذي يلقون منها شتى الفضلات؛ لذلك كان يحمل على قبعته قشرة بطيخ أو شمام وما إلى ذلك، لكنه كان مخلصاً متفانياً في عمله؛ ينسخ وينسخ بلا كد، ويرى في كل شيء سطوراً نظيفة؛ مكتوبة بخط متناسق. وكان يشرد بذهنه في الكتابة وهو يمشي ليتفاجأ بأنه ليس في وسط السطر بل في وسط الشارع، ثم يعود للبيت ويقوم بالنسخ أيضاً، ويعمل لنفسه نسخاً إضافية من أجل المتعة الشخصية فقط. وحتى عندما يسعى الجميع للمرح واللهو، في حضور حفلة ما، أو مسرحية مثلاً أو للتطلع لبعض الفتيات في الشارع، فإن آكاكي آكاكيفيتش لم يكن

يلجأ إلى أي لهو ما، فقط يأوي إلى فراشه مبتسماً مفكراً في يوم غد؛ لعلّ الله يرزقه بشيء ما ينسخه!

منذ فترة قريبة بدا آكاكي يحس بوخز شديد، خاصة في ظهره وكتفه،كان يردّ ذلك إلى الصقيع الشمالي بلا شك؛ فعندما فحص معطفه جيداً اكتشف أنه أصبح في موضعين أو ثلاثة .

وبالذات عند الظهر والكتفين مثل الخيش تماماً فقد رقه نسيجه لدرجة أن الهواء صار ينفذ خلاله، وكانت ياقته تصغر عاماً بعد عام، لأنها كانت تستخدم في ترقيع الأجزاء الأخرى، وعلى كل حال قرر أكاكي أكاكيفيتش أن يصلح المعطف عند بتروفتش الخياط، وألا يعطيه أكثر من روبلين،كما تسمح الميزانية:

– صباح الخير بتروفيتش.

– صباح الخير يا سيدي، نظر بتروفيتش بطرف عينيه نحو يدي أكاكي أكاكيفيتش. ليعرف ما في يديه.

–ها أنا ذا جئت إليك يا بتروفيتش بهذا.. يعني..معطفي..في الواقع..

–ما هذا بحق الجحيم..؟!

–انظر يا بتروفيتش. إنه جيد ومتين من كل ناحية، لكنه تعفّر قليلا، ويبدو كأنه قديم! لكنه جديد؛ فقد تمزق على الظهر! وأيضاً هنا على كتف واحدة تلف قليلاً وعلى هذا الكتف أيضاً قليلاً. أترى ! هذا كل شئ . عمل قليل!

قلّب بتروفيتش المعطف بين يديه، وتفحّصه جيداً مثل خياط مُتمرس، هز رأسه وهو يبسط المعطف، وأخيرا قال:

– كلا..لا يمكن إصلاحه.بالٍ جدا.

– ولماذا لا يمكن يا بيتروفيتش! قال بصوت ضارعٍ مثل طفل!

– لا يمكن إصلاحه أو رتقه. ما إن تلمسه حتى يتفسخ، يبدو أنك ستضطر إلى تفصيل واحد جديد.

غامت عينا أكاكي عند سماع كلمة جديد! واختلطت الأشياء أمامه، وصرخ، ربما لأول مرة في حياته، عندما أخبره بأنَّ واحداً جديداً سيكلف 150 روبلا، ثم توسل إليه أن يصلحه: أصلحه بأي شكل يا بيتروفيتش. لكي أستخدمه ولو فترة وجيزة!..

–كلا لا يمكن ..هذا إهدار للوقت والمال.. بكل أسف لا يمكن.!

خرج أكاكي محطماً. مذهولاً.. وقرر أن يعود لبيتروفيتش يوم الأحد، لعلّه يكون في حال أفضل ويُصلح المعطف. وما إن جاءه يوم الأحد حتى اعتدل بتروفيتش في جلسته كأنما وخزه شيطان: لا يمكن...! بتاتاً لا يمكن، فلتتفضل يا سيد بتفصيل معطف جديد!

دسَّ أكاكي في يد بيتروفيتش عشر كوبيكات كرشوة، علّه يعدل عن رأيه؛ فقال بيتروفيتش:

أشكرك يا سيدي! سأشرب قليلا بصحتك!..أما المعطف فلا مجال إلا لآخر جديد.

انهار أكاكي تماما، إذ كيف يمكن أن يفصّل آخر جديداً.! ومن أين؟! حتى المكافأة التي سيتلقاها بمناسبة العيد تحددت أوجه

صرفها سلفاً: دينٌ قديم للإسكافي، اقتناء سروال جديد، وكان عليه أن يوصي الخياط بثلاثة قُمصان من أجل العمل، وحتى النقود التي كان يدخرها منذ عدة سنوات لا تفي بنصف المبلغ المطلوب.

قرر أن يخفّض من نفقاته العادية، فلا حاجة لتناول قدح الشّاي كلَّ مساء، أو إشعال شمعة، ويكفي أن يقوم بالنّسخ في غرفة صاحبة المنزل. وحاول أن يسير في الشارع بأقصى ما يمكن من الخفة حتى لا يبلى حذاؤه، وأصبح أكثر حيوية، وباتت شخصيته أكثر صلابة. كشخص حدد لنفسه هدفا وسعى اليه. ولم يكن ذلك سوى المعطف المنتظر ذو الحشوة القطنية السميكة!.. كان يزور بيتروفيتش كل شهر ليتحدث عن المعطف ومن أين يستحسن أن يشتري الجوخ، وبأي لون،..وبأي ثمن؟!.. وهكذا.

أخذ أكاكي أكاكيفتش المكافأة من مديره، وتهللت أساريره، فالمعطف سيكلف 80 روبلا، فقط، وبذلك زاد معه 20 روبلاً بعد عدة شهور من الجوع! واختار فراء جيداً ليضعه على الياقة، في حين استغرق بيتروفيتش أسبوعين في خياطة المعطف.

وأخيرا جاء بيتروفيتش بالمعطف إلى أكاكي! كان ذلك من أكثر الأيام مهابةً في حياته. وصدف أن بدأ الصقيع الشديد. أخرج بيتروفيتش المعطف من المنديل الذي لفه به، وألقاه بمهارة الخياطين على كتفي أكاكي!

خرج أكاكي بالمعطف الجديد إلى العمل، وضحك عدَّة مرات في نفسه، فقط كان يحس كل لحظةٍ بأن عليه معطفاً جديداً. وضع أكاكي المعطف في غرفة الحاجب، بعد أن خلعه وتفحصه من جميع الجهات، وبطريقة ما علم كل الموظفين بمعطفه الجديد، وأن معطفه السابق ليس له وجود. ولمّا ألحّوا عليه أن يقيم حفلة تدشين للمعطف الجديد، لم يدر كيف يجيب، وكيف يخلّص نفسه، وسرعان ما أعلن مدير القلم أن الحفلة ستكون في بيته غداً، تماماً في اليوم الذي يشهد عيد ميلاده!

خرج أكاكي من تلك الحفلة الساهرة متأخراً عن موعد نومه، ونزل إلى الشارع، وسرعان ما امتدت أمامه تلك الشوارع الخاوية التي لا تتسم بمرح خاص في النهار فكيف بها في الليل؟!.. ولاحت الأشباح السوداء الحزينة للأكواخ المنخفضة النائمة، فبدا ما حوله وكأنه بحر وسار مغمض العينين لا يسمع إلا دقات قلبه، وعندما فتح عينيه ليعرف هل أوشك الميدان على الانتهاء ام لا رأى أمامه فجأة وتحت أنفه تقريباً شخصين مختلفين يبدوان مثل صعاليك، وغامت عيناه وخفق قلبه بعنف.

– هذا المعطف معطفي! قال أحدهم بصوت راعد، ثم دس الآخر أمام فمه مباشرة قبضة بحجم رأس موظف، وتمتمَ: حاول أن يَصرخَ، لم يشعر إلا وهما ينزعان عنه المعطف، وقد ركلاه بقوة، ليسقط على وجهه فوق الثلج.

عاد أكاكي إلى وعيه بعد بضع دقائق، فأحس بالجو بارداً، وتيقّن من أنّ المعطف



ليس على كتفيه، فأخذ يركض ولا يكف عن الصراخ! وبعد أن أخبر آكاكي المأمور في المقسم عن قصته.استقبلها الأخير بشكل غريب، وسأله لماذا عاد في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل! ولم يعرّج في الطريق على أحد المنازل المشبوهة؟!

أُحرج أكاكي تماما، وخرج كالمجنون، ولمّا نصحوه أن يذهب إلى ذلك الرجل المهم، استجاب غير أنه وبَّخ أكاكي، وآلمه مؤنّباً ساخطاً..وصرخ في وجهه بطبقة صوته العالية!

صُعق أكاكي، وترنَّح واهتزَّ.. وشعر بالحزن والمرارة! لم يحدث أن وبخه أحد بهذه القسوة، وسار في العاصفة الثلجية، فاغرا فاه، ولمّا هبَّت عليه الريح أصيب بورم في حلقه من شدة البرد، فأصابته حمى شديدة. قال الطبيب إن نهايته قريبة، وأخذ أكاكي يهذي من الحمى، كان يُخيل له الخياط بيتروفيتش وهو يوصيه بتفصيل معطف! بفخاخٍ للصوص وكان تارة يسأل لماذا يُعلقون معطفه القديم أمامه فلديه آخر جديد!.. وتارة أخرى يخال نفسه أمام الرجل المهم يصغي إلى تعنيفه، وكان يهذي بأشياء لا معنى لها تماماً تدور كلها حول المعطف مما جعل العجوز التي تجلس الى جانبه ترسم علامة الصليب .

وأخيراً لفظ المسكين أنفاسه، وخلت بطرسبرغ من أكاكي أكاكيفيتش، وكأنما لم يكن موجوداً أصلاً، ولم يغير ذلك من واقع الحال شيئا، فلم يكن أحدٌ ليعبأ به.

وفجأة انتشرت في بطرسبرغ إشاعة تقول بأنه عند جسر "كاليكبين" وفيما وراءه بكثير يظهر في الليل ميت بصورة موظّف يبحث عن معطفٍ مسروق! وهو ينتزع كافة المعاطف عن جميع الأكتاف، غير آبه باللقب أو الرتبة، وقد قال أحدهم إنه هو نفسه.. آكاكي أكاكيفيتش!.. فما كان من الشرطة إلا أن طلبت القبض عليه حياً أو ميتاً!

ولمّا خرج الرجل المهم من حفلة في آخر الليل، وسط العاصفة الثلجية باتجاه عشيقته في طرف المدينة أحسّ بأحدهم يمسك بياقة معطفه بقوة، وعندما التفت إليه عرف فيه أكاكي: ذلك الموظف بوجهٍ شاحب!...بدا ميتاً تماماً! غير أنه قال:

– آه..ها أنت ذا..أخيراً أمسكت بك من ياقتك..معطفك بالذَّات يا سيدي هو ما أحتاج إليه!..لم تسع لاسترداد معطفي!.. بل وعنَّفتني شرَّ تعنيف!..حسناً!..هات معطفك إذن!..والآن..

نزع الرجل المعطف عن ظهره من شدة الفزع... وعاد من حيث أتى يرتعد من الخوف، ولم يعد أحدٌ بعدها يرى أكاكي أكاكيفيتش! فقط اكتفى بالمعطف المنشود!

---

* رواية المعطف تعد واحدة من أعمق أعمال الكاتب الكبير نيقولاي غوغول.وهناك عبارة شائعة أغلب الظّن أنها تُنسب للكاتب الروسي الكبير دستويفسكي،تقول:"لقد خرجنا كُلنا من معطف غوغول."

* * طالب جامعي/ك. الصيدلة.

استولد بعض السعادة من رحم الفقر والخيبة والتشرد وغدر الأصدقاء ورحيل الأحبّة

الشاعر الماغوط يعلن: "الفرح ليس مهنتي".. ويغرّد خارج السّرب

مهند الصلاحات *



الماغوط

في شتاء العام 1934 لم يكن أحدٌ من سكان مدينة سلمية التابعة لمحافظة حماه السورية يتوقع أنه على موعد مع ولادة شاعر في المدينة سيكون بعد سنوات واحداً من أهم الشعراء العرب المحدّثين في قصيدة النثر العربية، بل ومن أهم روادها..

انسرق "البدوي الأحمر" من محطته الأولى "سلمية" إلى دمشق، فبيروت باتجاه الفضاء العربي، ليعيش بقية حياته مع الكوابيس. ويصبح الخوف في لغته نقمة على الفساد والبؤس الإنساني بكل معانيه وأشكاله.. فظلّت لغته مشتعلة تمسك بقارئها، تلسعه كلماتها كألسنة النيران، أو

ترجّمهُ بقوة. فلا عجب أن يقف قارئ الماغوط أمام ذاته: ناقداً، باكياً، ضاحكاً، مسكوناً بالقلق والأسئلة.

في قصائده ومقالاته ومسرحياته وأفلامه، قدم محمد الماغوط نفسه عازفاً منفرداً، وطائراً خارج السرب، لا يستعير من أحد لغته، ولا يأبه إلا بنفسه في انتمائه وعشقه وعلاقته بالناس والأمكنة.

منذ بداية مسيرته حدد الماغوط طبيعة عمله الصعب؛ معلناً أن الفرح ليس مهنته، فيعلن ذلك صراحةً «الفرح ليس مهنتي»؛ عنوانُ أحد دواوينه، وأن غرفة نومه بملايين الجدران، فهو بارع في اقتناص السعادة والاحتفاظ بها زمناً طويلاً، لكنها سعادة الماغوط المستولدة من رحم القهر والسجن والخيبة والتشرد وغدر الأصدقاء ورحيل الأحبة.. سجنه المبكر قبل قرابة نصف قرن ما يزال نبعاً لذكريات تتحول المرارة فيها إلى سخرية حيناً، وإضاءات حكمة يطل من خلالها على نفسه أحياناً كثيرة.

عبّر الماغوط في رحلته الطويلة تلك عن كل الأرصفة والحانات والأقبية والحدائق العامة، وكل الصالونات والفنادق والمقاهي والصحف ودور النشر، وعرف من خلال رحلته كل الكتّاب والرسامين والصحفيين وعمال المقاهي وشرطة المرور والسجانين وقطاع الطرق، بل كل النساء اللاتي أحببهن ونظرن باستعلاء إلى مظهره الريفي البائس؛ فاخترن الرجل وفي ذهنه أشياء وأشياء.

> **«عرف الماغوط في حياته كل الكتّاب والرسامين والصحفيين وعمال المقاهي وشرطة المرور والسجانين وقطاع الطرق»**

وهؤلاء جميعاً الذين مرّ بهم في تلك الرحلة وذكرهم في أشعاره في مراحل حياته المختلفة قاسموه أنفاسه وغرفة نومه وزنزانته ورغيف خبزه وديوان شعره أيضاً، وظلّوا حتى وفاته في نيسان 2006 أصحاب ملامح يرسمهم شعراً عالقاً في كؤوس شرابه ولفافات تبغه.. ومحابره.. وأوراقه الخاصة.

درس الماغوط في كلية الزراعة وانسحب منها رغم تفوقه، مؤكداً أن اختصاصه هو «الحشرات البشرية وليس الحشرات الزراعية» ثم انتقل إلى دمشق عام 1948، وفي عام 1955 سجن في المزة قرب دمشق لانتمائه إلى الحزب القومي السوري الاجتماعي وكتب مذكراته على لفائف السجائر، وعند خروجه من السجن غادر إلى بيروت ثم عاد إلى دمشق وكتب في المسرح والسينما والدراما.

يقول الماغوط: «بدون النظر إلى ساعة الحائط أو مفكرة الجيب أعرف مواعيد صراخي، لا شيء تغيّر أيها الشاعر البري منذ صرختك الأولى يوم ولدت في شتاء يبعد عن صرختك الآن سبعين سنة؛ لا شيء تغيَّر سوى أن الجدران تعلو بين صراخك وآذان العالم، وسخريتك تعلو والطفل الذي فيك يشاغب ويحاول تسلق تلك الجدران، لا شيء تغيَّر سوى احتجاجاتك التي أخذت أشكالاً أخرى على فظاعة الظلم

والهوان..».

كتب محمد الماغوط الخاطرة والقصيدة النثرية والرواية والمسرحية وسيناريو المسلسل التلفزيوني والفيلم السينمائي، وهو في كل كتاباته حزين إلى آخر الدمع.. عاشق حدّ الشراسة، باحث عن حرية لا تهددها جيوش الغبار. والكتابة عنده كانت كل حياته: متعته، وسجنه، وعمله في الوقت ذاته؛ يقول: «أكتب لأعيش فالكتابة تتنفس أحوالنا ولا تؤجلها الحيطان الهاربة في غربالٍ هالك يتسوّل العناء.. إن وقت الكتابة هو الفرصة الأزلية للحياة.. الدخول في منطقة منزوعة الظلّ أعني استعادة الذات على نحو صاحب .. فالمغامرة ها هنا مباحة ألغت مقصّ الرقيب كما أضافت رياحاً ومواعيد وغيوم وصحراء ذائبة..».

شاركته جزءاً من تلك الرحلة الشعرية والسياسية والاجتماعية زوجته الشاعرة الراحلة سنية صالح التي فارقته ليبقى وحيداً كما قال سنة 1985 وقد تركت بين يديه ابنتيهما (شام) الطبيبة، و(سلافة) التي تخرجت في كلية الفنون الجميلة بدمشق.

دخل محمد الماغوط عالم الإبداع الأدبي من أوسع أبوابه؛ فقد قدّمه الشاعر السوري أدونيس في بيروت في إحدى اجتماعات مجلة (شعر) المكتظة بالوافدين كما تقول رفيقة دربه سنية – وقرأ له بعض نتاجه الجديد الغريب بصوت رخيم دون أن يعلن عن اسمه، وترك المستمعين يتخبطون: (بودلير؟.. رامبو؟!..) لكن أدونيس لم يلبث أن أشار إلى شاب مجهول، غير أنيق، أشعث الشعر وقال: (هو الشاعر!..)

لا شك أن تلك المفاجأة قد أدهشتهم، فانقلب فضولهم إلى تمتمات خفيضة. أما هو، وكنت أراقبه بصمت، فقد ارتبك واشتد لمعان عينيه. بلغة هذه التفاصيل، وفي هذا الضوء الشخصي نقرأ غربة محمد الماغوط. ومع الأيام لم يخرج من عزلته بل غير موقعها من عزلة الغريب إلى عزلة الرافض.

أما في المسرح فقد بدأ الماغوط محاولاته الأولى بكتابة المسرح في سجن المزة في سوريا. بعد ذلك خرج ليبدأ رحلة مع شريكه الفنان دريد لحام، فأنتجا معاً مجموعة من أهم الأعمال المسرحية السياسية، والدرامية والسينمائية السورية.

واستهلّ بمسرحية «المهرج» بعد حرب حزيران عام 1967، وفي حرب تشرين 1973 قدما عملاً مشتركا بعنوان «ضيعة تشرين»، ثم «غربة»، و«كاسك يا وطن»، و«شقائق النعمان»، وفي التلفزيون قدما «وادي المسك»، و«وين الغرام؟». أما في السينما فكان الفيلمان: «الحدود» و«التقرير».

> «..وعرف كل النساء اللاتي أحببن ونظرن باستعلاء إلى مظهره الريفي البائس: فاخترن الرجل وفي ذهنه أشياء وأشياء».

وكان الأديب الكبير محمد الماغوط واحداً من الكبار الذين أسهموا في تحديد هوية وطبيعة وتوجه

صحيفة «تشرين» السورية في نشأتها وصدورها وتطورها، حين تناوب مع الكاتب القاص زكريا تامر على كتابة زاوية يومية، تعادل في مواقفها صحيفة كاملة في عام 1975 وما بعد، وكذلك الحال حين انتقل ليكتب «أليس في بلاد العجائب» في مجلة «المستقبل» الأسبوعية، وكانت بشهادة المرحوم نبيل خوري «رئيس التحرير» جواز مرور ممهوراً بكل البيانات الصادقة والأختام إلى القارئ العربي، ولاسيما السوري، لما كان لها من دور كبير في انتشار «المستقبل» على نحو بارز شائع في سورية.

تقدّم زوجة الماغوط الراحلة سنية صالح «أعماله»، الصادرة عن دار المدى بدمشق 1998 بقولها: «مأساة محمد الماغوط أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط، ومنذ مجموعته الأولى (حزن في ضوء القمر) وهو يحاول إيجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية.

وذروة هذه المأساة هي في إصراره على تغيير هذا الواقع، وحيداً، لا يملك من أسلحة التغيير إلا الشعر؛ فبقدر ما تكون الكلمة في الحلم طريقاً إلى الحرية نجدها في الواقع طريقاً إلى السجن. ولأنها كانت دائماً إحدى أبرز ضحايا الاضطرابات السياسية في الوطن العربي، فقد كان هذا الشاعر يرتعد هلعاً إثر كل انقلاب مرَّ على الوطن، وفي أحدها خرجت أبحث عنه، كان في ضائقة قد تجره إلى السجن أو ما هو أمرّ منه، وساعدني انتقاله إلى غرفة جديدة في إخفائه عن الأنظار، غرفة صغيرة ذات سقف واطئ حشرت حشراً في خاصرة أحد المباني بحيث كان على من يعبر عتبتها أن ينحني وكأنه يعبر بوابة ذلك الزمن.

سرير قديم، ملاءات صفراء، كنبة زرقاء طويلة سرعان ما هبط مقعدها، ستارة حمراء من مخلفات مسرح قديم. في هذا المناخ عاش محمد الماغوط أشهراً عديدة.

نفترض أن الشرق العربي بقعة سوداء على خريطة الماضي والحاضر، فما يكون لون المستقبل؟ ولنبحث بعد ذلك عن مصير الشعر والشعراء من خلال ذلك الظلام الدامس، وإذا ما استعملنا ضوء الذاكرة وجدنا أن محمد الماغوط في وجه من الوجوه جزء من المستقبل، لذا كان لا بد من حمايته من غباء الحاضر. ألا يكون مستقبل شعرنا رماداً لو تركنا الشعراء للسلطة؟ ولأن هذا الشاعر محترق بنيران الماضي والحاضر لجأ إلى نيران المستقبل وهو جزء منها بحثاً عن وجود آخر وكينونة جديدة. بدت الأيام الأولى كاللعبة البطولية لنا نحن الاثنين، ولكن لما شحب لونه ومال إلى الاصفرار المرضي وبدأ مزاجه يحتد بدت لي خطورة اللعبة. كان همي الكبير أن يتلاشى الإعصار دون أن

> **«ترك المستمعين يتخبطون: «بودلير؟.. رامبو؟!..» لكن أدونيس أشار إلى شاب مجهول، غير أنيق، أشعث الشعر، وقال: هو الشاعر!»**

يخنق غبارُه (النسر).

كنت أنقل له الطعام والصحف والزهور خفية. كنا نعتز بانتمائنا للحب والشعر كعالم بديل متعالٍ على ما يحيط بنا. كان يقرأ مدفوعاً برغبة جنونية. وكنت أركض في البرد القارس والشمس المحرقة لأشبع له هذه الرغبة، فلا ألبث أن أرى أكثر الكتب أهمية وأغلاها ثمناً ممزقة أو مبعثرة فوق الأرض مبقعة بالقهوة حيث ألتقطها وأغسلها ثم أرصفها على حافة النافذة حتى تجف. كان يشعل نيرانه الخاصة في روائع أدبية بينما كانت الهتافات في الخارج تأخذ من بعيد شكلاً معادياً.».

«كان في كل كتاباته حزيناً إلى آخر الدمع.. عاشقاً حدّ الشراسة باحثاً عن حرية لا تهددها جيوش الغبار».

يُعدّ محمد الماغوط من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل، فقد دخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاتره الأنيقة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث، بمعنى آخر خاض معركته الخاصة في التجديد في الشعر العربي بوجه الكلاسيكيين الرافضين اعتبار قصيدة النثر شعراً، والتمسك بمجرد كونها نثراً خارجاً عن التصنيف الشعري، فقد وضعته دواوينه الثلاثة «حزن في ضوء القمر»، و«غرفة بملايين الجدران» و«الفرح ليس مهنتي» في مقدمة شعراء قصيدة النثر، وظلّ حتى اليوم «كولومبوس» قارة الشعر الجديد «شعر النثر»؛ مختزلاً تجربته في الشعر والحياة التي امتدت اثنين وسبعين عاماً بعبارة واحدة هي: «ثمة لا أبدية رافقتني وسترافقني دائماً».

إلى جانب ثورته على شكل الشعر، خاض الماغوط ثورة أخرى لم تبتعد كثيراً عن الأدب بمسماه، فقد أدخل من موقعه مثقفاً الأدب في معترك السياسية، ليحمل على عاتقه الاشتغال في قضايا وطنه الصغيرة والكبيرة والهموم حتى الفناء.. ذنبه كان أنه يكتب ما يشعر به بصدق.. بلا رتوش أو مساحيق ترضي هذا وتزعج ذاك.

وانهمرت الكتابة كزخّ المطر الاستوائي عنه وله وعليه، وكان حصاد أكثر هذه الكتابات يتلخص بعنوان شاحب بعض الشيء: «الماغوط» شاعر السخرية، مسرحي واقعي واخز العبارة، رائد القصة النثرية، عاشق الحرية التي كان مستعداً للنوم في العراء لأجلها مهما كانت قسوة التعايش معها معلناً ذلك في «لو كانت الحرية ثلجاً لنمت في العراء».

كان الماغوط من أهم الأسماء الأدبية التي كتبت قصيدة التجاوز والتخطّي..متشائماً حتى الاختناق، متفائلاً حتى النبض الأخير، يتبرم من الذين شوهتهم الأوسمة المزيفة.. ووسامه الذي يفخر به منذ الولادة الأولى الحياة حتى الولادة الثانية «الموت» كان أن يحبّ وطنه.. ووطنه يحبه؛ فارداً روحه لناس مجتمعه البسطاء، وأن يعبئ رئتيه بهواء ريفه النقي الجميل، البعيد عن التدخين وأرصفة

اللفّ والدوران وأن الحياة عنده كلها هي موقف للعزّ.

وكما جسد الماغوط في حياته الشاقة المثقف العضوي الفاعل الساعي للتغير في المجتمع كان معارضاً سياسياً، ومعارضاً أدبياً، يقود الثورات في كل مناحي حياته، لذلك ظلت حياته صاخبة بالأحداث حتى أنه كان يعشق عذاباته ويسخر منها ومن معارضيه، يقول: «لست معارضاً لهذا النظام أو ذاك. ولا أنتمي لأي حزب أو تنظيم أو جمعية أو ناد حتى إلى النادي السينمائي، ومع ذلك فالخوف يسيل من قلمي وأصابعي وأهدابي كما يسيل الحليب الفائض من ضرع الماشية العائدة إلى المرعى!».

ترك الماغوط في الشعر: «حزن في ضوء القمر»، و«غرفة بملايين الجدران»، و «العصفور الأحدب»، و «الفرح ليس مهنتي»، وفي المسرح: «المهرج»، و«ضيعة تشرين»، و «شقائق النعمان»، و «غربة»، و «كاسك يا وطن»، و«خارج السرب»، ومسرحيات أخرى لم تطبع.

ومن المسلسلات: «حكايا الليل»، و «وين الغلط»، و«وادي المسك». وفي السينما: «لحدود»، و«التقرير»، وله مجموعة مقالات منشورة: «سأخون وطني»، و«سياف الزهور»، و «شرق عدن»، و«البدوي الأحمر».

وطبعت أعماله الكاملة عن دار العودة في لبنان. وصدر مؤخراً كتاب «محمد الماغوط، رسائل الجوع والخوف»، عن دار المدى للثقافة والنشر. متضمناً رسائله إلى شقيقه



عيسى منذ العام 1953 وفيها يصف مراحل من حياته والمعاناة التي مر بها من السجن إلى الفقر والجوع والتشرد.

كان الخوف عند الماغوط من التأييد والمعارضة، ومن الاشتراكية، والرأسمالية، من الرفض، ومن الاعتدال، من النجاح و الفشل، ومن قدوم الليل، والنهار: «حتى لأتوقع بين ليلة وأخرى أن أستيقظ ذات صباح فأكتشف، وأنا أحلق ذقني أمام المرآة، أن شفتي العليا مشقوقة كشفة الأرنب، وأن أجد على طاولتي في المقهى أو في المكتب، بدل كومة الصحف والمجلات، كومة من الجزر.. ترى! إذا ما دُعيت إلى حفلة تعارف بين صحفيين وكتاب ومراسلين أجانب، فكيف سيقدمني عريف الحفلة إليهم؟!

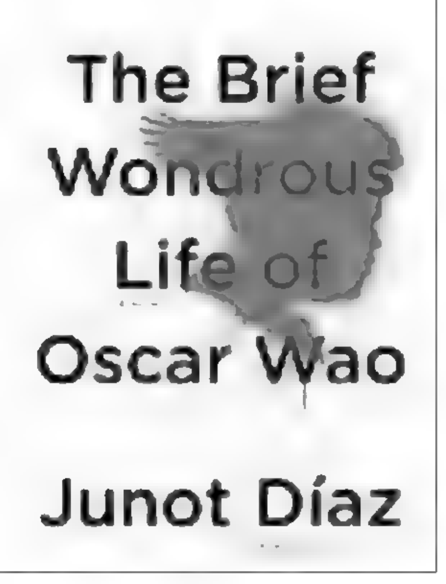
أنا متشائم ومتطيّر، فلا يأخذنّ أحد بكلامي! ثم إنني مريض، فكلما سعلت انبثقت عشرون حبة أسبرين من أنفي، وكلما قرأت خبراً وضربت على صدري، طلعت منه ألف علبة مارلبورو مهرّب!..».

* كاتب وصحافي أردني

رواية تنقل توهان الحضارات.. والاندماج في التركيبة

في "جنوت دياز".. ما إن نعثر على الحب حتى نفقد الحياة...

أسيل غسان عبدالخالق *



غلاف الرواية

(حياة أوسكار واو الغرائبية القصيرة) The brief wondrous life of Oscar Wao) هي الرواية الأولى للكاتب الأمريكي دومينيكاني الأصل جنوت دياز التي تصدرت قائمة كتب النيويورك تايمز وحازت على جائزة البوليتزر كأفضل رواية خيالية لعام 2007.

رواية دياز تنبض بالحيوية من بدايتها حتى النهاية؛ فقد قام دياز بأسلوب فريد من نوعه بسرد معاناة شاب دومينيكاني- يدعى أوسكار كارابال في الحياة والحب- وولج إلى تاريخ عائلة عانت من لعنة تاريخ دولة عاشت حالة من الرعب والقلق السياسي والاجتماعي تحت وطأة نظام

حكم ديكتاتوري.

أوسكار يمثل النقيض تماما للصورة النمطية للشاب الدومينيكاني؛ فهو ليس الرياضي الأول ولا يتمتع بشعبية بين الفتيات وليس رشيقا وعصريا، بل على العكس تماما فهو سمين مهووس بألعاب الفيديو والمجلات المصورة وبالفتيات أيضا، إلا أنه دائما يقع ضحية لقصة حب من طرف واحد تنتهي بعرض صداقة من طرف الفتاة وخيبة أمل عاطفية من طرفه!

قصة أوسكار ترويها لنا أخته لولا الفتاة الدومينيكانية الجامحة الجميلة، وهي تشاركنا بقصة حياتها أيضا، وراو آخر لا نعرف أنه "يونور" صديق أوسكار الوحيد ورفيقه بالسكن أثناء الجامعة وحبيب أخته في فترة لاحقة إلا في مراحل متأخرة من الرواية. يونور -وهو مثال للشاب الدومينيكي- رياضي لعوب، زير نساء ينغمس في حملة إصلاح لأوسكار بغية إبعاد تفكيره عن تجربة حب فاشلة مرّ بها فيحاول دفعه إلى تقليل وزنه وتغيير طريقة تعامله مع الفتيات إلا أن هذه الحملة تبوء بالفشل بل وتتوج بمحاولة انتحار يقوم بها أوسكار، ليبدأ يونور بربط الاضطرابات التي يعاني منها أوسكار بلعنة تدعى الفوكو(Fuku) أصابت عائلته منذ زمن، وهي لعنة يقال إنها تصيب كل من كان يتصدى للديكتاتور تروخيليو الذي حكم الدومينيكان في الفترة ما بين 1939-1962.

ولنعرف أسباب اللعنة يعود يونور بالزمن إلى الوراء ليروي لنا أحداث حياة والدة أوسكار "بيليثيا كارابال" وجده لأمه "أبيلارد كارابال" الذي كان وراء حلول هذه اللعنة على عائلتهم أساسا. أبيلارد الذي كان جراحا ذائع الصيت في الدومينيكان حرص دوما على تفادي أي مواجهة مع النظام، فقد كان نموذجا للمواطن المثالي إلى أن أبدى الجنرال تروخيليو رغبة بامتلاك ابنته الكبرى جاكي ورفض هو ذلك. بعد رفضه بمدة ليست قليلة سجن أبلارد بتهمة تحقير صورة القائد الأعلى وجردت عائلته من منزلها وممتلكاتها، وقال البعض إن سبب دخوله السجن هو رفضه لرغبة الزعيم، إلا أن آخرين قالوا إن أبيلارد كان يكتب كتابا سريا حول الرئيس، كتابا يشرح فيه أسباب اللعنة ويكشف بعض الحقائق عن النظام الذي لا يريد أن تعرف أبدا، فكان بحثه عن أسباب اللعنة سببا لحلولها به.

وأثناء هذه الفترة كانت بيلي ما تزال في رحم أمها وبعد ولادتها بأشهر ألقت والدتها بنفسها أمام سيارة شحن ولقيت حتفها. أخذ أقرباء أبيلارد شقيقات بيلي لكن أحدا لم يرغب بها فقد كانت شديدة السواد واعتبرها الجميع نذير شؤم على العائلة، فأخذها أقرباء أمها طمعا بالمال، وعندما علموا بأن العائلة قد خسرت معظم أموالها أصلا، باعوها إلى عائلة في الريف لتعمل لديهم عبدة، كانت بيلي في طفولتها ضحية لشتى أنواع التعذيب والضرب إلى أن أنقذتها قريبة والدها "لا إنكا" التي وفرت لها بيتا وتعليما جيدا إلا أن اللعنة لاحقت بيلي كذلك، ففي بداية صباها أحبت رجلا كهلا يلقب "بالجانغستر" أي رجل العصابات، كان أحد رجال تروخيليو المقربين. إلا أن

حظوة الجانغستر لدى تروخيليو لم يكن سببه العمل فحسب بل كانت حقيقة زواجه من أخت الرئيس أيضا. وما أن علمت أخت تروخيليو بأمر علاقته مع بيلي حتى أمرت أفرادا من الشرطة السرية باعتقالها وأخذها لحقول الذرة لضربها وتركها تموت هناك فنجت بمعجزة، وما إن تعافت من آثار الضرب الوحشي حتى فرت للولايات المتحدة لتبدأ حياة جديدة هناك.

في الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن الأمور أفضل، فبعد زواجها من والد أوسكار بعامين هجرها وتركها مع ولدين اثنين ومنزل وديون، فعملت بيلي في ثلاث وظائف لتتمكن من رعاية عائلتها، إلا أنها عادت لتعاني من آثار اللعنة، فأصيبت بالسرطان الذي أضعفها وغيرها كثيرا، لكن الشيء الوحيد الذي لم يتغير هو حقيقة أن هذه المرأة عاشت معظم حياتها وهي تتألم.

أما أوسكار فبعد تخرجه من الجامعة لم تختلف حياته كثيرا، وقد عاد للعيش مع والدته المريضة التي كانت سعيدة جدا لوجود ولدها إلى جانبها، وظل بلا تجربة مع الفتيات، كما ظل الاكتئاب وتناول الطعام بصورة متواصلة من أهم مميزاته. عمل مدرسا في مدرسة ثانوية وتابع كتابة رواياته التي لم تلق ترحيبا من أي ناشر. إلا أنه في إحدى العطل ذهب مع والدته وعمه إلى سانتو دومينجو ليكون هذا الفصل الأخير في حياته والأكثر إثارة.

لقد كتب جنوت دياز هذه الرواية ببساطة تجذب القارىء، واستخدم لغة الشارع العامية وابتعد عن الكلمات الرنانة، مما جعل قراءة هذه الرواية سهلة لكل من ينطق باللغة الإنجليزية، وعلى الرغم من اقتباسه بعض المصطلحات من اللغة الإسبانية – وهي اللغة الأم في الدومينيكان– إلا أنه تجاوز مسألة جهل القارىء ببعض التفاصيل الخاصة بالثقافة واللغة في الدومينيكان إثبات هوامش في كل صفحة توضح السياق و المعنى المقصود.

تمكن دياز من رسم تفاصيل الرواية بطريقة مذهلة ومترابطة بكل من مسرحي الحدث: الوطن الدومينيكان الذي يمثل مقتل الحلم وموطن الألم لهذه العائلة والولايات المتحدة التي تمثل موطن الأمل والألم لهذه العائلة كذلك. فقد عالج دياز بأسلوب غرائبي روايته بين نوعين من المعاناة؛ معاناة شعب عاش تحت قهر ديكتاتور في الماضي وما يزال يحصد آثار هذا العيش في الحاضر ومعاناة شاب يواجه مشكلة في التأقلم مع جسمه وحياته وأقرانه في البيئة الجامعية. لتكون الجامعة بالنسبة لهذا الشاب فترة اعتقال طويلة كالتي عانى منها شعبه قبل زمن.

دياز الذي استهل روايته بمقدمة تحدث فيها عن الفوكو واللعنة التي تصاحبها وارتباطها الوثيق بتركيبة المجتمع الدومينيكي حتى ذاك الجزء منه الذي ترك موطن اللعنة بقيت آثار ذلك كلّه معه، كما بقيت آثارها مع بيلي والدة أوسكار ثم انتقلت إلى أوسكار نفسه. وهو يسلط الضوء على معاناة جيل من أبناء المهاجرين الذين لجأوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فتاهوا بين الحضارات، واندمجوا في تركيبة المجتمع

الأمريكي. تلك الأساطير والحكايات التي حملها آباؤهم وأجدادهم معهم إلى وطنهم الجديد، هي ليست سوى أخيلة، أحيانا هم يؤمنون بها، وأحيانا ينكرون وجودها، وفي أحيان أخرى يعيشونها حتى النهاية كما فعل أوسكار. فهذا الشاب السمين المتقوقع على نفسه، الذي كان دوما يقع في حب فتيات لا يعرنه أي اهتمام، يقع في حب فتاة من سانتو دومنغو، امرأة تكبره سنا، راقصة في ملهى وحبيبة رجل يحتل منصبا أمنيا مهما في الدومينيكان، لم يعجبه ارتباط فتاته برجل غيره، فيدبر عملية لخطف أوسكار ويأخذه إلى حقول الذرة نفسها التي ضربت فيها أمه وتركت فيها لتموت.

ضرب أوسكار ونجا بأعجوبة، وعاد إلى الولايات المتحدة، لكنه لم ينس جيبون، فعاد إلى الدومينيك ليدافع عن حبه، وليلقى حتفه هذه المرة في حقول الذرة تلك، لكنه على ما يبدو نجح أخيرا في أن يحب ويحب!

لقد وجد أوسكار الحب وفقد الحياة، إلا أن واحدا من هذين كان عنده أهم من الآخر. في آخر أيامه كتب أوسكار أيضا كتابا عن اللعنة مثل الذي كتبه جده من قبل، وأرسل رسالة إلى أخته يخبرها بذلك وقد وصلت الرسالة لكن الكتاب لم يصل.

ينهي دياز روايته باقتباس من احدى مجلات أوسكار المصورة (Watchmen)، اقتباس ظلله أوسكار دونا عن باقي العبارات.."فايدت يقول: لقد فعلت الصواب أليس كذلك، لقد حلّت كل الأمور في النهاية. يرد منهاتن قبل أن يتلاشى من عالمنا: في النهاية؟ لا ينتهي شيء، أدريان. لا ينتهي شيء أبدا"... هذا أوسكار يخبرنا قبل أن يتلاشى من عالمنا هو الآخر بأن اللعنة لا تنتهي، كما أنّ الدكتاتورية لا تنتهي، والحب أيضاً لا ينتهي، والوطن كذلك.

---

* طالبة جامعية/ ك. اللغات الأجنبية





قراءة في رواية

عندما تشيخ الذئاب



أ.د.شكري عزيز الماضي *

تمكن الأديب "جمال ناجي"، باقتدار من رفد المكتبة الروائية الأردنية والعربية بعدد من الروايات اللافتة بموضوعاتها وتقنياتها ونسيجها الفني.

وأحسب أن روايته الجديدة "عندما تشيخ الذئاب" تشكل علامة بارزة في مساره الفني الروائي.

فما أن نقرأ عنوانها حتى يرافقنا إحساس ببعدين: الأول زمني، والثاني ترميزي. وهما بعدان يولدان الأسئلة ويثيران فضول القارئ: فهل تشيخ الذئاب حقاً؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فهل تضعف وتهرم عندما تشيخ؟ أي هل يقهرها الزمن الذي لا يحابي أحداً؟! أم تراها عندما تشيخ تزداد خبرةً ودهاءً؟!.

وتتواتر الأسئلة مع فعل القراءة والولوج إلى عالم النص الذي يتنفس أجواء القتامة والخديعة وانكسار الأحلام والتمزق الوجداني والازدواجية والإخفاقات، إلى آخر ما هنالك من معان ، تضاف لتدل على سحق البراءة وتلاشي العنصر الإنساني.

ويتكون العالم الروائي من ثمانية وأربعين مشهداً أو لوحة، لكنها ليست مشاهد بالمعنى

المألوف للكلمة. إذ يتكون المشهد الواحد من لقطات سردية وومضات وصفية وصور حوارية متنوعة وممتزجة، كما أن بنية المشهد الواحد لا تسير بخط متصاعد وإنما بخط متعرج ومنفرج، ولكل مشهد سارد ومنظور مختلف، وفيه استباقات واسترجاعات واستطرادات لا حصر لها، تُحدث بمجملها انحرافات في مجرى السرد وتفقد الزمن أهم خصائصه وهو التتابع ربما لأنه يوظف في خدمة توأمة المكان.

وما يصدق على بنية المشهد الواحد يصدق على بنية الرواية عامة، لكن الانتقال من الجزء إلى الكل بغرض القول: بأن مشاهد الرواية ولقطاتها وومضاتها وامتزاج صورتها السردية والوصفية، يحول الرواية إلى شاشة سينمائية تعكس الواقع المعيشي وتمكننا من رؤية تفاصيله من خلال اللغة وطاقاتها.

فهل تهدف الرواية إلى ضخ الدماء في ما سمي بتيار "الرواية الواقعية"؟! ربما... لكن الشيء الأكيد أنها تجسد لوناً جديداً ومختلفاً، لأنها لا تصدر عن إيديولوجيا بل أن همها الأساسي – كما يبدو لي- تصوير الفراغ الإيديولوجي، وآثار هذا الفراغ المفزعة.

ولا أريد أن أسترسل في بيان مزايا هذه الرواية، ولكني أود أن أشير إلى أن رواية " عندما تشيخ الذئاب" تستمد أهميتها من قدرتها على تجسيد حقائق أدبية ونقدية مهمة تتجلى فيما يلي:

أولاً: إن اعتماد الرواية بصورة أساسية على تقنية الأصوات المتعددة وتنوع ملامح الرواة وتوجهاتهم، يؤكد أن الرواية –والأدب عامة– حقل للصراع، يتم في إطار التناقضات الاجتماعية والسياسية والقومية معاً.

ثانياً: إن اختيار الرواية شخصيات تنتمي إلى أيدولوجيات متعارضة وتقديمه بأسمائها وانتماءاتها ومواقعها ومواقفها وتصوير حركتها وعلاقاتها، من منظور فني خاص، يؤكد أن الرواية (ليست شكلاً أيديولوجياً، وإنما هي عمل فني يولد في الأيدولوجيا ولكنه سرعان ما ينفصل عنها.

ثالثاً: تهتم رواية "عندما تشيخ الذئاب" بالقراء - الذين أهملوا في الآونة الأخيرة- إذ لا تكتفي برصد الأحداث وتصوير الظواهر بل تكابد في سبيل تعليلها فنياً: فتصور بذورها وجذورها.

وأخيراً فإن رواية "عندما تشيخ الذئاب" رواية تستحق القراءة والدرس مثلما يستحق مبدعها الأستاذ "جمال ناجي" كل التقدير والثناء.

* أستاذ جامعي /ك. الآداب





إعـــداد : جـعـفـر الـعـقـيـلـي

الملعون



هذه المجموعة القصصية للكاتب الراحل بدر عبد الحق قدمها د.خالد الكركي الذي تناول بالقراءة والتحليل قصتَي "الملعون" و"رجل بلا عورة"، موضحاً أن القصة الأولى يعود زمن كتابتها إلى أوائل السبعينيات، وأن الثانية كُتبت في الثمانينيات، وأنهما تحققان وحدة عضوية، وفيهما إيقاع الفن التشكيلي.

المجموعة التي رحل صاحبها في الثالث من شباط ألفين وثمانية بعد معاناة طويلة مع "الزهايمر" تشتمل على تسع قصص: "الملعون"، "شرب الدم"، "الشارع الأزرق"، "مائدة، مائدتان، ثلاث موائد.."، "البطل"، "أحزان النوم والاستيقاظ"، "الجنازة"، "رجل بلا عورة" و"الدالية الأخيرة".

تكشف القصص عن حس السخرية التي تظهر عبر تقنيات تعمد إلى شكل من أشكال الكابوسية التي لا تمتّ للمنطق بصلة؛ إذ لا يمكن عقلنة السياق الدرامي الذي تنمو فيه الأحداث أو الشخصيات التي غالباً ما تظهر مستباحة وضعيفة، تصارع على طريقة دونكيشوت قوىً أسطورية خارقة؛ فتمنى بالهزيمة.

يشار إلى أنّ المجموعة من إصدارات وزارة الثقافة في مشروع مكتبة الأسرة الأردنية، وقد طُبعت بدعم من أمانة عمّان. أما عبد الحق فولد في مدينة الزرقاء عام 1945، وتميزت كتاباته القصصية بروح النقد اللاذعة، والأسلوب السلس، واللغة الثرية. وقد أفاد من تجربته في القصة لصالح كتابته المقالة الصحفية التي برع فيها.

كما أصدر بداية السبعينيات في مجال القصة القصيرة مجموعة مشتركة مع الراحل خليل السواحري والكاتب فخري قعوار بعنوان "ثلاثة أصوات"، ثم صدرت مجموعته "الملعون" عام 1992 قبل أن تعيد وزارة الثقافة الأردنية إصدارها ضمن منشورات ألفين وثمانية.

العقيدة والإنتاج المعرفي



يسلّط هذا الكتاب الضوءَ على العقيدة التي تحتكم إليها الحضارة لتنسج من خلالها إنتاجها المعرفي، ويوضح العلاقةَ بين العقيدة وصياغتها من جهة، و الإنتاج المعرفي من جهة أخرى، مبيّناً أهمية فهم هذه العلاقة، لرسم استراتيجيات ووضع خطط فاعلة لتحقيق الغايات المرجوة في مختلف ميادين الحياة من تربية وتعليم واقتصاد وعلوم.

يجيب الكتاب ذو المسحة البحثية عن أسئلة حول موقف أصحاب الحضارة من عقيدتهم ومصدر هذه العقيدة والعلاقة بين البناء الديني أو الفلسفي والإنتاج

المعرفي، ويقول مؤلف الكتاب الباحث صادق إنعام الخواجا إن أي مجتمع مدني لا بد أن يحتكم إلى عقيدة معينة في تسيير أموره المختلفة، وقد تأتي كلها أو جزء منها شرائع مدونة أو عادات وتقاليد متوارثة. ويضيف أن العقيدة هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع وخارجه، كما تحدد شكل العلاقة مع الطبيعة والكون من حولهم.

ويردّ على مَن يفترض أن ما كتبه العرب قديماً عن تاريخهم، وانتشارهم في جغرافيات متعددة، والأحداث التي صاحبت هذا الانتشار، وما وثّقوه حول أنسابهم، لا يتعدّى أن يكون قصصاً من نسج الخيال. ويفند هذا الزعم بعقْد مقارنة بين النظرة الغربية، ونظرة العرب لأنفسهم عبر تاريخهم ونفوذهم المعرفي، فقد ابتعدوا عن النظرة الفوقية رغم إدراكهم أنهم مصدر الإشعاع المعرفي والحضاري للآخرين. ويرى أن هذا الشعور السلبي هو ما تعاني منه أوروبا الحديثة اليوم.

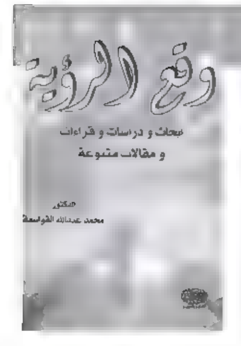
يقول الباحث: "الغياب الراهن للأدلة الأثرية لا يعني بقاء تصورنا في دائرة الخيال والشك، وذلك بسبب ما توفره لنا الأدبيات العربية القديمة من معلومات مهمة تدعمه".

ويؤكد أن الفكر الديني ليس مجرد مرحلة تاريخية عابرة في الفكر الإنساني إنما هو بدائي النشأة ومستمر التأثير حتى الوقت الحاضر، لذا "لن يتسنى لنا أبداً فهم الحاضر الفكري الغني للإنسان إذا أبقينا على هذا المصدر البدائي والمحرّض الدائم في دائرة الظل، أو تابعنا النظر إليه بمفهوم عصر التنوير الأوروبي بوصفه لغزاً أو فوضى فكرية مرتبطة بطفولة الجنس البشري".

ويرى أن الإنسان العربي الذي تجاوز هذه العلاقة ولم يمحّص بمدلولاتها يعاني اليوم من الضياع، فهو إما يحاول الجمع بين أكثر من عقيدة تتجاذبه، وبالتالي يكون إنتاجه المعرفي متضارباً ومتنافراً، أو يكتفي بالاستناد إلى مخزونه المعرفي ظنّاً منه بأنه جزء لا يتجزأ من عقيدته، مما يعيق قدرته على تجاوز هذا المخزون، فيظل أسيراً له غير قادر على التجديد والابتكار، فيما يحتاج الإنتاج والبناء المعرفي الحق، كما يؤكد الباحث، الاجتهاد المستمر والتجديد الذي لا ينضب والمستقى أساساً من العقيدة.

يقوم منهج الكتاب الصادر بدعم من وزارة الثقافة عام ألفين وثمانية على البحث والاستقصاء والحجة والبرهان عبر شواهد من مصادر ومراجع متعددة، وفهارس للصور، وعبر تقسيم بحثي متسلسل منذ العصر الحجري القديم الأدنى، مروراً بالعصر الحجري القديم الأوسط، ثم القديم الأعلى وصولاً إلى بداية الصراع على صياغة العقيدة وعصر المماليك الأولى.

وقع الرؤية



يقدّم الناقد د.محمد عبدالله القواسمة في الكتاب، كما يشي عنوانه الفرعي، أبحاثاً ودراسات وقراءات ومقالات في موضوعات شتى وخطابات متنوعة لمفكرين ونقاد وباحثين وشعراء منهم: خليل عبد الكريم، كريم بقرادوني، إبراهيم العجلوني، غالب هلسا، مؤنس الرزاز، فخري صالح، موسى حوامدة، هند أبو الشعر، عبد الله رضوان، محمد المشايخ، يوسف حمدان، زليخة أبو ريشة، ، عايد عمرو، أحمد ماضي، زياد أبو لبن، عودة القضاة، عبد الله رشيد، هاني العمد، حسين دعسة، وحسان أبو غنيمة.

ويشكل الكتاب بتعدد موضوعاته وتنوعها انعكاسَ الواقع على العقل، وجاء العنوان «وقع الرؤية» تجسيداً لفكرة أن الواقع هو ما يمرّ على الساحة الثقافية العربية من أفكار في مختلف العلوم والمعارف.

ويُظهر الكتاب رؤية المؤلف للقضايا والأفكار التي يعالجها، والموضوعات التي يتناولها، وهو يعنى بالنصوص دون سواها، لأنها لا يعتورها تغيير: قد نضيف إليها، أو نحذف منها، أو نغيّر فيها، لكنها في هذه الحالات تغدو نصوصاً أخرى مختلفة عن أخواتها، وإن كانت ترتبط بها.

وانطلاقاً من ذلك يشكل الكتاب بمجمله نصاً تتفرع منه نصوص متفاوتة في طولها وقصرها يتحدث في بعض أبحاثه عن المنزل الأول لغالب هلسا، والأغنية الوطنية، والحكاية والقصة، والوجود القومي للعرب قبل الإسلام.

ومن موضوعات الكتاب الصادر عام ألفين وثمانية: إربد في شعر عرار، وفكر جمعة حماد وأدبه، والعرب والأسطورة، والنقد والمجتمع، وعمّان عبر العصور، وأغانينا الشعبية، والثقافة السينمائية. ومن المقالات التي يشتمل عليها: عن النقد العشائري، وتقليب الكتب، وظاهرة التأليف المشترك، وكتب في عصر الإنترنت.

الفن التشكيلي



يرى الفنان والناقد التشكيلي العراقي بلاسم محمد في كتابه أن مطلع القرن العشرين شهد تخلخلاً في التناول الشمولي للظواهر الفنية، ما يجعل من الممكن تسميته «مرحلة المحك»، وهي مرحلة تفصل بين هويتين: أولى رائدة تتمحور حولها كل بنيات المجتمع وتغلق عندها آخر الإنجازات. وثانية تحاول التبديل في مواجهة هذا الراسخ لتسمي الأشياء بأسماء أخرى محرّكة بعض أجزائها في محاولة لتخطّيها.

يلفت المؤلف في كتابه الصادر العام الماضي إلى أن «من الغرابة بمكان أن النقد الفني عبر تاريخه كان شديد الانهماك بـ(إطار) العمل الفني، بحيث كانت محاولات تحليل الأعمال الفنية ذاتها ضئيلة إذا ما قورنت بالمجهودات الهائلة التي بُذلت لدراسة المحيط الاجتماعي».

ويدرس المؤلف في الفصل الأول: «العلامة»، وفي الثاني «الصورة»، وفي الثالث «طبيعة العلامة في فن الرسم»، ويخصص الفصل الرابع لـ«قراءة سيموطيقية».

يُذكر أن تجربة بلاسم محمد الفنية تمتد لأكثر من 25 عاماً، وقد شارك في عدد من المعارض الجماعية، وأقام معارض شخصية في العراق والوطن العربي والعالم، وحاز جوائز من أهمها جائزة اليونسكو للفنون، وجائزة البوستر العالمي من بلجيكا عن موضوع «الإعاقات».

الشارع الذي رحل



ما إن يدلف المرء بوابة نصوص كتاب القاص الروائي إبراهيم زعرور، الصادر هذا العام، حتى يصطدم بالسؤال الذي ما تزال تهجس به الذاكرة الفلسطينية: سواء للجيل الذي عايش نكبة 1948، أو للجيلين الثاني والثالث حول الهوية الفلسطينية، وأرض الوطن التي ضاعت بين عشية وضحاها ليتبعثر أبناؤها في الشتات.

أجواء الهزيمة الكبرى للوطن شكلت هزائم أخرى على مستوى إحساس الفرد الفلسطيني بعدم الألفة مع الأمكنة، فهو، وإن لم يسكن الوطن، إلا أن الوطن يسكنه.

ستون عاماً مرت على النكبة، لذا ليس من المستغرب أن تُفتتح النصوص بـ«حكاية» (أشبه ما تكون بالمقدمة) للراوي الذي «بلغ الستين دون مقدمات»، وتجرع فيها ما لا يحصى من أشكال الخداع، وتكبد ما لا يعد من الخسائر: «في ستين عاماً خضت سبعة حروب كبيرة، ومئات الحروب الصغيرة، خسرتها جميعاً».

ويقارب السرد في النصوص الأسلوب الأسطوري والفانتازي، وتغدو جميع مفردات الكون إنسانه وشيطانه وحيوانه وجماده، قادرة على الكلام والتعبير عما في نفسها، حتى الشارع الذي يدخل في معركة غير معلنة مع الكاتب محتجاً على التهميش والذل والاضطهاد الذي يعيش فيه. ويسعى الكاتب لعقد مصالحة معه، فيطلق عليه اسم «الشارع العربي»، في محاولة لمنحه هوية خاصة، رغم اعتراض «الجيران الليبراليين»، وإصرارهم على أن الكاتب رجل مفسد، وعليه يقع اللوم في كل ما يحدث على الشارع. وفي النهاية، يقرر «الشارع العربي» الرحيل، ويصبح في عداد المفقودين.

نصوص الكتاب السبعون حملت أبعاداً رمزية فكرية وفلسفية في الوجود والكون والسلطة والحروب والقتل والموت والزمن، وتنوعت بين قصيرة وطويلة كانت بمجلمها تحمل روح السخرية السوداء الموجعة.

الرواية النسوية الأردنية بين الالتزام والسرد

ترصد أروى عبيدات في كتابها الصادر عن أمانة عمان قضايا الالتزام في الرواية العربية النسوية في الأردن بتجلياتها المختلفة، الاجتماعية والسياسية والذاتية، مبينة القاعدة الفكرية التي انطلقت الكاتبات منها لمعالجة تلك القضايا، والرؤية التي سيطرت على العمل الروائي عند معالجة أية قضية من قضايا الالتزام، وتبيان مدى وعي الروائيات الأردنيات لها، وفي أي السنوات ارتقى الوعي لديهن وانعكس في أعمالهن.

تناولت الباحثة كتابات روائية تم إصدارها ما بين العامين 1973 – 2002.

ودرستها وفقاً لمنهج تكاملي مستقى من مجموعة مناهج مختلفة، إذ استخدمت في التمهيد المنهج الوصفي، وفي التطبيق المنهج التحليلي الذي أفاد من تفكيك النصوص وإعادة بنائها نقدياً، إضافة إلى المنهج الاجتماعي والنفسي والتاريخي، بخاصة عند دراسة الروايات التي ترصد التحولات الاجتماعية والأحداث التاريخية.

الروايات موضوع الدراسة هي: «المنحرف» و«دمعة مغطاة بابتسامة» لإيمان المعشر، «أسرة في الظلام» لبثينة إدريس، «الإسكافي» لتريز شعبان، «لن أموت سدى» لجهاد الرجبي، «سلوى» و«هل ترجعين» و«النشمي» و«الحق الضائع» و«نار ورماد» لجوليا صوالحة، «امرأة خارج الحصار» لرجاء أبو غزالة، «مجدور العربان» و«أعواد ثقاب» ، و«سيرة فتى عربي في أمريكا» لرفقة دودين، «الخروج من سوسروقة» و«سوسروقة خلف الضباب» و«اللحن الأول» لزهرة عمر، «إكليل الجبل» لسحر ملص، «رحلتي» و«المد» و«شجرة الفهود (1) تقاسيم الحياة» و«شجرة الفهود/ 2/ تقاسيم» و«القرمية – الليل والبيداء» و«خشخاش» لسميحة خريس، «موزاييك» و«شتات» لغصون رحال، «ثلاثون» لفيروز التميمي، «ليلتان وظل امرأة» و«صهيل المسافات» و«امرأة للفصول الخمسة» و«تشرق غربا» لليلى الأطرش، «نافذتان على الوطن» و«رحلة الحب والموت» لمنيرة قهوجي، «فتاة النكبة» لمريم مشعل، «بانتظار القمر» لمي الصايغ، «مذكرات نوارس في غربة» و«رحلة إلى الكوكب الضال» لناديا رشاد، «بقايا» و«أبناء الشياطين» لنبيلة صالح، «صراع مع القدر» لنزيهة عيسى، «غالية» لهدية عبد الهادي، «إلى اللقاء في يافا» و«وداعاً يا أمي» و«النخلة والإعصار» لهيام رمزي الدردنجي.

تلامس



تبحث الكاتبة اللبنانية لنا عبد الرحمن في روايتها الصادرة ألفين وتسعة عن الدار العربية للعلوم (بيروت) ومنشورات الاختلاف (الجزائر)، عن وطن تختزن تفاصيله وتنشغل بأحلامه وكوابيسه، وتعبّر عن آلامه وجنونه بلغة بسيطة تنطلق من شخصيات متخبطة ومنسحبة. ولا تبدأ الرواية بحكاية الحرب، بل الحديث عن خوف البطلة من جنون متوارث في عائلتها، جنون يدفعها للتفكير أنها ستلقى المصير نفسه الذي لقيته عمتها يوماً ما، ثم تصير نزيلة مستشفى للأمراض العصبية. هذا الخوف الذي ظل يمثل طوال الرواية شبحا يختفي بين السطور ويظهر بين فينة وأخرى.

تدور أحداث الرواية في بيروت قبيل حرب تموز 2006، من خلال شخصيات عدة، لكل منها حكاية تدور في إطار الحرب الأهلية وما تعكسه على لبنان اليوم، لتظهر لنا في النهاية أن اللبنانيين جميعاً وحتى الجيل الجديد الذي لم يَعِشْ حرب الآباء، لم يُشفوا بعد منها.

تحكي الكاتبة عن تفاصيل صغيرة في حياة البطل، علاقتها بالسينما، قصة حبها للشاب الإفريقي «محمدو»، كما تكشف عن إحساسها باليتم، وعيشها في قلق دائم تهرب منه إلى عالم الإنترنت، لتمر الساعات في حياتها مرورا عبثيا، لا يترك فيها أي طعم.

حوارات بين الشرق والغرب



يتضمن الكتاب حوارات أجراها الجزائري مدني قصري مع عدد من الكتاب الأردنيين والعرب إضافة إلى حوارات مع كتاب عالميين ترجمها من الفرنسية. يكشف الكتاب عمّا يمكن أن ينتجه الحوار العقلاني والنقاش الفكري والفلسفي والأدبي والفني الجاد من تواصل ثري ومتنوع.

ويشتمل الكتاب الصادر عن أمانة عمان الكبرى ألفين وثمانية على حوارات مع كل من: أدونيس، الشاعر المصري أحمد الشهاوي، الشاعرة التونسية آمال موسى، الروائية الأردنية سميحة خريس، المفكرة والمثقفة الأردنية ليلى شرف، الشاعر الفلسطيني محمود درويش، الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي، الروائية الجزائرية نينا بوراوي، الأنثربولوجي الفرنسي إدغر موران، الفيلسوفان الفرنسيان روبرت مسراحي وأندريه كونت سفونفيل، المفكرة والمحللة النفسية أنيك دي سوزينيل، الأديب الفرنسي إيميه سيزير، الكاتب الفرنسي جاك أتالي، الكاتبة الفرنسية جاكلين كيلين، الكاتب الفرنسي جون ماري لوكليزيو، العالم الإيراني داريوش شايغان، الموسيقي ستينغ، الفيلسوف والكاتب والشاعر الفرنسي فرانسوا شينغ، الكاتب والشاعر الفرنسي كريستيان بوبين، المتخصص في علم البصريات كريستيان جاك، المحللة النفسية كريستيان رولان، الكاتب البرازيلي ليفي شتراوس، الشاعر الفرنسي كنيث وايت، الفيلسوف لوك فيري، الباحثة في الفيزياء النووية ماريغال، الأستاذة في علوم الفن الهندية مانوشهايا كاتيا لجريه، الفيلسوف ميشيل أنتون بورنييه، والمفكر الفرنسي ميشيل سيريس.

فرقة تحمل الموروث إلى بيدر الحياة والفن

الحنّونة.. أغنيات تتخضّل بالدموع

إبـراهـيـم الـسـواعـيـر *

تُجاهد أهازيج الحنونة مع أصحابها في حمل الموروث والتعريف به، وخدمة قضيّة الأرض والإنسان الفلسطيني الذي يعيش حياةً تضجّ بالحركة والتفاصيل الإنسانيّة، وهي حياةٌ ذات جلبة حيناً، وراحةٍ تستقرّ أو لا تستقر أحياناً أخرى، وفي ثناياها اكتنازٌ بالحبّ والقلق؛ فلا تنال منها أدخنة الحروب، ولا تفتّ من عضدها تقنيات الحصار.

وربما لا يفطن كثيرٌ من متابعي فرقة الحنونة للتراث الشعبي إلى مداليل الأناشيد والأهازيج المنتقاة، والدراما المصاحبة، وفي هذه الإطلالة نحاول الاقتراب- ما أمكن- من لوحات الفرقة المتتالية، والوقوف على ما ترهص به من ماضٍ ما يزال يلحّ، وحاضرٍ صعب ومستقبل غير معلوم. ونستند في تمثّلنا تراثها المغنّى والموضوع إلى إحدى مؤسسات الفرقة منذ بداية التسعينات، المشاركة في حفلاتها نعمت صالح:

"كان ياما كان،

في حاضر وماضي الزمان،

كان في ستّ الحي،

ستّ الصوت،

ستّ الضّي،

ستّ الجرّة والشبابة،

ستنا ست الحكاية..

كان وكان أيّام زمان!".

في هذه اللوحة إشارة إلى "عشتار"؛ ست الحيّ والصوت والجرّة والشّبابة، وتأكيد حضور أصحاب الأرض الأصيلين؛ فعشتار الآلهة حاضرة بزيّها الموثّق بالتاريخ، هذا الامتداد المرويّ على هيئة مواويل شعبية تلعب فيها "الشبابة" دوراً كبيراً في تهييج الحسّ واستلهام زمن "النعمان" وثبات

الكنعانيين من أوّل الزمان حتى آخره؛ لتجيء لوحة تتكئ على موسم الحصاد. وتتخذ من البيدر أرضاً تبثّ به هموم الفلسطيني بصورتيه: المحبّ المتجرّع آلام الهوى وتباريح البعاد، والآخر الذي يتجاوز حبّه الأنثى إلى الوطن؛ فيكون البيدر بهذا ساحةً مُتقصّدةً لتوالد التفاصيل من العاطفي الإنساني إلى السياسي الوطنيّ، وبين هذا وذاك كثيرٌ من بوح:

" صحْيَتْ شمسك،
فتّحْ صبحك،
ورد مْنَدّي،
ع صفحة مَرْجَك؛
هيلا هيلا..
هيلا هيلا،
هيلا شيلا..
هيلا شيلا،
يَلاّ تْحَنْجَلْ
يا هالِمْنْجَل؛
مِنجلي يا مِن جَلاه؛
راح للصّايغ جلاه؛
إجا يومك سدّ دْيونك!..
منجلي يا من جلاه،
راح للصّايغ جلاه.
ليلى وليلى!
وما احلى قول يا ليلى،
يا لالا وياللّي؛
ليلى تجيب الدّوا
وْليلى تداويني،
يا لالا وياللّي؛
ليلى تحط الدّوا
علْجرح يشفيني!".

فعلى المنجل المُعوّل؛ وبه يستبشر العاشقون بقرب اجتماعهم؛ ولذلك فإنّ حثّاً واضحاً تكشف عنه اللازمة "منجلي يا منجلاه"، وهذا المنجل الذي يتأهّب لمشاركة أهله في مواسم الحصاد لا شكّ أنه يبلي بلاءً حسناً في معاونتهم، بل عليه العبء كلّه في "لمّ" "زيزوم" القمح وإذ تتهاوى بين شفراته السنابل كما تتهاوى الرؤوس تحت وطأة السيف فإنّ آمالاً جساماً تُعلّق عليه، وهموماً تتكسّر على همّته في سدّ الديون؛ التي هي ديونه، وفي ذلك ملمح "أنسنة": " إجا يوم تسد ديونك!".

ولكن ما قصّة "راح للصايغ جلاه"؟!.. تقول نعمت صالح: معلومٌ أنّ الصائغ يمتلك مهارةً عاليةً في تمييز الذهب من غيره؛ ومن ذلك فإنّ هذا المنجل بوصفه أغلى من الذهب لا يُجلى" أي تشحذ شفرته" إلا عند الصائغ، ويدلّ على ذلك مقطع:" منجلي يا من جلاه؟!"، أي: سؤال يحمل عجباً من هذا الذي يتولى مهمة شحذه؛ وقد كانت العادة أن ربّ العائلة يتقصّى الصّائغ؛ وهو بالتأكيد ليس صائغ ذهب، ومعه من المناجل الكثير لتتأهب لـ"موارس القمح"؛ فالمارس مساحات لا تدرك نهاياتها العين.

على أنّ رأياً آخر يقول إنّ التعبير بـ "منجلي يا من جلاه" ليس استفهاماً تعجّبياً؛ بل هو مدٌّ لأغراض القافية والوزن؛ تماماً كما نقول: أبتاه، ضيعتاه! وعلى أيّة حال إن كان الرأيان ينتميان إلى ما يفسرهما فإن ما يهمنا هنا تأكيد قيمته عند الحصاد سواء "جلاه" صائغٌ أو غيره؛ وللأبيات بقيّة، وفيها أنّ شروطاً تظهرها

اللازمة: "ما جلاه إلاّ بعلبة: يا ليت العلبة دواها"، وهذه الأغاني يتداولها الحصاد وعائلته وربعه، وهي محل قصص تتضمن استنهاض همم في تحمّل المسؤولية ومباراة الحصّادين، ويمكن أن تُسقط على حماية الأوطان معنىً يتجاوز الخاصّ إلى العام.

أما تعبير " ليلى" فلا يشير إلا إلى الحبيبة أو المعشوقة: فهي التي " تحط الدوا عالجرح يشفيني". وهي ليلى التي لترديد اسمها حلاوة:" ليلى وليلى وما احلى قول ليلى!". وفي لفظ نعمت صالح فإن قاف "قول" تقلب كافاً لتمثيل المنطقة الفلسطينية المتوخّاة، وربما تكون لهجة الوسط:"ليلى وليلى وما احلى كول ليلى!".

تقول نعمت صالح: ناس "البيدر" ليسوا ملائكةً: فلديهم ما لديهم من هموم اليوم الطويل، الذي ما إن ينقضي حتى يغازلوا ليله بموالٍ طويل:

" بدال السّيف بنجرّد سيفينا،

ومن بحر الكرم غرَفنا وسفينا؛

والله وقبل نوح ما يبني سفينا،

أجا من كرومنا أخذ الخشب؛

ألله يخونك يا زمان الْ خنتنا،

ألله يخونك يا زمان الْ خنتنا!"..

في هذه اللوحة افتخارٌ وعتاب: فبدلاً من السيف نُجرّد سيفين؛ كنايةً عن الصمود والأنفة العالية، وكَرَمُنا لا ينضب؛ فهو يمدّه بحرٌ لا ينتهي!

في المقطوعة يبدو الجناس في سيفينا، وسَفينّا؛ فالثانية تدلّ في المحكيّة الفلسطينية والشامية على ما تدل عليه من المبالغة في التناول، وهنا فإن محلّ التناول هو الكرم. وتستمر اللوحة في تبيان أصل "كنعان" الضارب، حتى قبل نوح! وفي هذا دلالة: فقصّة نوح النبيّ وبناؤه السفينة مشهورة في التراث الشعبي المتواتر بالديني، وربما جاء الشاعر بنوح دون سواه لتقصّده "سفينا" التي تجوب عباب البحر، وربما هناك دلالات خفيّة يدخل فيها البحر شريكاً أو محلّ نبوءة في النصر، ربما، وما يهمّنا أنّ بني كنعان مدّوا نوحاً النبيَّ بخشب سفينته؛ وليس أكثر من هذا دليلاً على عطائهم وحضارتهم وخصوبة أنفسهم قبل أرضهم؛ وإذ تبدّلت الحال ووقعوا تحت نير الغازي فإنهم يعتبون: ألله يخونك يا زمان الْ خنتنا!".

هذه المواويل يشتهر بها الشمال الفلسطيني، وربما تدخل الجغرافية عاملاً في عذوبة اللفظ أو خشونته: باديةً سهلاً وجبلاً. وتكتمل اللوحة:

"ريح ريح

يارب الريح!..

ريح ريح..

غربيّة الريح!..

ألله يمسيكم بالخير

وعوافي يا نواطير؛

جينا على حسّ الصوت..

خير خير يجعل خير،

سهل مطرّز بالحنون

والبحر وموجاته؛

خضرة على مدّ الروح،

يا دنيا آن الأوان!".

الريح الغربية ذات ملمس ناعم للبيدر ومسامريه، وهي تواتي "مذراة" صاحب الموسم التي تفصل الحبّ عن التبن، وتفيد نعمت صالح أن النغمة موضوعةٌ وليست شعبيّةً في هذا المقطع، وقد وُظّفت توظيفاً يجعل من أعضاء الفرقة على المسرح بـ"فوانيسهم"، و"صينيّاتهم"، و"جرارهم" مشاركين، فتدور المحاورة بين "النواطير" أي حرّاس البيدر، والزائرين كما يظهرها المقطع أعلاه، ومن إشاراته أنّ الجميع على البيدر يمثّل "وحدة حال" أكثر من مجرّد التعاون على الموسم!

هذه المقاطع وأمثالها عند الحنونة لا تُغنى بتقنية الـ"بلي باك"، وإنما يرددها أعضاء الفرقة متفاعلين، يبدعون بمواويل تفتخر بالموسم الذي يتابعه أهله منذ بواكيره حتى جني غلّته:

"يلاّ ع البدّاويّة؛

ردّوا حلالي يا مالي،

يا حلالي يا مالي؛

ع الألف اسمعوا القصّة

ع الحروف الهجائيّة،

ع الباء بدت القصّة أيّام الشتويّة.
ع الجيم جبلنا الأرض وانجبلنا سويّة.
ع الحاء حرثنا المارس بأوّل الشتويّة.
ع الراء رمت مطرها..
اشتاق الزرع للميّة.
ع الدّال دعينا الله
يجبر خاطرنا شويّة.
ع الياء يلاّ يا صبايا
ع غزيّل دبكة شعبيّة!..
يا غزيّل يابو الهيبا،
يا غاوي يا معذّبا،
زرتونا وشرّفتونا،
أهلا وسهلا ومرحبا!".

ولكنّ الفراق يأبى إلا أن يكون حاضراً؛ فلدى هؤلاء القوم الآمنين المطمئنين الساعين في أرزاقهم ومداراة ظروف الحياة وقسوة المواسم همهم الأكبر؛ همّ الشتات والرحيل ومغادرة الدّار؛ وإذ يسيرون في عرض البلاد وطولها تبكي عيونهم أرضاً جبلتها فضفضاتهم ومجالسهم وأفراحهم وأتراحهم وتعاليلهم، فإنّ لوحةً حزينةً تدمي القلوب بألحانها وتعابيرها ووجوه مؤديها:

"ع اليوم شمّل
اليوم شمّلوني؛
مع السلامة ياللي فارقتوني،
ياللي سريتوا الصبح
الله معاكم.
روحي وقلبي راحن
بهواكم.
لو طال الزمن
خلاّني ما أنساكم.
ولا ألومكم
ولا أنتو تلوموني!..".

في هذه اللوحة يدخل الغزاة وتبدأ المعركة؛ فينقطع شريط الحياة الطبيعيّ بما هو غير طبيعي؛ وتحار فتاة الحنّونة على المسرح بين أربعة رجالٍ مقنّعين تشي حركاتهم بتقصّد الغَصْب؛ ومع أنها لا تدّخر حيلةً في الإفلات من براثنهم إلا أنها في صمتٍ حزين من قومها لا تجد غير الندب:

" سَقالله تعود هالأيام،
دنيا وناس وهداة بال؛
نحصد مروج القمح،
وتثمر بيّاراتنا برتقان،
نسرح نجدّ الزيتون،
ونعبّي الزيت جرار؛
يركب رجالنا البحر،
وتخوض خيولنا الجبال،
نسقي القهوة ضيوفنا،
نحكي عن سالم والنعمان،
وتعود سحجات اعراسنا،
ويسير ع دروبنا الحمام،
سقالله تعود هالايام،
سقالله تعود هالأيّام!".

أما لحن اللوحة فمعروفٌ في ندب الميّت، وفي ذلك مرمى سعت إليه الفرقة، بدلالات اللون الأسود الذي يتخلله شريطٌ أزرق. وفي الواقع فإنّ ندباً يماثل هذا نسمعه في "طلّت البارودة والسبع ما طل، يا بوز البارودة من النّدى ما ابتل!".

ولكن مع كلّ هذا وذاك، لا تخلو اللوحة من أمل:

"داير دولاب الزمان.



غالب دولاب الطّحان.

أيّام بتاكلها السنين.

وسنين بياكلها النسيان.

بكرة الغايب رح بيعود.

يرجع مع طلة النهار.

محمّل بشاير ووعود،

بيرجع مكلل بالغار".

ولا يغيب عن بالنا ما ل"الطّحان" و"سالم" و"النعمان" من إيحاءات: فالطّحان يرمز للمعتدي بمعنى اللفظ، وسالم هو اليبوسي ملك القدس، والنعمان إله الخصب، أو كما كان يسمى "بعل".

تقول نعمت صالح: للبحر ملمح تتعدد وجوهه، وقد جرّبنا تقنية نزول فنان الحنونة بالفانوس إلى الجمهور لمزيد من التفاعل والمشاركة؛ ووجدنا أن البحر يمكن أن يحمل الفكرة أكثر؛ فجاءت لوحة "البحر":

"هيلا هيلا هيه،

هيلا هيلا هيه،

هيه يا الله،

قولوا يا الله،

لا تزعلي يا أمّينا،

يا أمّ البحر والمينا؛

مهما غيابك طال،

حضنك بيضلّ المينا،

لا تعتبي يا أمّينا،

ع صوت الندا جينا؛

ما غيّرتنا الغربة.

غيرك حدا ما لينا!

هيلا هيلا هيه.

هيلا هيلا هيه!".

وواضحٌ النداء الشفيف بين الشتيت وأمّه التي هي ليست سوى " فلسطين"؛ فهي المينا، حاضنة البحر، ولا بّد للغائب أن يعود!

ومن "نغمات" الحنونة: الترحيب:

"يا هلا بو هَلوْتين؛

هلوْتين وترحيبا،

يا ضيفنا لو زرتنا

لقيتنا ع الجنبين،

يا هلا بو هلوتين،

هلوتين ومرحبا".

ولنلاحظ نفاذ العاميّة: "هلوتين"، في قلب متلقيها، والمبالغة في إكرام الضيف. ومن النغمات الشائعة لدى الفرقة: "يا ظريف الطّول!"، وهي نغمة يمكن توظيفها بأكثر من طريقة لا تحيف على مضمونها، كما ترى نعمت صالح، وذلك سعياً لمزيد من إثارة المتلقي:

فالمحاورة إنسانيّة محضة، ومتداولة في المشهد الغنائي الفلسطيني والمجاور، وتحديداً في الأعراس، وفيها تسويغ البقاء بمخاطر الغربة، والخشية من فقدان الهويّة- على إطلاقها- وهي لوحةٌ تتخضّل بدموع بنت البلد على حبيبها الذي تشدّه مغريات السفر وتحسين الحال.

يقول الموّال الشمالي:

"عَنَّا بْ هالقرى ياما ليالي،

سهرنا نسامر الريح الشمالي،

وكل ما ترف غيمة بالبشاير،

ترفّ قلوبنا مع أمل غالي".

ومما يلفتنا أن الفرقة تنقل لهجةً غريبةً اشتهرت في الشمال والوسط الفلسطيني، وفيها يُقحم حرف اللام وسط اللفظ! ولمّا

سألنا نعمت صالح قالت إن هذا ما وجدنا عليه آباءنا، ناقلةً ألفاظاً غريبةً عن عجوز معمّرة، ودللت باللوحة:

"يا نلجْمة الصُّلبّح لوحي،
ودّيلي سلامي للعلي،
في عُلَرْسك يابُنيِّ
تُلرْقُص الغدران للعلي".

وإذا نحن أعدنا البيت الشعبي إلى سيرته الأولى وجدناه: "يا نجمة الصّبح لوحي، ودّيلي سلامي للعلي، في عرسك يا بُنيّ تُرقص الغدران للعلي!".

ولكن نعمت صالح تستدرك بأنّ الفرقة يمكن أن تتخفف من اللام المقحمة على "تُرقص"؛ وتأتي حلاوة النغمة من إلقائها.

ومن اللوحات المتفاخرة المعتزّة " علّي نارك عليها يا ابن كنعان!"، وفيها:

"نارك حرّة وعتيقة أمّ النيران؛
يا آخوي غير اظفارك
جلدك ما حك،
ما تستناها عونة من أيّاً كان،
يا ضاوي عتم الدّنيا
كمّل المشوار،
واعزف لحنك الأبدي
لحن الإنسان!".

وتزداد الحماسة: "دق الرّمح بعود الزين؛ وانتو يا نشامى منين؟!.. واحنا ربع الحنونة!.. والنعم والنعمتين، يومن حملنا الرّاية، الحلم كان الغاية، ومهما طالت الأيّام، تحقيق الحلم جاي!". والرسائل في هذه المقاطع بيّنة ولا تحتاج أدنى توضيح.

"ع الأوف مشعل
أوف مِشعلاني؛
ماني تبلّيته
هوَّ اللي تبْلاّني،
شفت مشعل جاي
من الطاحونة،
يا قليب مشعل
بالوطن مسكون،
تلبق لِمشعل هالفرس
المزيونة،
والسّيف مجوهر
والمَرتيْن عُرْبانٍ".

هذه اللوحة تتكئ على حكاية "مشعل" الشعبيّة، التي باتت شخصيّةً شبه أسطورية في حب الوطن، وتعود جذورها- حسب نعمت صالح- إلى التجنيد العثماني للشباب العرب؛ وهو التجنيد الذي فرّ منه مشعل، وتحوّل إلى ثائر، وهي أغنية صعبة وتحتاج طقوساً خاصّة، وإذا أردنا أن نشرح ألفاظاً فيها فإنّ: تبَلّيتُه تقابل افتريتُ عليه، والمرتين هي البارودة، أما العُربان؛ فليست جمع عرب؛ بل "عربون"، أي ما يشابه الضمان.

وبعد؛

فإنّ ما يميّز هذه الفرقة أنها عكفت على جمع التراث إلى جانب غنائه، ولديها أرشيف كبير، وهي تعترف بالأجيال المتعاقبة في غنائها، وتنأى عن تكرار لوحاتها بمساحة الحريّة التي لا تجور على مضمون الموروث، وجاء اسمها من الزهرة البريّة، وحسب نعمت صالح فإن صراعاً دار بين إله الخير بعل و إله الشر "مُت"، ومن قطرات دم بعل نبتت الحنونة، وفي ذلك معنى كبير.

---

* محرر المجلة



حياة اللوحة المسرحية بالحركة.. وجسد الممثل لا يتحرك على هواه

علامات فارقة بين الفنّين: المشهدي والمسرحي*



ترجمة: د.مؤيد حمزة* *

ما هو الفن المشهدي؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال، لننظر كيف تصنّف الفنون عادة: يمكننا، بدايةً، تعريف الفنون الاستاتيكيّة بشمولها العمارة، والنحت، والتصوير، والديناميكيّة بانضواء الموسيقا والشعر تحت لوائها، كما نستطيع القول إنّ الموسيقا يمكن أن توجد بأشكال آليّة أو صوتيّة؛ وأنّ الشعر يتوزع على القصيدة، والنثر، والدراما.

وكل فن له مبدعه الخاص به، إذ إن مبدع العمارة هو البنّاء، وفي الفروع المختلفة للفن التشكيلي فإن الحالة تنطبق على المبدع الرسّام «المصوّر»، والنقّاش،كما تنطبق، أيضاً، على الموسيقا الآلية التي يتمثل مبدعها في شخص الملحن، والمؤدّي المنفرد، والمؤدي المايسترو الموسيقي المرتجل.

وفي الموسيقا الصوتية فإنّ المبدعين هم: الملحن، المؤدي المنفرد، المؤدي قائد

الكورس الكنسي، المغني - المرتجل، أما مبدعو الأشكال الشعرية فهم: الشاعر، والمنشد، والشاعر - المُرتجل؛ والنثري- الناثر، والقارئ، والخطيب - المرتجل.

أما مبدعو الأشكال الدرامية فيتوزعون بين الدراماتورغ، والمخرج، والممثل، والممثل- المرتجل، وفي الفنون الاستاتيكية يكون نتاج إبداع البنّاء متمخضاً عن بناية، والنحات عن تمثال، والرسام عن لوحة، وكذلك الحال بالنسبة للفنون الديناميكيّة فإن نتاج الإبداع هو عمل فني. وفي النمط الدرامي فإنّ الدراماتورغ يؤسس عملاً درامياً، المخرج بدوره يبدع عرضاً مسرحياً للعمل الدرامي، أما الممثل فعليه مهمة العرض الجماهيري للدور المسرحي.

وإذا ما شرعنا في تصنيف الإبداع الفني في المسرح فسوف نرى أن فن الدراماتورغ يتمثل في تنظيم الكلمة، ومهمّة المخرج تتمثل في فن تأويل العمل المنظّم للدراماتورغ من خلال المساعدة في تنظيم تأويل عمل الممثلين، أما فن الممثل فهو فنّ علني، وغالباً ما يكون من خلال جماعة تأويل تنظم عمل الدراماتورغ والمخرج. وعند مقارنة فن الممثل مع فن المخرج ينبغي ملاحظة أن فن المخرج مسرحي، وفن الممثل مشهدي.

ومن خلال كثرة استعمال هذين المصطلحين نتوقف عند نقطة فارقة تظهر ما بين الفنين «المسرحي و المشهدي»، فالمسرح يتكون من جزأين: صالة المشاهدين وخشبة المسرح بكل ما تحتويه، وعلى هذا يكون الفن المسرحي أوسع من المشهدي من ناحية «الجماعيّة»، كما أن القوى الإبداعية المتحدة للمخرج متنوعة للغاية. من الناحية النوعية يتنازل الفن المسرحي للمشهدي، والممثل أكثر حرية في إبداعه، وإبداعه يبرز أمام عيون المشاهدين في عملية وفي نتيجة بدون انقطاع.

ولابد لنا من الحديث أولاً عن الفن المسرحي بشكل عام، ففي المسرح ترتبط مجموعة كاملة من الفنون الأخرى بوحدة عضوية واحدة، على الرغم من أن المسرح فنّ مستقلّ بالكامل، إلا أنه - في الوقت نفسه- يُعدّ شيئاً شبيهاً بتكتل الفنون الأخرى؛ لذا ينبغي- قبل كل شيء- ملاحظة أن الفن المسرحي أكثر تعقيداً من أي فنّ آخر. ما الذي ينصهر في الفن المسرحي؟ فن الدراماتورغ «فن الكلمة»، فن المخرج، فن الموسيقى، فن الممثل؟! وإذا كان المسرح فن «الكلمة»، وفن الصوت، وفن المرونة؛ فإنه يدخل هنا مع فن الرسام - المصمم، أما الممثل فيضفي على الخشبة ليس الصوت الإنساني حسب، بل فن الحركة أيضاً، ويتمثل هدف المسرح ومهمته في جمع كل هذه العناصر في وحدة عضوية واحدة.

ولا بد من ملاحظة أن عناصر الفنون الأخرى هذه تدخل في المسرح مع بعض التغيرات في شكلها: فالموسيقا، مثلا، تمتلك في المسرح معنى آخر، غير الذي تمتلكه في صالة السيمفونيا. وفي التصوير فإن مهمة الرسم للعرض على حائط تختلف عنه في المسرح؛ فهل يقوم الرسام في المسرح بالعمل نفسه الذي يقوم به في محترفه عند عمله

على اللوحة ؟! الإجابة ستكون بالنفي؛ ففي المسرح يوجد لديه مدخل آخر للمواضيع.

وتجري عملية فريدة من نوعها لتكيف المبدعين مع متطلبات الخشبة المشهدية، وهي لا تلاحظ لدى الموسيقيين والرسامين حسب بل والممثلين أيضاً. فالممثل الذي يؤدّي المنوعات في المسرح ويقرأ الشعر، يبدع بطريقة مغايرة عندما يمثّل على خشبة المسرح. وعادةً ما تلاحظ الظاهرة التالية: المدارس التي تدرس الإنشاد بشكل جيد، وتخرج طلاباً يؤدون على خشبة المسرح، يظهرون عادةً ممثلين سيئين، كما أنّ الرسّام في المسرح لا يرسم على لوحة صغيرة، موضوعة في إطار، بل ضخمة، مع ذلك فإنّ هذه اللوحات لا تعد على الإطلاق لوحات مكبّرة، على الرغم من أن الإطار هنا صار تلك النافذة التي ينظر منها المشاهدون. وكذلك الممثل الذي اجتاز دورة الإنشاد، لا يمكنه أن يعد نفسه سيد الخشبة، فعلى الخشبة لا يطلب منه أن ينشد، كما في المسرح الأرستقراطي، بل بطريقة خاصة، وهي أن يتلفظ بالخطاب بطريقة مسرحية، ولهذا عليه أن يتذكر دائما أن كل حواره يعيش ظروفاً خاصة. ونحن نرى - في هذه الحال - أن كل مبدع من مبدعي الفن المسرحي الذين يعملون في المسرح، تحكمه قوانين خاصة:

فالرسم يمتلك علاقة مع الفراغ فقط، والموسيقا تظهر فقط في الزمن، وعناصر المسرح توجد في الفراغ وفي الزمن. ولابد من القول إن هذه التركيبة لعناصر الفراغ والزمن هي الأمر الأكثر صعوبة في المسرح، وفي الفن المسرحي لابد من أن تؤخذ قوانين الفراغ بالحسبان، وفي الوقت نفسه فإنّ قوانين الزمن والسؤال عن طبيعة العلاقة التي تجمع الفراغ والزمن بشكل عام هو سؤال تمت دراسته بتمعن من قبل العلم المعاصر، وفي السابق كان الاعتقاد أن الفراغ والزمن هما شيئان مختلفان تمام الاختلاف وأنه لابد من التمعن في كل منهما بشكل مستقل عن الآخر، لكن النظرية الحديثة للنسبية تعلن أن كل هذه الآراء خاطئة تماماً وأنها لم تعد موجودة بعد، ولابد لنا من أن نتبرأ منها بالكامل. ذلك أن المسرح فن- على خلاف غيره من الفنون- يحدث في الوقت نفسه، سواء في الفراغ أو في الزمن، وهنا علينا أن نلاحظ أنّ نقطة التحوّل في علم الفيزيو- رياضيات، وضعت المسرح في ظروف خاصة.

وستكون ظاهرة لا تنطبق على أصول الفن، لو أصبح الفنان المؤدي على خشبة المسرح عديم الحركة؛ ففي هذه الحال لن يصبح ممثلاً، بل مجرد عنصر في لوحة حيّة. وإذا قلنا إنه يمكن أن يكون للبانوراما لوحة حية، فإنّ هذه العبارة قد تكون في أذهانكم عبثاً فنياً؟ وسيكون تكوين الكلمتين بحد ذاته سخيفاً في قولنا «لوحة حيّة»، لأنّ اللوحة لا يمكن أن تكون حيّة.

اللوحة لا يمكن- بأي شكل من الأشكال - أن تكون حيّة. فالحي لابد أن يكون في حالة حركة، كما أنّ جسد الممثل حتى يصبح مادة فنيّة لابد وأن يكون ظاهرة

متحركة، وهو هنا لا يستطيع أن يتحرك على الخشبة المشهدية وفق هواه. جسد الممثل لابد أن يخضع لقوانين الحركة على خشبة المسرح، والعلم الحديث درس هذه الظواهر في الفن المسرحي، الأمر الذي يُسهم في تشكيل فن الممثل.

وفي الفن بشكل عام كل شيء ينحصر في بناء الشكل، فالنحت يقدم شكلاً من المرمر، والصلصال، والبرونز، والعمارة تنفذ طبقا لتصاميم محددة بمواد ثقيلة، أما الموسيقا فتبحث عن الشكل في توليف الأصوات، وعندما يقوم «ب. أو. موروزوف» بتبسيط تاريخ المسرح أمامنا سنرى أنه هناك وحيث يسود الفن تسود القوانين المتفاعلة والمتحركة لإرادة الفنان.

ولا يفكر العاملون على خشبة المسرح عادة بهذه الحالة، وعلى خشبة المسرح يدخل أناس عاطلون عن العمل، وقد لا يعرفون إلى أين يذهبون، فيتجهون إلى المسرح، لأن الذهاب إلى مكان ما آخر على سبيل المثال

كورشة حدادة أو مصنع كهربائي، يعد للكثيرين مهمة صعبة، لأنه لا بد من معرفة شيء ما. أما إلى خشبة المسرح فيذهبون ببساطة دون تفكر،كما يعتقدون. ويمكن أن نقول إن المسرح هو فنّ معقّد بشكل خاص، وقبل أن نكرّس أنفسنا للمسرح، لا بد أن ندرس كثيراً لفترات أطول.

* محاضرة مترجمة للمخرج الروسي فيزفولد مايرهولد

* * أستاذ جامعي/ ك. الفنون



منمنمات الإبرة.
نسرين أبو خاص

رنة الإبرة

مريد البرغوثي *

تطريزُ ثوبِك صامتٌ . و يقولُ!
الأخضر المَحوح نايٌ ناعمٌ
مَسَّتْهُ كَفُّ الريح و الراعي،
و أزرقُهُ دفوفٌ حولها شُعَلٌ، و أحمَرُهُ طُبولُ

و منمنماتُ رسومِهِ همسٌ و إصغاءٌ
و غامقها به نَعَسٌ
و فاتحُها له نَفَسٌ
و فاجِرُها خَجولُ

و الخَطُّ يصعد، مستقيماً، من وقار الذيلِ
حتى الخصر
يلمس قوسَهُ ، و يَميلُ

و على اتساع الصدر تصخب حفلةُ الأشكال .
زهزهةُ الجنائن .
مندرين هائجٌ

ذَهَبٌ و رمّانٌ يرنُّ ، و أشهبٌ يرنو
و كُحْليٌّ كوخز الجُرح ،
عشبيٌّ كلذعة غصن نعناع بكوب الشاي
و الأكمامُ في وهَجٍ تَجَمَّع فوقهُ وَهَجٌ
و أسرارٌ موزَّعَةٌ على كفَّيْك خافيةٌ وباديةٌ
و من زمن إلى زمنٍ
تزوغُ من الزوال ولا تزولُ

و سَوادُ ثوبك إن حكى أوجاعَهُ
أبكى العرائسَ و الشيوخَ
و ذلك الغيمَ الذي يمشي جوار الله حسب هواهُ
حتى لا يطيق الاكتناز بمائه، فيسيلُ

هذا حِدادك منذ كنت
فأيّ ذاكرةٍ تسير على التراب إذا مشيتِ
و أيّ هولٍ إن عتبْت على زمانك
يا كريمةُ . و هو مِقلالٌ بخيلُ

من عهد كنعان البعيدِ
و من حكايات الخرافةِ
و هي تلمع كالذخيرة تحت توراة الحديد
و من خبيئات الموانىء في سواد البحر
و الحراس تصفُ في سُباتٍ دائمٍ ، والنصفُ حُولُ

لم يبصروا الأولاد مصرورينَ
في صوف البطاطين القديمةِ
و البغال تكاد تدمع و هي تحملهمْ وراء النهر
والأقفاص تأخذهم بعيدا فوق موج البحرِ
و انفرط المكان على الأماكن فجأةً
لتضيع زينتنا على الطرقات
حتى ظننا الرائي قباحاً في الخيامِ و لم تكنْ
بل إنه المنفى قبيحٌ ، و الرحيلُ

التينُ و الزيتونُ و البلدُ الأمينُ
وشال رأسك، كُحْلُ عينيكِ الإلهيّ
القلاع الغامقاتُ
رنين إبرتك التي وقعَتْ على ليلٍ
سهرتِ سوادَه و بياضَهُ
و مخدّةُ الغيم التي اتكأتْ عليها
قامةُ السرو المسافرِ في الأفُقْ
و خطى الضيوفِ
صهيلُ حَب الهالِ
ضوء البرتقالة حين مال الغصن وانتبَهَ الشّفَقْ
و بخور كهّان الجبالِ
خطى الصحابيين
تربيتُ النخيل على القبابِ
و رعْشَةُ الرُّطَب الجنيّ
و شمسُك الأولى، و بَحْرُك...
كيف زُجّتْ كلها في خيمةٍ ؟
متنا كما متنا، و نحيا مثلما نحيا
و نعلم أن من يلْقَ العذابَ كما لقينا
سوف يصفن صفْنَةً . و يقولها:
إن الفلسطيني مخلوقٌ جميلُ

***

ليلٌ يُنَوِّرُ لَيْلَهُ الليليّ أكثرُ من قَمَرْ
فعلى رقائق قُبَّةِ الذّهَبِ التي نَعِسَتْ، و ما نامتْ، قَمَرْ،
و على أصابع ذلك الولد المحجَّبِ قرب متراسٍ، قَمَرْ،
و على قميص البنت وهي تميل نازفة ، قَمَرْ،
و على جبينك حين تلتفتين للجندي نافرة، قَمَرْ،
و أكفنا، بلهاثها، الملحوق، تطرق كل باب مغلق
والموت يلمع سِنُّهُ المكسورُ في ضَوْءِ القَمَرْ

وسواد ثوبك صامتٌ ، لكنَّ كَفَّكِ منذ أن قالتْ ، تقولُ
تدحو الفطائرَ كل عيد
أو تزوق للمواليد القماط
و تمسح الأحزان و الدم والبلاط
وتعصر الزيتون في القفف المهولة
تنسج الأزهار في ركن المخدة للصغيرِ
وفي الصباح تشد شحمةَ أُذْنِه
وتعالج البَلَل الغزير على السريرِ
ترد شالتها تعزي في القتيل
تَرُدُّ «شالَتَها»، وتذهب للتهاني
تزرع الريحان في الشرفاتِ
تشغلها مقادير الأرُزّ
وآخرَ الأخبار من جهة الفدائيين
والبنتُ التي حردت لأن حماتها وصلت
وأنباء الوفاق العالميّ ووجبةُ الغد والغسيلُ

مدي يديك إلى المراسي النائيات جميعِها
لّمي الصناديق التي حملت صغارك في سواد
الموج
ربيهم
أعديهم ليوم المُلْك
فكي السحر والألغاز عنهم
واجمعيهم مثلما جمعت يداك الزعتر البري
في الصبح النظيف
ومثلما علّمت إبرتك الصغيرة
أن تلملم شارد الألوان في أطراف ثوبك
مثلما اجتمعت علامات القيامة بين كفك
والأصابع
وهي ترمي صَبْرَها في مقلع الصوّانِ
ثم تهز أكتاف الشوارع وهي تُقصي وهي تُدني
وهي تحجب أو تُنيلُ

أنت الكنائس والكمائن
والمساجد والمساجين الذين يراكضون زمانهم
بالقيد أو بالقرفصاء
وأنت من ماتوا على خط النهاية
والمتاريس المقامة حولهم
والفل والفولاذ أنت
وأنت ما في الشوق من غضبٍ
وأنت اليأس مكتملاً، يحاولُ
أن يشد غزالة الأمل الكبيرةَ من رؤوس قرونها
أنت البقاء والابتداء
وأنت أول أمهات العيدِ
بهجتُهُ ودمعتُهُ
عَمودُ الدار، والبالُ الطويلُ

تمشين بين مسالك
فيها المهالك دانياتٌ والنجاة بعيدة
والخوف كالذئب الأليف بباب بيتك
صامت، متنعمٌ بالشمس
يغلق عينَهُ، ويطلّ بالأخرى عليكِ
على خطاك، على نواياك الصغيرةِ
فليكن!
خفنا بما يكفي لنذكر كل ما شاءوا لنا نسيانَهُ
خافي قليلا ثم مُري من نداءات الجدود
إلى زُقاق فيه حصة خَوْفِهِمْ
خوف الغريب من المقيم
وخوف عينَيْ قاتلٍ
مِن أن يُحَدِّقَ في ارتباكِهما القتيلُ

أنت انكشاف الرأس في هذا العجاج بناره
ودخانه
مري كأنك كل ذاكرة البلاد تمرُّ بين عيونهمْ
فلَكِ الطريقُ لكِ الطرُقْ
ولكِ المكان على امتداد مكانه
لك وخزُ كوع جنينك المشتاقِ في جدران
بطنك للحياة بحلوها وبمرها
لك قوّةُ الموتى الذين تأبَّدَتْ فيهمْ مطالبُهُمْ
فلا أحدٌ يروِّضهمْ
ولا أحد يخوِّفهمْ
ولا أحد يضلِّلُهُمْ
ولا أحد يبدِّلُ فكرةً سقطوا على دمها
فإن الموت نوع من عنادٍ خالدٍ
لا يبرح الموتى
وينتظرون ،
ينتظرون في صبر طويل لهئةَ العَدّاءِ
بالدمع الذي لا دمعَ يشبهُهُ ،
فمرّي ، ولتمرّي الآنَ ، مُرّي بعد عامٍ،
بعد أعوام
خذينا حيثما شاءتْ خطاك وحيث شئت
وأينما أعطتْ يداك إشارةً
فهي الإشارةُ . والقيادةُ . والدليلُ.





سيّدة أردنيّة تطوّر في "الثوب".. وتستظلّ بالتراث

مريم مراد: لا خطر من "الموضة"

وأسنان "الماكينة" على فرح الفتاة بعروق الثوب!

حاورتها: نسرين أبو خاص *



.. تعكف على إحياء التراث بالثّوب، وتجمعه، وتطوّره بتصاميم عصرية تتناغم وروح العصر وتنسجم ومتطلبات السيدة العصرية، وفي الوقت ذاته تُبقي عليه مشرّباً بعبق التر[illegible]خرفات الأمهات والجدّات!

مريم [illegible]، المعلمة في وكالة الغوث، الحاصلة على ماجستير الرياضيات، قصّت على مجلّة "أقلام [illegible]" حكايتها [illegible] الثوب، في هذا اللقاء:

* كيف بدأت الفكرة؟.. وهي فكرة تحتاج تفرّغاً ومتابعة؟

بعد [illegible] التدريس [illegible] بفراغ كبير؛ ولا سيّما أن [illegible] يضج بالحركة [illegible]دريس والنّشاطات التطوعيّة، فبدأت أفكر بمشروع أحبه؛ أساعد من خلاله السيدات اللاتي يرغبن بالعمل، ولا يستطعن الخروج لسُوقه، إما



لعدم توفر فرص العمل [illegible]
الأعباء المنزلية، أو لأن [illegible]
لا تسمح لهن بمغادرة [illegible]
المني أنهنّ يحتجن [illegible]
المادي لإعالة أسرهن.

وكما تعلمين فإنّ السيدة
عندما تعمل في منزلها تعمل بما
يناسبها من وقت ترتاح فيه بمزاج
رائقٍ وهمّة واثقة، وبال [illegible]

ولذلك قررت أن أبدأ بمهنة التطريز، وفعلاً جمعت عدداً لا بأس به من الأثواب، وتتبعتُ أيّ قطعة تراثية أسمع عنها، ولدي الآن مجموعة مُرضية من المقتنيات التراثية. ولم أكتف بذلك بل قرأت كتباً تختصّ بالتراث وتوثيقه، وتبحث في تاريخ القطع التراثية وما يتعلق بها.

• **لم تقفي عند التكرار؛ بل عمدتِ إلى التطوير والابتكار.. ما الذي تستندين إليه في ذلك؟!**

أذكر أنني طرّزتُ قطعاً صغيرة من مثل: الوسائد و"الكوسترز"، ثم وجدت نفسي أطوّر في تطريز "الشالات" والأثواب، ولأنه ليس من الهيّن الاشتغال على ثوب فقد كنت دقيقةً جداً في الانتباه والملاحظة.

ولمّا توسعت الفكرة وأغناها إخلاصي لها وعكوفي عليها، كان عدد السيدات اللاتي يشتغلن بهذه المهنة معي، أو ما نسميهنّ بـ"الطرازات"، يصل إلى 300 سيدة حالياً، وهؤلاء ثابتات تقريباً، ومعظمهن يعملن معي منذ مدة طويلة، وقد راعيت في اختياري لهن أن يتوزعن على محافظات المملكة كافة.

• **لماذا؟!**

لأنّ الشرائح تمدّني بكلّ ما هو مثير وجديد، ولأنني بهذا أخدم هؤلاء السيدات ببيئاتهنّ المتنوعة، ولهذا تربطني بهن مشرفات يُوزّعْ العمل من خلالهن، وهذا لا ينفي أن بيني وبينهن-الطرّازات- علاقة وطيدة وألفة وتشاور؛ ويكفي أنني أعرف همومهن ومشكلاتهن، وأعمل قدر المستطاع على حلها.

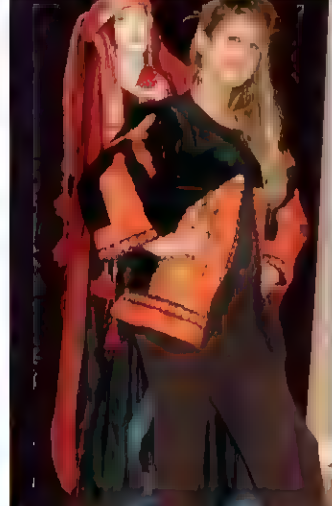
• **هل يتعدى دورك الإشراف على بناتك، المشرفات على في المشروع، إلى التوجيه بالخبرة ومراكمة النوع؟!**

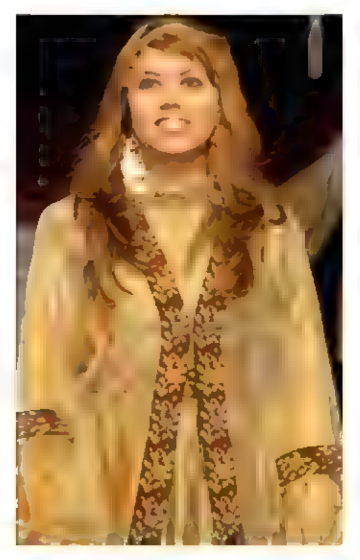
بعد أن سلّمت بناتي كل مهامّي، ودرّبتهنّ جيداً، وقد اتبعتُ في سبيل ذلك وسيلة "التجربة والخطأ"؛ صرن اليوم يعملن على تطوير المهنة وتوثيقها، ولا أبخل عليهنّ بما عندي، وقد استفدن كثيراً من هذا التعلّم المريح؛ فمن لا يخطئ لا يتعلّم. وآمل أن تستمر المهنة، ويحافظن على ما تعبت لأجله.

• **كيف يُعبّر الثوب عن منطقته؟!.. وكيف تتشابه أثواب المنطقة بمجموعها، وتمتاز بخصوصية بيئاتها؟!**

"عندما تعمل السيدة في المنزل تعمل بمزاج سوي وبالٍ رائق متزن"

في تطريزي للثوب أقوم بعمل نسخ عن الأثواب التراثية بصيغتها الأصيلة النقية؛ فهناك أثواب تتنوّع تبعاً للمناطق الأردنية والفلسطينية، فعلى سبيل المثال- لا الحصر: يمكن أن نرى ثوباً





خاصاً بالقدس، وآخر ببيت لحم، وثالثاً ببئر السبع، ورابعاً بحلحول، وخامساً خاصاً بيافا، والحال ذاتها تنطبق على الثوب الأردني، فلكلّ محافظة ثوب خاص بها: ثوب عجلون، وثوب جرش، وثوب معان، وثوب الرمثا، وهكذا.. وأحيانا يمكن أن يختصّ الثوب بقبيلة معينة ومثال ذلك ثوب العَدْوانية "نسبة إلى عشيرة العداون"، كما أنّ كل ثوب تميزه رسومات معينة عن سواه، وأغلبها تُستمدّ من البيئة وما تشتهر به هذه المناطق؛ فمثلا ثوب الخليل تكثر فيه عروق الدوالي نظراً لكثرة زراعة العنب وشجر الدوالي في المدينة.



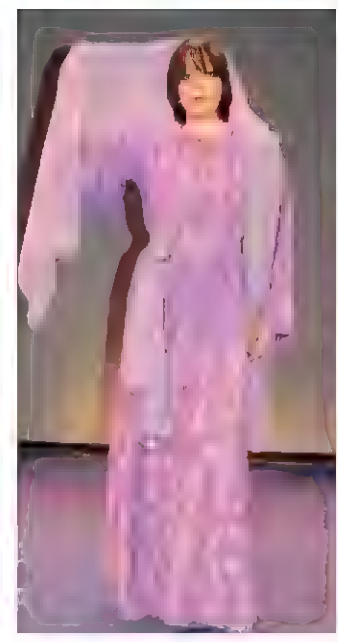
هناك تشابه بين الأثواب الفلسطينية والأردنية؛ كالتشابه الحاصل بين أثواب الشمال والوسط والجنوب، وهي تشترك بسمات، ولكنّها، أيضاً، تتميز عن بعضها، فإذا نحن تتبعناها وجدنا أنّ الألوان الزاهية والفاتحة تزداد في الشمال، في حين أن الألوان تميل بشكل واضح إلى القتامة في الجنوب، باستثناء محافظة معان التي تميزت بثوبها عن بقية المناطق والمحافظات؛ لأنها كانت طريق تجارة وممر قوافل، وكانت تعتمد على ما يتيسر لها من الباعة المتجولين.

• أخبرْتني أنّ الثوب قديماً كان يُعبّر عن الطبقة الاجتماعية!.. هل ما يزال ذلك جارياً في عصر "الموضة"؟!

يمكنني القول إنّ الثوب مؤشرٌ جغرافي واجتماعي على منطقته؛ فقد كانت تُعرف أصول السيدة من ثوبها، كما كانت تدلل بثوبها على الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، فكلما زادت كثافة التطريز والعروق في الثوب دلت على ثراء السيدة، ومن الثوب كانت تُعرف السيدة المتزوجة والعزباء، والأرملة. وطبعاً فإنّ هذا كان قديماً، وبمرور الزمن والتزاوج والترحال بين سكان المناطق المختلفة، فضلا عن الاحتلال والتهجير الذي حصل على عدة مراحل، اندمجت هذه الأثواب، وتمّ تطعيمها بالرسومات، فقد أصبح الثوب أشبه بـ"كوكتيل"؛ ولم يعد يدلّ على منطقة جغرافية محددة كما كان الحال في الماضي.

• كيف كانت الفتاة تفرح بالثوب؟!.. في ليلة زفافها!.. و"حنّائها"، وفي المناسبات؟!

ومن العادات التي كانت سائدة أيضاً، وتعبّر عن معايشة التراث يوميّاً. أن جهاز العروس قديماً كان يحتوي على عدة أثواب؛ ولكل مناسبة ثوب، وكانت قريبات العروس





يساعدنها في تطريز هذه الأثواب، لأنّ إنجاز ثوب واحد يستغرق مدة زمنية طويلة وجهداً كبيراً؛ فكان لدى الفتاة ثوب لليلة الزفاف، وآخر لـ"الحنّة"، وثالث للاستعمال اليومي، ورابع للمناسبات، وقد سمعنا أن الفتاة يكون بحوزتها ما يقارب الخمسة عشر ثوباً!

• لم تشتغلي إلا على ثوب المرأة، هل فكّرت بالاشتغال على "القمباز" و"الكوفيّة"؟!

تعلمين أن ملابس الرجال التراثية، وهي ما نسمّيها بـ"القمباز" و"الكوفية"، لم يكن يتخللها التطريز، ولم يخطر لي تطريز ملابس الرجال وهو ما أشتغل عليه في أثواب النساء، ومن يدري ربما يكون ذلك في أوقات مقبلة، ومع ذلك فقد طرّزت أثواباً للأطفال.

• كيف تحفظين الموروث بالإضافة عليه؟!.. وهل أثمر "التجريب" عن جديد؟!

بعد مرحلة توثيق التراث والحفاظ على الأساسيات اشتغلت على نسخ مطابقة تماماً للأثواب هذه، ثم انتقلت إلى مرحلة البناء على هذه الموروثات بتطويرها خلقاً وابتكاراً، ولديّ أثواب عصرية تتماشى وروح العصر؛ وتحافظ في الوقت نفسه على روح التراث. وأستطيع القول إنني رسخت جذور وأساسيات فن التطريز بتثبيت أصوله التراثية، فطورت في "القطب" في استعمالاتها، وكذلك في الأقمشة وأنواع الخيوط الألوان؛ فكان اللون الأسود للقماش هو الثابت في جل الأثواب؛ مع إمكانيّة بروز اللون.

في مشواري مع التطريز الذي قارب على ربع قرن، وبعد أن أنجزت العديد من الأثواب التقليدية بنسخها الأصلية وحفظتها نقيّةً، كنت "أجرّب" بتصاميم تراثية عصرية، وكنت أعمد إلى عمل نماذج مصغرة لتجريب التصميم والألوان التي اختارها؛ فالتجريب بثوب كامل أمرٌ مرهق ومكلف، ويحتاج إلى وقت طويل، وحينما يخطر ببالي تصميم أسعى لتطبيقه، ولكن أرجو العلم أن إنجاز ثوب واحد قد يستغرق ما بين تصميم وتنفيذ سنة كاملة وأحياناً أكثر!

• هل أخذتك نشوة "الاسم" أو النجاح إلى الترخّص ولو قليلاً في النوع لصالح "الكم"؟!

لا أعتمد في عملي على الطلب من زبائني؛ فأنا أنفّذ كل ما يخطر ببالي، وبالتحديد ما أشعر بأنه سيكون ثوباً مميزاً

أو قطعة تراثية فاخرة. ومن خبرتي الطويلة بهذا المجال أصبح لدي تصور مسبق للقطع بمجرد تخيلها وقبل تنفيذها على أرض الواقع. واستناداً إلى هذه الخبرة والتخصص والسمعة التي بناها تجويدي لـ"شغلي" والقطع المميزة التي أقوم بتنفيذها، صنعتُ لنفسي اسماً مميزاً قوامه الجودة والإتقان، سواء جودة التطريز أو جودة الأقمشة أو جودة الخيوط المستخدمة، وتناسق القطعة وتصميمها وتفصيلها، وكذلك الرسومات ومدى انسجامها مع الألوان، لتتشكل لوحة فنية متكاملة، وهذا ما جعل قطعي وأثوابي علامة مميزة؛ تحتم عليّ عدم التقليل من جودة هذه الأعمال ولو كانت بطلب من زبائني، كون هذه القطعة ستحمل بصمتي واسمي؛ فلا أنفذ قطعة بجودة قليلة، وأحيانا إذا لم أرض عن طلب زبونة من حيث التفاصيل والرسومات والخامات التي تطلبها أعتذر لها إن لم أحمّلها مسؤولية هذه القطعة، وهذه الجودة العالية هي أساس احتفاظي بزبائني، فيعدن لاقتناء أثواب جديدة بعد أن لمسن مدى الدقة والجودة من خلال أثواب اقتنينها قبل عشر سنوات ويزيد، ومازالت بحالة جيدة. فالجودة هي أساس قطعي وميزتها الأساسية بغض النظر عن السعر.

● إذا كانت الموضة بما فيها من "تنانير" و"بنطلونات" تفرض نفسها.. كيف تتأقلمين مع هذا الوضع؟

نحن في خلق دائم وتطوير وتطعيم للأصالة بالمعاصرة، وأجاري الموضة بما ينسجم وروح الأثواب التقليدية، كي أجذب الجيل الجديد لارتداء الأثواب، فمن الصعب أن نجعل الصبايا يرتدين الثوب التقليدي بصورته الأصلية بعد أن واكبن الموضة من "بنطلونات" و"تنانير"؛ فلا بد من إضفاء روح العصر مع الإبقاء على الأصالة والتراث حاضرين بشكل واضح ومقبول.

أهم ما عندي المحافظة على التراث، وأن يبقى الثوب في صيغته الأصيلة، وأن يبقى

> "..تسارع الحياة، ودخول عصر (الكمبيوتر) والماكنات في التطريز والموضة والزيّ العصري،





تراثيا أبداً. فالتراث ملك للجميع وحافظ لنفسه بمرور الزمن الذي أثبت هوية هذه الأثواب وجذورها، وأكّد أنها وليدة العصور، وأنها جزء من التاريخ والمجتمعات، ولكني أضيف على هذه التصاميم التقليدية مسحة من روح العصر؛ فأغير بالألوان وطريقة الرسومات وتشكيلها، وأغيّر بالألوان والأقمشة والخيوط وتفاصيل الثوب والأكمام، وأحياناً أمزج الرسومات والقطب ما بين أثواب متنوعة. ولكني مع ذلك أميل إلى الحفاظ على التراث على حساب الموضة، ومجموعاتي دائماً تحتوي على التقليدي التراثي والمطور المعاصر؛ فأساس هذه المهنة أو الحرفة هو الضمير وروح المسؤولية في حفظ التراث.

• هل تكفي جملة ما تضعينه من خطط لمواجهة مستجدات تنافس المهنة؟!

لا أضع خططاً طويلة الأمد، ولكن في نهاية فصل الصيف وما بين شهري أيلول وتشرين الأول تقريباً أضع تصوراً مسبقاً موجزاً عن طبيعة الأثواب التي أنوي إنجازها، وأحسب عدد القطع من كل نوع، وأراعي المناسبات المختلفة، عيد الأم؛ وكم أفرح حين تشترى الهدايا للأمهات والجدات؛ فالثوب أو "الشال" من الهدايا القيمة المحبوبة لدى سيدات مجتمعنا.

خفّض من الإقبال على التراث"

إلا أن تسارع الحياة وانشغال الناس، ودخول عصر "الكمبيوتر" والتطريز واستخدام "الماكنات"، فضلاً عن الموضة وما جلبته من أزياء عصرية جاهزة بأقل كلفة في معظمها، جعل كثيراً من النساء يعزفن عن التطريز، ويمكن ردّ ذلك إلى أنّ عزوفاً بات واضحاً في ارتداء هذه الأثواب، ومجهوداً كبيراً يُبذل في إنجازها، مقارنةً بالمردود الضئيل إذا ما قورن بالجهد والوقت المستغرق في ذلك.

هناك تشابه بين الأثواب الفلسطينية والأردنية؛ كالتشابه الحاصل بين أثواب الشمال والوسط والجنوب

• لا بدّ أنك تفرحين بفتاة تقبل على "الثوب".. ولا بد أن لذلك معنى؟!

نشهد هذه الأيام شيئاً من رد الاعتبار للتراث، فبعد أن مر بمرحلة صعبة، يُفرحنا أن نشهد إقبالاً كبيراً على الملابس التراثية، وعودةً إلى الأثواب، ولو أن الإقبال في جُله على الأثواب المعاصرة، إلا أن ما يفرحنا، أيضاً، أنها رغم معاصرتها تحمل التراث في هيئتها النهائية، فنجد الصبايا من مختلف الأعمار يقبلن على الأثواب والمطرزات، ويحرصن عليها في الأعراس وحناء العروس وغيرها من المناسبات المختلفة، فالعروس تحرص على أن يحتوي جهازها على ثوب، بل إنّ عرائس أصبحن يلبسن الثوب بدلا



من الفستان الأبيض في أعراسهن، مما يدل على إحياء التراث، وربما ساعد الثوب بصيغته المعاصرة في عملية الإحياء هذه، لا سيما أن العديد من "فساتين" السهرة أُدخل إليها التطريز الفلاحي فحملت المعنيين معاً، وكذلك أثواب الأطفال.

• وكيف تحفظين ما بذلت له نور عينيك من أن يُسرق أو يضيع؟!

حفظي أعمالي وابتكاراتي والأثواب التي أصممها يكون بتوثيقها، وتصويرها بكلّ تفاصيلها وحفظها إلكترونيا بأقراص مدمجة، وهذا ما تقوم به بناتي حالياً. وطبعاً بالإضافة إلى عمل عدة نسخ من هذه الأثواب لتقتني كل واحدة منهن نسخة منه فلا يندثر ما نقوم به بمرور الزمن.



«سلمت مشروعي لـ«بناتي» وهنّ يعملن على تطويره ويجرّبن مُستظلاّتٍ بالتراث»

وكنت من باب المحافظة على هذه المهنة من الاندثار، وأملاً باستمرارها عند الأجيال القادمة ما أزال أشجع "الطرازات" على تعليم بناتهن بإهدائهن خامات وخيوطاً وقطع قماش بسيطة لتشجيعهن على تعلم التطريز، ولكي تتوارثها الأجيال؛ فلا تندثر.

ولكل رسمة ثوب تقريبا جذور تاريخية، وأحرص دائماً على تتبع هذه الرسومات ومعرفة جذورها، وهنالك العديد من الكتب التي وثقت ذلك، ومن المهام التي تقوم بها بناتي حالياً تتبع الرسومات حتى أصولها وعمل تعريف للأثواب وتحليل للرسومات. ويكون ذلك بالاستعانة بالتوثيق السابق والزيادة بالاتصال المباشر بالسيدات المُسنّات، اللاتي عاصرن هذه الأثواب وعلمن تفاصيلها و"عروقها"؛ وأذكر أن رسومات يمكن أن نردّها إلى العهد الكنعاني.

• بعد كلّ هذا التصميم.. وكل هذا النجاح!.. ماذا تقولين؟!

بالعلم والأيمان صنعت اسمي فقط، والموهبة هي البذرة الأساسية، ومشروعي قام وما يزال على مجهود شخصي، فلم يدعمني أحد أو جهة، ولا فضل لأحد على عملي إلا الله الذي مدّني بالعزم والمثابرة وتتبع التراث، ولا أنسى السيدات اللاتي يعملن معي؛ فهن شريكات بهذا النجاح، كما أنّي أدعو الله أن يحفظ مشروعي بجهد بناتي وسعيهن للمحافظة عليه، علماً أنهنّ حاصلات على شهادة الدراسات العليا مثلي، إلا أنّ اللون والخيط جذبهن، فكن عوناً لي، وأخلصن لهذه المنمنمات الأصيلة حرصاً من هذا الجيل الشاب على روح التراث العربي.



آفاق الأسئلة الصعبة



أ.د. حسين جمعة *

أكدت فعاليات دمشق عاصمة الثقافة العربية لعام ألفين وثمانية أنّ هناك أسئلة كبرى وصعبة ما تزال تتفتّق عنها الذاكرة العربية... ومنها:

- أين موقع الشباب العربي وأدبهم وفنهم من موضوعاتها المنفذة؟ وإذا حدث أن انخرطوا فما نسبة ذلك؟

- ما قيمة نتاج الشباب، وكيف استطاعوا أن يمارسوا علاقاتهم الموضوعية مع الأدباء الرواد والحكماء المبدعين الذين طحنتهم التجارب، وأذكت مشاعرهم المعارف فغنيت أفكارهم بما حصّلوه منها؟!

لا مراء لدينا في أن المؤسسات الفكرية والثقافية والعلمية والإعلامية و... ابتداء بوزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب، وانتهاء بغيرهما قد دعمت أمانة الاحتفالية بجهود كبرى سدت ثلمة كان يمكن أن تحدث لولا المبادرة الذاتية للمشاركة الوطنية بهذه الاحتفالية المتميزة. لهذا غدت دمشق ورشة ثقافية يومية في النصف الثاني من عامها؛ فتبارت الدول العربية والصديقة في إقامة أسابيع ثقافية بدعوة من وزارة الثقافة؛ كما فضّل الأدباء والكتاب أن يعقدوا مهرجانهم الشعري وندوتهم الأدبية واجتماعاتهم التنظيمية في دمشق



ليثبتوا أنهم جزء من الثقافة العربية وصنّاع لها؛ في كل زمان وأوان.. ثم إن البرامج الثقافية للندوات والمؤتمرات والمعارض والكتب التي نشرها اتحاد الكتاب العرب كانت دعماً قوياً للثقافة العربية في احتفال دمشق بها، وأكدت حضورها عربياً ومحلياً...

وإذا كنت سعيداً بما آلت إليه هذه الاحتفالية حين شارك وزراء الثقافة والإعلام بها، إذ عقدوا اجتماعاتهم في دمشق فإن الجامعة العربية آثرت هي الأخرى أن ينعقد (ملتقى الرواد والمبدعين العرب) في رحاب دار الأسد للثقافة والفنون.. وقد حرص هذا الملتقى على جمع النُخب الفنية والأدبية والإبداعية في مجالات شتى ومن أعمار مختلفة... ولكن السؤال الكبير يظل يلح على المرء: ما نسبة الشباب المشارك في هذا الملتقى؟ وكم عدد المبدعين الرواد فيه؟ ربما لا يزيد على سبعة مشاركات!

وفي ضوء التجربة للاحتفال بدمشق عاصمة الثقافة العربية التي جعلت العرب يرون فيها الحدث الثقافي الأبرز الأول لهذا العام يتساءل المرء أيضاً: هل استطاعت الأنشطة المتنوعة ثقافياً وأدبياً وفنياً أن تنمي حس القراءة والنقد والتذوّق والتحليل عند الشباب، وهو الشباب الذي تمرّد عدد غير قليل منه على القراءة، بمثل ما عزف عن اقتناء الكتب وشرائها؛ وابتعد عن حضور الندوات والمؤتمرات؛ مهما قيل: "المجالس مدارس!"

نحن لا نشك في أن كثيراً من الشباب يرودون المواقع الإلكترونية المتعددة والمتنوعة؛ ويقبلون على استعمال شبكة "الإنترنت" والحاسوب "الكمبيوتر"، ويتربصون أوقات بعض البرامج في الفضائيات الكثيرة... ولكن نتساءل أيضاً: هل يُغني هذا النمط من الفعل الثقافي – اللهم إذا كان مثمراً كل الإثمار – عن بقية الأنماط الثقافية؟! وإلى متى سيبقى ينظر بعين واحدة، على الأغلب؟!

ومن ثم علينا أن نفكّر –ملياً– في هذه الأسئلة وغيرها، عسى أن نقف على حجم المشكلة التي نعاني كباراً وشباباً، ولا سيما أن حضور أغلب الأنشطة الثقافية والأدبية اقتصر على الافتتاح – غالباً– وعلى المعنيين بها؛ فما أن ينفض وقت الافتتاح في ندوة ما؛ أو مؤتمر ما، حتى يتبخر المتلقون ليبقى المشاركون الذي ينفضون هم الآخرون إثر إلقاء ورقتهم.. أما الحديث عن المحاضرات فحدّث ولا حرج؛ إذ ابتليت بالهوى والشللية؛ فضلاً عن غياب الموضوعية!

ما يعنينا في هذه العجالة أن نضع بين أيدي المثقفين والكتاب والأدباء والمجتمع هذه الأسئلة للإجابة.. ونخص منهم الشباب بوصفه أساس النهضة وبناء الوطن، فإذا كان الكبار يمثلون حاضر الوطن والأمة فالشباب يمثلون الحاضر والمستقبل.

وعليه نتوجه إلى الشباب – دون غيره من المتلقين للثقافة والفكر والإبداع– قائلين: لو نقلنا أي نشاط إلى حيث تجمعاته في المعاهد والمؤسسات والجامعات هل ستتغير الحال؟!

الجواب: غالباً لا؛ على تحسّنه، ولا شيء أدلّ عليه من الأنشطة التي عقدت في أماكن شتى من الجامعات والمؤسسات الثقافية والأدبية في الوطن العربي، وفق ما شهدته في دمشق ،والقاهرة، وعمّان وبيروت، والكويت والبحرين، وتونس والإمارات... فالصورة لم تتغير كثيراً ـــ بين المدن العربية ما يفيد أن الأزمة متماثلة في ديار العرب.



وحتى لا نجري وراء وَهم الاتهام وجلد الذات نتساءل هل الشباب منشغل ببناء مستقبله، ما يفرض عليه الانصراف إلى الشأن الخاص في هذا الأمر أو ذاك؟ ومن ثم هل هو مهموم بحياته العملية والمادية، ما فرض عليه العزوف عن المشاركة في الأنشطة وتلقيها؟

وإذا كان كذلك فإن السؤال يثور في الذهن: لماذا يضيق المكان بالشباب إذا كانت الفعالية فنية كأن يدعى إليها كاظم الساهر أو علي الديك، أو محمود سلطان أو نانسي عجرم، أو...؟! ومن ثم لماذا يقبل الشباب على شراء بعض الدوريات المغرية دون غيرها مهما كان ثمنها؟!

لعل الإجابة عن ذلك كله من الصعوبة بمكان، فمهما اجتهد المسؤولون عن أي فعالية بالإعلان عنها والترويج لها؛ في مجال ما، أو مؤسسة ما، فإن المشكلة ستظل قائمة ... فهل ما يشاع عن العرب من أنهم لا يقرؤون أصبح حقيقة لا يماري فيها؟!

لهذا نضع الأسئلة الصعبة بين أيدي الشباب قبل الحكماء والمبدعين وأصحاب القرار السياسي والثقافي، لنقول: إن الثقافة والأدب عنوان أصالة أي أمة، وأي شعب، فأي أمة من دون ثقافة أو أدب أمة من دون ذاكرة ولا روح!

---

* رئيس اتحاد الكتاب العرب – دمشق